أربع كتب حقانية

أربع كتب حقانية

- كتاب العالم والغلام
- رسالة ضياء الحلوم ومصباح العلوم
- رسالة معرفة النفس الناطقة
- رسالة مبتدأ العوالم ومبدأ دور الستر والتقية

تقديم وتحقيق

الدكتور مصطفى غالب

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت - الحمراء - شارع اميل اده - بناية سلام
هاتف : ٨٠٢٤٢٨ - ٨٠٢٤٠٧ - ٨٠٢٢٩٦
بيروت - المصيطبة - بناية طاهر هاتف : ٣٠١٠٣٠ - ٣١١٣١٠
ص . ب : ٦٣١١ / ١١٣ تلكس : ٢٠٦٦٥ LE - ٢٠٦٨٠ لبنان

مقدمة

لا نود في هذه المقدمة ان نعالج الفلسفة الحقانية الماورائية بما فيها من عقول ابداعية ، وصور روحانية ، ومطابقات علوية وسفلية ، لأبنا قد تحدثنا الكثير الكثير عن هذه الامور العرفانية العقلانية ، في مصنفاتنا وكتبنا العديدة التي وضعناها موضع التداول بين أيدي العلماء والباحثين منذ ربع قرن ونيف ، بل نكتفي بالتحدث بصورة موجزة عن فحوى كل كتاب من هذه الكتب الاربعة ، وعن مؤلفيها حتى نتيح للمطالع ، والباحث ، التعرف عليها ، والغوص في منعطفات افكارها التراثية الماورائية ، التي ظلت آلاف السنين مستورة ومخفية في بعض المكتبات ، بعيدة عن أنظار المهتمين بامثال هذه المعارف الحقانية الخفية .

الكتاب الأول العالم والغلام

يعتبر كتاب « العالم والغلام » من الكتب الحقانية النادرة الوجود ، الكثيرة الفائدة التي تصور بشكل واضح وصريح المفيد والمستفيد ، تصويراً رائعاً يجسد المنطلقات العقائدية الحقانية بقالب رمزي وقصصي ، تلعب فيه الإشارة الهادفة الدور الاساسي ، كما لعبت في العديد من القصص الرمزية التي اعتاد بعض العلماء والفلاسفة الاسلاميين ان يكتبوها ، مثل قصة حي بن يقظان ، والمدينة الفاضلة ، وبلوهر وبوذازيف ، وغيرهم الكثير .

والقصص الرمزية الهادفة ، او المدن الخيرة الفاضلة التي صورها الحكماء والفلاسفة على أسس ومرتكزات رمزية فكرية ، ولقحوها بالخيال الواسع ، والنزعة العرفانية الخالصة ، بدأت منطلقاته العقلانية في المشرق ، وتسللت الى الغرب لتفعل في مجتمعاته فعل السحر والمعاجز ، فبدلت الكثير من أفكاره الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية والأخلاقية .

واذا ما حاولنا تقصي الاسباب الكامنة وراء تلك القصص تبين لنا ان الغاية من كتابتها كانت بالدرجة الاولى تبشيرية اصلاحية دينية للدلالة على التوحيد والتجريد والتنزيه ، وعلى ترتيبات العالم العلوي والعالم السفلي بما فيهما من كواكب ، وافلاك ، واشخاص مع تفاعلاتها مع الطبيعة وما فيها من غرائز وشهوات انسانية .

والتبشير بالخلود النفسي ، واعتبار الجسد شيء معرض للفناء،من الأسس الرئيسية

التي هدفت اليها بعض هذه القصص ، وكذلك بالنسبة للزهد والتقشف والمكاشفة وانتقال النفس الانسانية من حد القوة الى حد الفعل عن طريق الاتصال الذاتي ، واكتساب العلوم العرفانية ، التي تخلص النفس من مآسي الدنيا وما فيهامن غرائز شهوانية تقف حائلاً دون وصولها الى الكمال والمثالية المطلقة .

وربما استعمل بعض الفلاسفة امثال هذه القصص للدلالة على حقيقة المذهب او الدين الذي يدعون اليه ، ويبشرون بعقائده ومبادئه التي قد تكون بلسما للحياة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية التي كانت المجتمعات تتخبط فيها في عصورهم .

ومما يلاحظ ان الفلسفات القديمة قد عرفت امثال هذه القصص الرمزية في قالب أخبار أو ملاحم أو قصائد رسموا فيها أفكارهم وسردوها في أساليب تسهل للجمهور الولوج اليها والاضطلاع على ما تحمله من مبادىء عرفانية وعقلانية ، وليست اسطورة هوميروس عن يان ، الطفل الذي تركته امه خشية من والده هرمس ، وملحمة « شور » والولد اليتيم ، والفتاة الإلهية ، وغيرهما من الأساطير سوى نماذج تجسد بعض العلوم والمعارف الانسانية .

ومن المؤكد ان اصحاب الافكار الابداعية الخلاقة منذ وجود الكون وحتى عصرنا الحاضر قد عالجوا الكثير من الامور الفلسفية والآراء العرفانية ، التي تتفاعل في اعماقهم وعقولهم ، بواسطة القصص الرمزية الهادفة الى بلورة أفكارهم عن طريق التحليلات والتفسيرات والتأويلات التي تتكوكب في مصنفاتهم وكتبهم الفلسفية أو القصصية .

وليست الآراء التي تشير الى ولادة الانسان من تفاعل الارض الا من نتاج عقول بعض الفلاسفة وخيالاتهم الواسعة الناهدة الى تعميم هذه الافكار لتدخل في عقول السذج من أبناء مجتمعاتهم ، وتتكوم كاعتقاد ثابت بان الولادة الاولى لم تكن عن طريق التزاوج والتناسل ، انما كانت عن طريق التفاعل الطبيعي في عالم الكون والفساد ، والولادة الذاتية ،

وقصة العالم والغلام التي نقدمها اليوم ، والتي كتبها اكبر فلاسفة اهل الحق ، الداعي الأجل جعفر بن منصور اليمن ، في القرن الثالث الهجري ، ورمز فيها الى احد ابناء الملوك الذي استفاد العلوم الحقانية من قبل استاذه ومفيده الذي التقاه صدفة بينما كان يتجول في بعض الاصقاع ، وبعد ان درس عليه فترة من الوقت استطاع ان يقنعه بافكاره العرفانية ، ويحوله الى عنصر صالح مفيد لمجتمعه ومملكته .

جعفر بن منصور اليمن

النصوص التاريخية الفاطمية الموجودة بين ايدينا لا تشير بصورة دقيقة الى تاريخ

ولادة هذا العالم الكبير بصورة دقيقة مضبوطة ، وكل ما نعلمه انه ولد الداعي الكبير والفيلسوف الحقاني منصور اليمن ، ابن حوشب ، كانت ولادته في اليمن عندما كانت اليمن واقعة تحت سيطرة والده .

وبعد وفاة منصور اليمن ابن حوشب تآمر ولده الثاني الحسن بن منصور على قتل الشاوري ، وثار على الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي ، مما ادى الى وقوع اختلاف كبير بين الاخوين ، حيث اعتبر جعفر سلوك اخيه الحسن خروجاً على الدعوة الذي ساهم والده في وضع جذورها ، فقصد بلاد المغرب سنة 322 هجرية[1] فوجد الخليفة عبيد الله المهدي قد توفي ، وقام بعده ابنه القائم بامر الله ، فرحب به وانزله احسن منزلة .

ويحدثنا المؤرخ الحقاني ادريس عماد الدين القرشي عن المكانة التي بلغها جعفر بن منصور لدى الخلفاء الفاطميين فيقول[2] : «وانتهى الى ان بلغ مبلغاً عظيماً عند الائمة . . . وبلغ مراتب الأبواب الفائزين بعلو الدرجات » وقد ورد في سيرة الاستاذ جوذر ما نصه[3] : « وكان محل جعفر بن منصور صاحب اليمن من الدولة وقربه من مولانا عليه السلام ، المحل القريب ، ومكانه من الأستاذ المكان الأدنى الوكيد في الدين » .

ومما لا شك فيه ان جعفرا كان يتمتع بمركز رفيع في الدولة الفاطمية في المغرب ثم في مصر ، وكان موضع احترام وتقدير القائم والمنصور ، وبلغ الذروة في عهد المعز لدين الله حتى جعله « باب ابوابه » في مصر ، وهي اعلى رتبة في الدعوة ، وصار اهم رجال الدعوة الذين يشار اليهم بالبنان في الفضل والزهد ، حتى تفوق على القاضي ابي حنيفة النعمان التميمي المغربي قاضي القضاة ، الذي كان دعامة من اهم دعائم الفاطميين في الفقة الحقاني . وليس ادل على ما بلغه جعفر من درجة عالية ، ومكانة سامية عند الخليفة المعز من قول الداعي المؤرخ ادريس عماد الدين[4] : « ان القاضي النعمان اعتل بعلة ، فزاره جميع الدعاة واولياء الدولة وقوادها . . . ولما زالت علته أتى الى الامام المعز فسأله عمن زاره ، فقال ، كلهم زارني الا جعفر بن منصور ، فأخذ امير المؤمنين في حديثه ثم امر بكتب فأحضرت اليه ، ففتح كتابا منها ، وقال للنعمان ، انظر في هذا الكتاب ! فلما تصفحه قال الامام : ما تقول في هذا ؟ قال : ما عسى ان اقول في قولكم ؟ فقال الإمام : هذا تأليف مولاك جعفر ، اعلاماً له بعالي فضله وبياناً لسامي محله . فلما خرج

---

(1) السلوك للجندي ص151 . اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص185 .

(2) عيون الاخبار وفنون الآثار : ادريس عماد الدين القرشي السبع الخامس تحقيق مصطفى غالب منشورات دار الاندلس بيروت

(3) سيرة الاستاذ جوذر ص126 .

(4) ادريس عماد الدين : عيون الاخبار وفنون الآثار السبع السادس ص39 تحقيق مصطفى غالب منشورات دار الاندلس بيروت .

النعمان . . . قصد دار جعفر . . . ولما رأى النعمان جعفر لم يتمالك ان وقع على رجليه يقبلهما اعترافاً له بالفضل » .

ومن الملاحظ ان جعفر بن منصور اليمن كان شاعراً فحلاً ، عثرنا له على عدة قصائد من عيون الشعر ، أوردها صاحب عيون الاخبار في السبع الخامس من كتابه .

يقول في القصيدة الاولى :

الحمد لله هذا الفتح والظفر — هذا الذي كالايمان ينتظر
فاستبشروا يا رجال الدين وانتدبوا — لحرب قوم هم ضلوا وهم كفروا
وأيقنوا ان جند الله غالبهم — وانه جل للايمان ان ينتظروا [1]

وفي القصيدة الثانية :

يهنيك نصراً بما قد رمت من سبب — يا سيد الخلق من عجم ومن عرب
في كل يوم يرينا الله معجزة — من نصره لك تجلو غمة الكرب
وانت في كل حال تبتني رتبا — في المجد فازدد عُلى في المجد والرتب [2]

ويقول في الثالثة :

انعم بعزك يا بن خير الناس — وبما حباك الله في ماواس
من نصره لك اذ هممت مطالباً — لعصابة الارذال والأرجاس
لما طغوا متمردين وغرهم — شيطانهم بالمكر والوسواس
فتمنعوا في حصنهم واستقبلوا — جيش الامام بجندل وتراس [3]

ترك جعفر بن منصور كثيراً من الآثار الفكرية الحقانية ، لا تزال حتى يومنا هذا محفوظة في مكتبات الدعوة المستعلية في الهند. ومن مصنفاته : الفرائض وحدود الدين ، الشواهد والبيان ، العالم والغلام ، اسرار النطقاء[4] تأويل الزكاة ، الكشف[5] ، الفترات والقرانات ، تأويل سورة النساء ، المراتب والمحيط ، رسالة في معنى الاسم الأعظم ، توفي ودفن في القاهرة المعزية ، وليس لدينا ما يشير الى تاريخ وفاته بالدقة .

تحقيق المخطوطة

حصلنا على نسختين من كتاب « العالم والغلام » الاولى قدمها الينا احد المشايخ

(1) عيون الاخبار السبع الخامس ص206 تحقيق مصطفى غالب .
(2) المصدر نفسه جـ5 ص274 .
(3) المصدر نفسه جـ5 ص319 .
(4) حققه وقدم له الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار الاندلس بيروت .
(5) حققه وقدم له الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار الاندلس بيروت .

اثناء وجودنا في الهند عام 1971 فرمزنا اليها بالحرف ك ، وتعتبر هذه النسخة من النسخ الصحيحة المكتوبة بخط جيد ، والعناوين بالحبر الاحمر ، قليلة الأخطاء ليس فيها اي تقديم او تأخير عدد صفحاتها 155 صفحة حجم الصفحة قياس 14 × 22 سم وفي كل صفحة 19 سطراً وفي كل سطر 10 كلمات اعتمدناها اصلاً في التحقيق .

اما النسخة الثانية والتي رمزنا اليها بالحرف م فهي نسخة مصورة قدمها الينا الأخ المحامي العراقي صادق كمونة منذ عدة سنوات ، عدد صفحاتها حول 156 صفحة بنفس الحجم والقياس الذي ذكرناه عن النسخة ك . ولكنها كثيرة الأخطاء قليلة الاعتناء والترتيب ، ومع ذلك فقد استفدنا منها في المطابقة والمقارنة . فله منا جزيل الشكر والتقدير والامتنان .

الرسالة الثانية ضياء الحلوم ومصباح العلوم

هذه الرسالة الحقانية الماورائية كتبها مؤلفها الداعي الأجل علي بن حنظلة المحفوظي الوداعي جواباً على عدة مسائل عقلانية طرحت عليه حول علم المبدأ والمعاد ، وما يصير اليه الأولياء والأضداد ، بأربعة أبواب : الباب الأول في التوحيد ، والباب الثاني في المبدأ ، والباب الثالث في المعاد المحمود . والباب الرابع في المعاد المذموم . وكل باب من هذه الأبواب يشتمل على عدة فصول تتعلق بمضمونه ومحتواه .

علي بن حنظلة الوادعي

الدعوة الحقانية في اليمن ، انتجت بعد العصر الفاطمي في مصر نخبة ممتازة من الدعاة العلماء الذين كان لهم اكبر الاثر في الحفاظ على التراث العلمي الحقاني ولا تزال خزائن اليمن عامرة بالمؤلفات القيمة التي نقلت اليها من القاهرة منذ عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، ولعلماء الدعوة اليمنية الفضل الاكبر في نقل شتات التراث الفكري الحقاني وتدوينه في كتب ومؤلفات وحفظ ما تركه الدعاة والفلاسفة والمؤلفون في عهد الخلفاء الفاطميين وكان للداعي المطلق علي بن حنظلة الوادعي الفضل الاكبر في رعاية هذا التراث الفكري والمحافظة عليه بعد ان تسلم الدعوة إثر وفاة الداعي المطلق علي بن محمد بن الوليد ، ولاغرو فقد كان مناراً للعلم والمعرفة يقصده طلاب العلم من مختلف الجهات . جدد النشاط الحقاني في جميع انحاء اليمن ، والسند ، والهند ، وحظر على الدعاة التدخل في الأمور السياسية ، بالرغم من ان البلاد كانت تعج بالثورات والاضطرابات .

ومن مؤلفاته الشعرية قصيدة سمط الحقائق التي تحتوي على ستمائة وثلاثة وستين بيتاً مطلعها :

الحمـد لله العلـي السامـي عـن صفـة الكمـال والتمـام
اذ التمـام والكمـال صنعتـه سبحانـه تقدمـت هـويتـه

ويتلـو الحمـد أبيات في التـوحيد ، والصلـوات ، والنصيحـة في محاسبـة النفس بالنفس ، واطاعة اولي الامر والحدود ، وذكر مفيديه ومعلميه ، بعض الدعاة المطلقين في اليمن ، ثم يتكلم عن التوحيد ، وعالـم الإبـداع ، والأفـلاك ، والأركان ، والمزاج ، والممتزج ، وادوار الكواكب السبعة ، واهل الجنة الإبداعية ، ودور الـكشف واهلـه ، ودور الستر واهله الخ . وتوفي الداعي المطلق علي بن حنظلة يوم السبت 22 ربيع الاول سنة 626 هجرية .

تحقيق المخطوطة

من حسن الحظ اننا تمكنا بفضل مساعدة احـد الاصدقـاء في الهنـد واليمـن من الحصول على نسختين خطيتين من رسالة ضياء الحلوم ومصباح العلوم ، رمزنا الى الأولى التي وصلتنا من الهند بالحرف ق ، والى الثانية التي جاءتنا من اليمن بالحرف ك . عدد صفحات النسخة ق 49 صفحة قياس 17 × 26 سم في كل صفحة 23 سطراً ، وفي كل سطر 16 كلمة . نسخة جيدة قليلة الاخطاء جميلة الخط ، كتبت سنة 1150 هجرية بدون ان نعثر على اية اشارة تدل على اسم الناسخ .

اما النسخة ك فهي من النسخ النادرة الممتازة التي كُتبت حوالي سنة 900 هجرية عدد صفحاتها 45 صفحة قياس 15 × 14 سم في كل صفحة 20 سطراً ، وفي كل سطر 14 كلمة . جاء في نهايتها : « والحمد لله محقق آمال اتباع اوليائه ، ومؤمنهم بسؤالهم بواسطة اصفيائه ، واشهد ان لا اله الا من العجز عن ادراكه حقيقة الإدراك ، والتعمد لسلوك طريق النفي تعطيل ، وهلاك ، والتمثيل له تشبيه واشراك وصلى الله على خير مبعوث من الرسل ، واشرف من شرع خير الشرائع والملل ، والداعي الى خير العمل ، وعلى وصية صاحب الفضل الاجل ، والفارس البطل ، صاحب تأويل الكتاب المنزل ، وعلى الأئمة من ذريته خير من احرم ، وأحل ، وافضل من كبر وهلل ، وعلى وارث المقام الافضل ، وحائز الشرف الأكمل ، الامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين ، وعلى الأئمة من ذريته الى يوم الدين ، وسلم عليهم اجمعين ، حسبنا الله ونعم الوكيل كتبـت فـي شهـر صفر سنة 900 من هجرة رسولنا وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام » . ولما كانت هذه النسخة ممتازة فقد جعلناها اصلاً في التحقيق ، فأخرجنا عنهـا هذه النسخـة التـي وضعناهـا موضـع التداول .

الرسالة الثالثة النفس الناطقة

هذه الرسالة من الرسائل العقلانية الفلسفية التي تعبر عن الافكار الحقانية التي

يجسدها الدعاة الحقانيين السوريين ، حيث نلاحظ في كافة المخطوطات الحقانية السورية الكثير من أمثال هذه الافكار العقلانية الهادفة الى التوعية والارشاد ، والحض على وجوب معرفة النفس ، لأن الانسان متى توصل الى معرفة نفسه وجوهرها استطاع ان يعرف ربه ، الذي يدله على الطريق المستقيم .

الرسالة الرابعة مبتدأ العوالم ودور الستر

انها ارجوزة من جملة الاراجيز الرائعة المبتكرة التي امتلأت بأمثالها اغلب المخطوطات الحقانية السورية وتناقلها جماعة اهل الحق يحفظونها غيباً ، لسهولة اسلوبها ، ودقة معانيها ،ورقة إشاراتها ورموزها ،التي تجسد بحق المنطلقات العقائدية بسلاسة وجمال .

الشيخ حسن المعدل

الشيخ حسن المعدل من دعاة اهل الحق الذين ولدوا وعاشوا في سورية ، بعد انتقال الدعوة الحقانية النزارية الى سورية بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بأمر الله . عاش متنقلاً بين القلاع والحصون التي كانت تمتد على طول الساحل السوري للارشاد والوعظ ، لم نقف على اي اثر تاريخي يترجم بالتفصيل حياة هذا الشيخ ، وكل ما نعلمه عنه انه عاش خلال السبعين عاما التي اعقبت وفاة شيخ الجبل الثالث (سنان راشد الدين) فإذا علمنا ان وفاة سنان راشد الدين كانت عام589 هجرية تبين ان الشيخ حسن المعدل عاش ما بين عام589 هجرية حتى سنة 659 هجرية .

ومن الامور المؤكدة ان المعدل قد امضى ايامه الاخيرة في قرية (تعنيتة) التي تبعد حوالي ثلاثين كيلو متراً عن القدموس ، ثم توفي فيها ودفن على رأس رابية ، ولا يزال ضريحة موجوداً هناك ويزار ويعرف لدى العامة بمقام الشيخ (حسن العدة) .

يتبين من أشعاره الكثيرة الموزعة في اغلب المخطوطات الحقانية السورية انه كان شاعراً موهوباً ، تدرج في رتب الدعوة حتى اصبح « مقدماً » لقوله من قصيدة له :

حسن انا لي رتبة معروفة بين الحدود مقدم وملازم
وأنا المعدل لا أزال معدلاً نفسي واخواني فهن عزائم

وهذا يفسر لنا أنه كان مقدماً على جميع الدعاة في عصره ، ومن قصائده المشهورة التي يحفظها المشايخ وأفراد الشعب غيباً (ألفية المعدل) وله غيرها حكم وتعاليم وارشادات ورسائل .

تحقيق المخطوطتين

رسالة النفس الناطقة نادرة ومفقودة ورغم ندرتها فقد وجدناها بطريق الصدفة داخل مجموعة نادرة من المخطوطات السورية فكانت في ملكية الشيخ حسن دلا من سلمية سورية جاءته بالوراثة عن والده، عن جده ، عن جده ، لا يوجد فيها اية اشارة تأتي على ذكر ناسخها ، ولكننا وجدنا في نهايتها ما يلي « انتهى الينا من هذا الكتاب ، وهذا الذي وجدنا وما كنا للغيب حافظين ، بخط الامير محمد بن حسن الشاهين غفر الله له ولوالديه ، ولمن اعانه على كتابته ، والحمد لله رب العالمين . » .

وتقع في 17 صفحة من قياس 11 × 19 سنتم ، في كل صفحة 20 سطراً وفي كل سطر 15 كلمة ، وقد رمزنا اليها بالحرف ك . وهي جيدة النسخ قليلة الأخطاء .

أما النسخة الثانية التي رمزنا اليها بالحرف م فقد أعارنا اياها الشيخ علي عيدو من سلمية وتتألف من 20 صفحة بقياس 11 × 17 سنتم ، في كل صفحة 21 سطراً وفي كل سطر ، 17 كلمة ، لم نعثر على أي تاريخ يشير الى نسخها ، ولا إلى ناسخها ، جيدة الخط متقنة الترتيب والتنظيم خالية من الأخطاء اعتبرناها أصلاً في التحقيق .

اما الرسالة الثانية وهي «ارجوزة مبتدأ العوالم » فهي الرسالة الوحيدة من نوعها قدمها لنا الشيخ سليمان بن الشيخ ابراهيم من قرية بري الشرقي التابعة لمنطقة سلمية ضمن كتاب يحوي العديد من الرسائل والأراجيز ، وقد جاء في نهاية الرسالة : « تم الفراغ من كتابة هذه الرسالة لناظمها الشيخ حسن المعدل في 13 شعبان سنة 1025هـ بخط العبد الفقير الشيخ علي بن حسن الهواري » . وهي تقع في 38 صفحة قياس 11 × 19 سنتم . رمزنا اليها بالحرف آ .

ولما كانت هذه النسخة غير تامة وناقصة فقد حاولنا ان نجد نسخة اخرى ولكن جهودنا باءت بالفشل بعد سنوات طوال من البحث والتنقيب ، حتى قيض الله لنا مؤخراً احد الاخوان من مدينة مصياف حيث قدم لنا مخطوطة وجدنا في نهايتها هذه الرسالة ولكنها مع الاسف الشديد لا تختلف عن الاولى بأي شيء ، وخاصة ما يتعلق بالنقص ، لذلك رمزنا اليها بالحرف ب ونشرناها كما هي .

وفي نهاية المطاف لا يسعنا الا أن نقدم آيات الشكر والإمتنان لكافة الأخوان الذين ساعدونا على إيجاد هذه الكتب أو الرسائل الأربعة والله يوفق لما فيه الخير والفلاح .

بيروت في 21 / 3 / 1980

الدكتور مصطفى غالب

كتاب
العالم والغلام

تأليف
جعفر بن منصور اليمن

كتاب العالم والغلام ، تأليف سيدنا ومولانا جعفر بن منصور اليمن اعلى الله قدسه ، ورزقنا شفاعته ، وأنسه .

بلغنا ان طوائف من[1] المؤمنين ، ونفراً من دعاة الدين ، قالوا لعالم لهم : قد إعتقدنا لأنك قد عرفتنا امر اوجب لك علينا به الشكر لثلاث وجوه : شكرك فيما دعوتنا اليه وشكر العلم الذي دللتنا عليه . وشكر العمل الذي امرتنا به . فبين لنا من ذلك ما يقوم به من المرد شكراً ، ثم عرفنا من حدود الواجب فيما لنا وعلينا ، وما يجب على الطالب في مسألته ، وعلى المطلوب في جوابه ، وعرفنا من مذاهب(2) الصالحين ، وآداب الطالبين ، ما تيسر من القول .

قال لهم العالم : ان الامر[2] الذي دعوتكم اليه هو الذي اكرمه الله لعباده وكملهم ، واكرم به من اجابه فجعل لكل اول عند آخر ، ولكل آخر منه غاية ، ولكل غاية نهاية ، لا يبلغ امدها ، وتلك منازل ذوي الألباب مفاتيحها ذكرى ، واولها بلوى ، واوسطها هدى ، وآخرها تقوى ، فمن كان طالباً للعلم ما عليه بنية الامور وقف على حدود الدين المقدور ، وقصد الهدي بمعالم الطلب ، وسار فيه بأحسن مذهب ، فأما شكر العالم بما فيه ، والدعوة اليه ، وإما شكر العمل فالصبر عليه ، والدعوة اليه ، وإما مذاهب الصالحين ، وآداب الطالبين ، فإنه بلغنا ان رجلاً من أهل فارس ممن جرى عليه الحكم في بلية من الجهل ، وكان له قلب روي ، وعقل سني ، وأدب رضي ، اكتسبه ، ولكن غلب الجهل عليه من العلم(3) لما سبق اليه ، ونشأ فيه ، فهو يتقلب في حرارة الظمأ يحسب ان لوامع السراب بياض الماء حتى اذا جاءه لم يجد شيئاً ووجد الله ، فوفاه[3] حسابه ، ثم أكرم مثواه ، وكشف عنه غطاءه ، ووجده ضالاً فهداه ، ووجده عائلاً[4] فاغناه من العلم ، فأصبح بالمنة عليه من العلماء الطور ، وسكان البيت المعمور ، فلما تكامل هداه ، وبلغ غاية امله ، وجب عليه الشكر لصانعه ، والمكادحة الى ربه ، وكان قد سمع من والده كلمة ، وكانت عند منزلة روحه من بدنه ان افضل الحسنات إحياء[5] الاموات

(1) من : سقطت في ك
(2) الأمر : الزهر في م
(3) فوفاه : فوافاه في ك
(4) عائلاً : غوالاً في ك
(5) الاموات : سقطت في م

فقال في نفسه : قد كنت ميتاً فأحياني ، وجاهلاً فعلمني ، ولم اكن اول من جهل فسبقت الناس الى العلم ، ولا انا آخر من يجهل فينقطع التعليم ، ويحقق على ان اكون من شكر هذه النعمة مؤدياً لهذه الامانة الى من بعدي كما اداها الذي من كان(4) قبلي ، فإن هذا الامر اوله من الله ، ولم يصل اليَّ إلاّ باسباب له كثيرة ، يؤديها الاول الى الثاني ، والثاني الى الثالث ، حتى إذا هوى من الملأ الأعلى ، الى الخلائق من اهل الدنيا ، ثم خرق الحجاب (1) وتدافعته ومنتهاه كلاً وان الذين نقلوه ، وادوا الأمانة فيه لأولى بالمكاسب (2) والفضل ، وان مكاسبهم ليست لي فأتكل عليها بلانا المكسوب اليهم بعملهم ، وان فضلهم لا يغنينّ عن العمل ، واني لفقير الى طلب العلم بالعمل ، كما كنت فقيراً الى طلب العلم .

واعلم ان الواجب عليه من ذلك مثل ما وجب عليه له ، وان آخر امره في الحكم مثل اوله ، فخرج عن اهله وماله الى ربه ، ملبياً وداعياً ليجب (3) له من الشكر مثل الذي ما وجب عليه ، فجعل يسيح في البلاد يمر بشعب العجم ، وقبائل العرب ، يتصفح الوجوه ، ويلقي المسائل ، فإن لم يجد مجيباً ولا يلقى طالباً حتى(5) ينتهي الى اقصى الجزيرة ، فدخل منها مدينة على حين غفلة من اهلها ، وبينما هو يتذكر الألاء ويتفحص الاملاء ، اذ ابصر بجماعة من اهل الملة ، يتنازعون في الدين بغير هدى ، يخوضون في غمرات الاهواء ، فجلس (4) غير بعيد في معزل منهم ، يسمع كلامهم ، ويتفرسهم ايهم امثل طريقة ، فقال في نفسه هؤلاء اولى بالحياة لثلاث خصال : واحدة فبلاغ الحجة . اما الثانية فهم من اهل الملة . وأما الثالثة فهم اقرب رشداً مع نباهتهم للدين ونظرهم (5) معانيه وبحثهم عنه معاً والطالب لشيء اوشك ان يلقاه .

فلما فرغوا من كلامهم ، الذي كانوا فيه التفتوا اليه ، فقالوا : من أنت ومن اين انت يا فتى ؟ قال : أنا عبد الله ، ومن سكان حرمه . قالوا : فما حاجتك وما عملك ؟ قال : حاجتي (6) قد انقضت ، والعمل انا في طلبه . قالوا : هل(6) اعجبك من كلامنا هذا شيء عجيب ؟ قال : كله لمن يتعجب . قالوا : فإن العجب على معنيين محمود ، ومذموم . قال : نعم قد علمت ذلك ، وكذلك الكلام محمود ، ومذموم . قالوا : فما المحمود عندك منه ؟ قال : أصوبه . قالوا : وما صوابه ؟ قال : ما كان اوله من الله ودعي به إلى الله . قالوا : فما المذموم منه ؟ قال : ما كان أوله هوى ودعي به الى غير المعنى . قالوا : صدقت ، أفما تسمعنا من قولك شيئاً ؟ حكاياتي (7) من قول ، بلانا للقول تابع .

---

(1) الحجاب : الجناب في م
(2) بالمكاسب : سقطت في ك
(3) ليجب : واجب في ك
(4) فجلس : جالس في ك
(5) ونظرهم : سقطت في م
(6) حاجتي : سقطت في ك
(7) حكاياتي : صاكاكي في م

قالوا : افأسمعنا من كلامك ما يدلنا على مذهبك ، فقد عذب لنا حالك وطاب لنا أخاءك وانا لنرجو ان تكون باب رحمته ، فتحك الله لنا : قال : نعم ، فاستوى الكلام ، وانصت له الأقوام ، فأقبل عليهم بوجهه ، ثم قال : إن الذي خلق بقدرته فسوى ، والذي قدم بجوده فهدى ، فهو الذي اخرج شوارع المرعى ، فجعل ظاهره غثاء(7) وباطنه احوى ، لا مكتبس[1] السيد ، ولا مندرس الآثار ، إذا لذهلت الاوهام عن طلبه ، ويئست العقول عن إصابته ، ولا هو ظاهر موجود فيملكه غير اهله ، ويغيروا قصد سبيله ، لكنه كريم معبود علومه مكنونة لفضلها وسرائره مصونة لأهلها ، شرفها رياش الهدى ، وأكملها لباس التقوى ، موسوم بنور الانوار ، مستودع في صدور الأخيار ، الأبرار، حقلة كالين[2] كراماً كاتبين امانة يؤدونها ، وحدوداً لا يتعدونها ، فها هو ناموس الديان ، وقوائد الرحمن ، أكرمه فأبطنه ، وصانه فستره ، وقنعه بحقوقه ، وكلله مواثيقه ، فلا تناله هم المتفكرين ، ولا تبلغه فكر المحتالين ، ظاهره فكراً ، ودلائل لمن اهتدى ، وباطنه يشرب معين تدنوه سماءه للناظرين ، وتمهد ارضه للباحثين ، ومواقع شبهة للطالبين ، مناهل للسائرات (8) اليه وآيات تتابع عجائبها تدل بامثالها عليه ، سيرته تفضيل ، احكامه[3] فرائض وسنة شرائع ، قد شرف الصدق مذاهبها ، وطيب العدل مكاسبها ، فجعلها لكل خير[4] فائدة وسبيلاً وجعلها لباطنها جنة ودليلاً ، ثم اضطر العقول بالجهل والفاقة الى طلب العلم والسعة ، فتبارك الله الذي جعل الليل والنهار خلقة لمن[5] اراد ان يذكر ، وأراد شكوراً ، وصلى الله على من اختار من عباده وجعله للعالمين نذيراً . ثم قال : اتقوا الله تقوى من يخافه ، وخافه[6] لا خوف من يرجوه واطلبوا العلم تعلموا واعملوا ترحموا ففاضت عيناه دموعاً فقطع كلامه وودع القوم متعبراً ونهض الى ارحله منصرفاً وغشى القوم البكاء لحلاوة كلامه وبلاغ موعظته فارادوا النهوض معه فردهم[7] عن ذلك حفاظ الاداب ان يخلوا معه باجمعهم ولم(9) يدروا ما واقفه من ذلك فانصرفوا الى منازلهم ولحقه من الجماعة غلام كان اصغرهم سناً وأكثرهم حلماً قد أكمل التأديب عقله ، واقدح الفكر قلبه ، ورادف ذلك حليه ما سمع من كلام العالم ، وما عرض به واومى اليه .

وكان للغلام أب شيخ من اشرف[8] العرب حسباً واشدهم على أهل الدين كلماً ، فما زال يساير الشيخ العالم باذنه حتى وصل برحله، فدخل وأدخل الغلام معه حتى دعا[9] بالطعام ، فلما فرغ من ذلك واطمأنا للحديث ، قال الغلام : ايها الحكيم ، قد قلت واسمعت ، ووعظت فابلغت ، وحليت الدين بأحسن حلية ، ورغبت فيه بأحسن

---

(1) مكتبس : مكتسب في ك
(2) كالين : كرامين في ك .
(3) احكامه : سقطت في ك
(4) خير : زير في م
(5) لمن : سقطت في م
(6) وخافه : وخوته في ك
(7) فردهم : فراودهم في ك
(8) أشرف : شرفات في م
(9) دعا : سقطت في ك

رغبة ، وافضل عدة ، ودعوت اليه باشرف عهدة ، وشوقت العقول ، الى امتثالك[1] بما صدع القلوب من قوارع كلامه ، وما كان هذا الفضل ليظهر إلاّ ممن تكامل في الباطن علمه ، واتسع للظاهر(10) حكمه ، فهو ينبوع الحكمة من أصل ثابت ، شمخ سناءه على العالمين ، وتفرع من غصونه ثمر للطالبين ، فأرجو ان تكون انت من تلك الغصون[2] المباركة ، لما أرى من الرأي النبيل ، واللب الأصيل ، والعقل الكامل ، وقد ذكرت ان العقول مضطرة بالجهل والفاقة الى طلب العلم والسعة ، وعقلي من أكثرها حاجة ، وأشدها فاقة ، فهل لي الى الحيرة من سبيل ؟

قال العالم : إن الذي خلق الخلائق بقدرته لم يخلقهم عبثاً ، ولا فطرهم علماء ، ولا اهلهم في الجهل سدى ، ولارضي لهم بالبلاهة ادباً ، ولا للباس الجهل جلباباً ، ولقد جعل لهم الى المخرج من جميع ذلك سبيلاً بالآلة التي ألف بها تركيبهم ، واكمل بها خلقهم ، وجعل السمع والبصر والأفئدة مفتقة بالأنوار كرامة منه لهم ، واحتجاجاً بها عليهم ، ثم جعل كنوز حكمته ، وخصائص مشيئته ، من المذاهب التي يرتضيها في صفوته من خلقه ، وكلفهم(11) الديانة بها والدعوة إليها ، وفرض لهم الإجابة بالآلة التي ذكرنا ليميز الله الخبيث من الطيب ، فيتبين العالم بطلبه ، ويتمنى الجاهل بتخلفه ،[3] فلا حجة على الله بعد مرسله ولا عذر بعد الأدلة في الضلالة .

قال الغلام : قلت العذر روعني ، ووجود الادلة رغبني[4] وقدر جودك دليلاً واكون . قال العالم : ان الله لم يخلق الخلق رجالاً ولا علماءنا انما خلقهم اطفالاً صغاراً وجهالا لا يعلمون شيئاً فلا يكون كبير إلا من بعد صغير ولا يكون عالم الا من بعد جهل فالصغر[5] مقدمة الكبر ، والجهل دليلاً الى العلم وفرائضه وكذلك العلم لا يطاق كنهه الا بمقدمة علم دونه[6] وهو اسرع منه الى العلم وأسلس إلى الفهم ليثبت في الأوهام اوله وتذلل في الجوارح لكنهه ويحتمل[7] الحقول غايته فهو سنة الله في عباده فلا ينبغي لنا ان نخرج برأينا عن الملة ولا نبتغ بهدينا(12) غير السنة .

قال الغلام : فانا صغير عما اريد قربني ، وجاهل عما طلب فعلمني ، ومضطر الى افضالك فارحمني ، فإنك كنت في مثل هذا الحال ، فساق[8] الله اليك المنة على يدي من عظم بلاءه عندك ، ووجب شكره عليك ، وقد علمت حال من يقاسي ضيق الجهل وفاقة المحتاج الى ضعف الحيلة .

قال العالم : إن الحال التي وصفت قد كنت عليها ، واني لضان بك عنها ، وليس

---

(1) امتثالك : امسالتك في ك
(2) الغصون : العيون في م
(3) بتخلفه : بخلافه في م
(4) رغبني : رغباتي في ك
(5) فالصغر : سقطت في ك
(6) دونه : دورانه في م
(7) ويحتمل : ومحال في م
(8) فساق : قساوة في ك

رحمتي لك مما يقرب منك املك دون عملك ، فان لكل كلام تصريفاً لا يقبل الله إلاّ ما كان صدقاً كذلك العلم لا ينتفع به حتى يقبل . فصدق الكلام ما كان عدلاً ودليلاً ، العلم شوارع لأعمال وموافقة الامثال ، فيما حوته نهاية الاقطار ، واختلف عليه الليل والنهار ، فلا تطلب مللاً ولا ترفض هملاً ولا يقبله بغير حجة تقليداً فينسلخ عن قلبك لأول (13) عارض من الشبهة ، ولا تكره بعد ثبات الحجة ، فتكون للباطل[1] خصيماً ، ولا تدع البحث عنه ، والتفقه فيه ، فيكون رأيك عقيماً فليحسن ظنك بي من غير أثرة ، واجتهد في حجتك من غير تهمة ، واطلب الدين طالب مثلك ، واستعن بالله على امرك ، فإن الله لا يضيع لك أجراً ، ولا يحرم لك مطلوباً ، اذ رآك للخير طالباً . قال الغلام : قد انصفت من نفسك[2] بخير فعال ، ودللت الى الحق باحسن مقال ، وأنا استعين بالله واسألك عن هذا الأمر الذي تدعو اليه ، وتحض عليه ، ما هو ، وممن هو ، وإلا ممن هو ؟

قال العالم : هو دين الله الذي ارتضاه ، وهو منه فلا يقبل سواه ، ثم الى الصفوة من رسله خاصة ، والى جميع خلقه عامة ، فعلى المخصوص بالمنة الشكر لها ، والعمل بها ، والدعوة اليها ، وعلى المحروم[3] حتى يعلم الطلب وللطاعة لمن هداه .

قال الغلام : أرأيت هذه المنة التي خص الله اوليائه ، أهي سواء في معانيها ، (14) فيستوون في فضلها ام لبعضها فضل على بعض ؟ قال[4] العالم : اوليس في كلامنا قد سبق ان لكل علم مقدمة علم دونه ، ولكل منه حملة فهم درجات عند ربهم ، فكيف كلاً من فهم ما اكتسب من علم ، ثم يؤتى كل ذي فضل فضله ، عدلاً منه في خلقه ، ورحمة لعباده ؟

قال الغلام : فهذا الذي تدعو اليه اهو تلك المنة ام غيرها ؟

قال العالم : لا هو هي بكنهها ، ولا هو غير ، بل هو منها كغرفة ماء من سبعة الفرات ، فانا ادعوك الى ما ارتضاه الله لعباده ، يولم كلمه ، فهو عزيز مصون كريم مكنون شرفه بثوابه كرامة لمن اقامه وعززه ، وبالمنة علوم حكمه نير ، وعدله بينّ ، فهذا ما أدعوك اليه .

قال الغلام : فما جعلك اخص بهذه امر من غيركم ، وأحق به ممن سواكم ، إذ زعمت انه من الله للخلق عامة ، فكل يدعيه دون غيره ، مما جعلكم احق باسم الحق منهم ، ولم يأتكم هذا الأمر إلاّ من حيث(15) أتاهم ؟ قال العالم : ليس من أحد يتكلم بكلمة حق إلا وقد أخذها من الأصول التي عنها أخذنا ، فهم يجمعون معنا على ذلك

---

(1) للباطل : للطلب في ك

(2) نفسك : سقطت في م

(3) المحروم : الحرام في م

(4) قال : سقطت في ك

بالإقرار منا ومنهم . ثم فرّق(1) بيننا وبينهم ، مفارقتهم لتلك الأصول التي(2) وصينا عليها وطاعتنا لها ، وعصيتم وحفظنا لما حملنا ، وتضييعهم وقيامنا بما كلفنا ، وتفريطهم فوافقونا(3) بالإقرار ، وخالفونا بالعقل ، فاقرارهم شاهد لنا عليهم ، وتضييعهم يدل على فقرهم الينا ، وفاقتهم الى ما في أيدينا ، كالأخوة الذين ورثوا(4) من أبيهم مالاً عظيماً فاقتسموه بالسوية فتصارع(5) بعضهم حتى افترقوا وانفرد بعضهم عن بعض(6) وصانوا أو اتجروا فضوعف المال في أيديهم ، والتجأ الفقراء من أخوانهم اليهم يخدمونهم ، ويطلبون مساعدتهم(7) ، كذلك هؤلاء الذين ضيعوا منهاج رسلهم ، الجأهم الجهل الى طلب العلم من أهل الأصول الكريمة ، فالدليل على اننا أحق بالحق منهم حاجتهم(16) الينا ، وغناءنا عنهم ، فأصبح عالمنا يدعو لجاهلهم ، وكاسينا يستر عاريهم ، وغنينا يشبع جائعهم ، فوجب الحق للفاضل ، والفضل لكل ذي نعمة ، والشكر لكل ذي إحسان .

قال الغلام : واما فضلكم عليهم فقد تبين ، واما حجتكم(8) بالحق فقد ثبت على كل مضيع من العامة ، فما حجتكم عليَّ ، وأنا مقر بما ذكرت ، قائم بما وصفت ، منكر لما انكرت ، عارف بالحق وفضله ، قال للباطل وأهله ؟

قال العالم : حجتي عليك مثل حجتي عليهم ، اذ خالفتهم في الصفة ، ووافقتهم في المضي .

قال الغلام : وكيف ذلك ، وانا مقر بالحق لصاحبه ، وهم جاحدون ؟

قال العالم : فكنت فارقتهم بالاقرار إذ جحدوا ، فقد وافقتهم في المنع إذ منعوا ، فما ينفع الإقرار بالانابة ، وما نص الجحود مع البينة ؟

قال الغلام : فأنا انيب الى اهل الحق بحقهم اذا عرفتهم ، او الى وكيل يثبت لهم ، فدلني على ايهما امكن ؟ (17) قال العالم : الا ترى إنك قد لجأت الى اثبات معرفة(9) صاحب الحق او وكيلاً ألجأتّ العامة الى اثبات الحق ففرّق بينكم الفعل ، وجمع بينكم الجهل .

قال الغلام : صدقت ، فبين لي .

قال العالم : اليس قد أقررت بثبات حجتي عليك ، وعلى العامة ؟

---

(1) فرق : فوت في ك
(2) التي : سقطت في م
(3) فوافقونا : فوتقفون في م
(4) ورثوا : ورناتهم في ك
(5) فتصارع : فيضع في م
(6) عن بعض : سقطت في ك
(7) مساعدتهم: نائليهم في ك
(8) حجتكم : حواجكم في م
(9) معرفة : معفرت في ك

قال الغلام : بلى .

قال العالم : صدقت ، فهل يقدر احد ان يثبت حقاً لغير نفسه ؟

قال الغلام : لا يقدر على ذلك احد .

قال العالم : فقد ثبتت(1) الحجة عليك وعلى العامة ، فما بقي الا التسليم والإنابة الى من افتقرت اليه ، واستغنى عنك .

قال الغلام : أما فقري فأنا مقر به ،واما الغنى فابعده(2) عني فأنا اطلب فارحمني .

قال العالم : أرأيت من اضطره الفقر الى ذي نعمة هل ينال نعمة شيئاً إلاّ بمكتسب او بتفضل ؟

قال الغلام : نعم .

قال العالم : فهل يكون لأهل التفضل من فضل اهل المكاسب شيء ؟

قال(18) الغلام : لا يكون .

قال العالم : واطلب هذا الشأن بالعمل ، فتناله بالاستحقاق ، ولا تطلبه بالتملق فتناله بالفضل ، فتكون محروماً .

قال الغلام : فأنت المفتاح الخير ودليله ، فدلني على افضل الطريقين معنى ، وأقربها لعندي(3) فقد اوثق اسري ، لأنه(4) عظيم الفاقة اليك ؟

قال العالم : يا بني لا بعد لك ، ولا تثريب عليك ، وما املت مني فهو واصل اليك ، ولكن له حدود ، فلا(5) تتعداها وشروط لا تنساها .

قال الغلام : حد من الحدود ما احييت ، وهات من الشروط ما رأيت ، فأرجوا ان تجدني لبلواك صابراً ، او لإحسانك شاكراً .

قال العالم : إن اول الحدود اقامة ظاهر(6) وشرائحه ، والعمل من ذلك بما تعلم فانه من عمل الله بما يعلم هداه لله الى علم ما لا يعلم .

قال الغلام : فإن الكتب كثيرة ، وكلها من عند الله ، ولكل كتاب منها عالم من الخلق ، متمسك به ، فكلهم مجمعون على الصيانة(19) لها ، والديانة بها .

---

(1) ثبتت ، سقطت في م

(2) فابعده : سقطت في ك

(3) وأقربها لعندي واقربها لقدي في ك

(4) لأنه : لك في م

(5) فلا : وفي م

(6) ظاهر : ضامر في م

قال العالم : فقد رجعنا الى كلامنا الاول ، واحتجنا الى تثبيت[1] ما لا يجب علينا تثبيته .

قال الغلام : وكيف ذلك ؟

قال العالم : من قولك ان الكتب كثيرة ، وكلها من عند الله ، ولكل منها عالم أفتتوهم ان كلمات الله وكتبه يبطل بعضها بعضاً ، او يكذب اولها آخرها ، وآخرها اولها ؟

قال الغلام : لا أتوهم ذلك ، ولكن ما الحجة فيه ؟

قال العالم : لو عمل الخلق في الكتاب الاول لدلهم على الثاني ، ولو عملوا بالثاني لدلهم على الثالث ، حتى يكون المنتهى في العمل الى آخر كتاب ، لأنه أولى مما قبله ، وان كانت كلها من عند الله لأن الآخر هو اقرب[2] عهد ، وأوضح مذهباً اذ كان ناسخاً لما قبله ، ولم يأت بعده ما ينسخه .

قال الغلام : صدقت وبينت معرفة الحق ، واعلام الصدق ، فأنا اقيم[3] الحدود التي امرتني بها فما شروطك علي ؟

قال العالم : شروطي عليك خمسة : الا تضيع(20) علي ان ائتمنتك ، ولا تكتمني اذا سألتك . ولا تطلبني حتى اجيبك ، ولا تسألني شيئاً حتى ابتديك ولا تذكر امري لأبيك .

قال الغلام : فاني افعل جميع ما ذكرت ، وهو سهل على العظيم ، أرجوهن قبلك ، فكيف الحيلة بأبي فانه من اعظم المحن علي وأبلاها ، الا افتأذن بالنقلة عنه ؟

قال العالم : إن النقلة عنه دليلاً له الى غيره ، ولكن[4] اقم عنده ، وبره ، وارضه ببعض الموافقة له ، واحفظ سرك ، واستر امرك ، فان الله سيكفينا شره ، وشر غيره .

قال : فمكث العالم والغلام يجتمعان ويفترقان برهة من دهرهما ، والغلام في حيرة من امره لا يعلم غير ما اوقفه عليه من الشريعة ، ولا يعلم مستقر العالم ، ولا يقدر ان يطلب لما شرط عليه ، حتى إذا طال به الأمر ، واستبان للعلم فضله ، وصبره على ما كلفه ، خلى به(21) ذات ليلة على هدف من الخلق ، وغفلة من المتبجسين[5] ، فلما استقر بهما المجلس ، وقضى نفس الغلام اقتراب حاجة ، وامكن الخلوة من صاحبه ، فخر له ساجداً ، فلما رفع رأسه ، قال له العالم : رأيتك سجدت ، والشكر قبل المضيعة[6]

---

(1) تثبت : ناوابت في ك
(2) اقرب : سقطت في ك
(3) اقيم : قوم في م
(4) ولكن : ومكن في ك
(5) المتبجسين : سقطت في م
(6) المضيعة : المضبيعة في م

يورثك التهمة ، ويقطع الشكر بعد الضائع ؟ قال الغلام : كل كلامك صدق ، وكل افعالك(1) ضائع ، وإنما شكري لما تقدم من فضلك ، ورجوت بالشكر الزيادة من قبلك .

قال العالم : إن الشكر لحقيق ان يوجب المزيد للشاكرين ، وقد وجب(2) حقك ، فأقبل اليَّ بقلبك ، واحضر ذهنك ، واستمع لما القي اليك .

قال الغلام : قد احضرت آلة الفهم ، واخذت عدة الإستماع ، فقل ما بدا لك .

قال العالم : إن للدين مفتاحاً يحلله(3) ويحرمه ، مثل الفرق بين السفاح والنكاح .

قال الغلام : (22) إن هذا المفتاح الذي ذكرت لعظيم عند الله ، اذا كان فارقاً(4) بين الحلال والحرام ، والحق والباطل ، فما هو ؟

قال العالم : هو عهد الله المؤكد لحقوقه ، الجامع(5) لفرائضه ، الجنة لأوليائه ، حبل الله في ارضه ، وأمان بين عباده ، اذكره لك ، واخذه عليك .

قال الغلام : نعم خذ ما احببت لا كره رأيتك ، ولا اتغدى سنتك .

قال : فأقبل العالم يتلو العهد على الغلام ، ويرتله له ، ويعقده عليه ، والغلام لا يملك نفسه جزعاً ، ودموعه تنحدر من شدة العبرة ، حتى بلغ به آخر العهد ، فحمد الله ، واثنى عليه ، وشكر عليه ، ما اوصله اليه ، وأيقف انه قد صار في حزب الله ، وحزب اوليائه ، بقبول عهدهم . ثم سكت من تحميده ، واخذ العالم في الشرح(6) والبيان ، فكان اول ما قال له العالم من الشرح والبيان ، وأوائل الأسباب الظاهرة ، ومبتدأ(23) خلقها ، ان الله مبتدع الأشياء ومكونها ، خلقها فابتدأها من غير اول خلق سبق فانقاس(7) به دليلاً لما خلق ، بل هو اول كل اول ، ووراث كل كائن ، فابتدأ خلق ما خلق ، من نوم تفرع منه ثلاث كلمات أولها ارادة ، وتفرع الأمر ، وتفرع من الأمر القول لما يشاء كن فيكون ، فكان اول خلق صحيح الإرادة ، أمر من الإرادة أمر بقول ، فذلك ثلاث كلمات تفرع(8) منها كن حرفين فيكون خمسة احرف ، فذلك سبعة احرف ، أصول تفرع منها سبعة أشياء ، خلق من النور الهواء هو أولها ، فرد عن الازدواج ، فريد(9) عن الأشياء ، ممازج لها ، محيط بها ، ولا محرم به عنها شيء ، فهو دليل على من ليس كمثله شيء . ثم خلق من تلك الثلاثة كلمات الماء ، والظلمة ، والنور ، نور السموات والأرض . ثم خلق من الماء دخان ، وخلق من الظلمة تكاثف الحما ، وخلق من النور ناراً ، فهذه ثلاثة اشياء قبلها فصارت أزواجاً لها ، لأنها خلقت منها ، والهواء السابع(24)

---

(1) افعالك : سقطت في ك
(2) وجب : جلب في ك
(3) يحلله : يحلاه في م
(4) فارقاً : فوارقا في م
(5) الجامع : الواجع في ك
(6) الشرح : الشرور في ك
(7) فانقاس : فناس في ك
(8) تفرع : سقطت في م
(9) فريد : فوار في م

مالك لجميعها ، فكان هذا اول الخلق ، ومبتدأ الاشياء ، فلما ثبتت[1] الأرض على سبعة اصول ، وجرى منهاج الاشكال على الشبه والأمثال ، خلق من الدخان سبع سنوات وآياتها ، وخلق من تكاثف الحمأ سبع ارضين واقواتها ، فهذه الفروع السبعة ، ثم نظرنا في آيات السماء ، وأقوات الأرض ، ما هي وما شواهدها ؟ فرجعا بالقول الى الكلمات الثلاث وحروفهن ، التي منها خلقت السبعة ، وهي إرادة امر يقول ، فذلك اثنا عشر حرفاً ، وآياتها في السماء اثنا عشر برجاً ، وشواهدها سبعة افلاك وآياتها في الارض اثنا عشر جزيرة ، وشواهدها السبعة سبعة أبحر ، فتلك آيات السموات والأرض يمرون عليها ، وهم عنها معرضون . ثم كانت السموات والأرض رتقاً بالظلمة من الجماد الأسود ، وهي من سلطان الأرض ، ثم فتقها بالأنوار فامتزج(25) النور والظلمة ، المختلفات ، ففرق بينهما بالليل والنهار آيتين ، فجعل الليل وهو آية منهاج الظلمة وقسماً ، وجعل النهار وهو آية منهاج النور وقسمه ، فاغبرت الليلة بظلمة ، والقمر والنجوم ايته ، واستشرق النهار بنوره ، وبصائر الشمس آيته ، ثم نتجت منهما الأيام زوالاً بين الليل والنهار ، وهي سبعة ايام ، وآياتها لكل يوم منها اثنا عشرة ساعة ، ولكل ليلة اثنا عشر ساعة ، فلما تكامل خلق الاشياء على هذه الصورة جعلها ازواجاً ذكرانا واناثاً ، لا اعين كالذكور والأناث ، ولكن من جهة الفاضل والمفضول ، ثم جرت السنة بخلق الأزواج ، فخلق من جواهرها جميع الحيوان من الناس ، والدواب ، والطير ، والهوام . ثم جرت في الكلام فصارت ازواجاً صفات وموصوفات ، وأسامي ومعاني ، فسبحان الذي خلق الأزواج(26) كلها ، فجعلها ظواهر لأمره ، وأمثال لدينه ، ودلائل على قدرته فدل بالأشياء على منشئها ، ودل بالبرية على باريها ثم فتقها بنوره فابتدأها بأمره وخلقها بعلمه وختمها من اسمائه ، بحروف بسم الله الرحمن الرحيم ، حتى اذا اكمل جميعها بصنعه ، وألفها ازواجاً بتقديره ، اصطفى لنفسه من صفوة مشيئته ، وغوامض غيوبه ، علماً كثيراً ، ونوراً مبيناً فجعلها دنيا يدان الله له ، ويتقرب به إليه ثم اكرمه بالشرائع والكتب ، ودل[2] عليه بالأمثال والسنن ، ثم نصب له من خيار خلقه اعلاماً ، ودلائل ، وحكاماً ، بيوتاً لنبوته ، وخزائن لعلمه ، وحكمه ، وتراجمته لوحيه ، واستخلفهم في ارضه أدلة[3] على سبيل النجاة ، فيما ظهر وما بطن ، فمنهم الائمة والنطقاء ، ومنهم الحجج والنقباء ، ومنهم الدعاة الى الخير ، والعلماء ، فهم (27) في منازلهم كنجوم

---

(1) يلاحظ ان المؤلف ينهج منهج جماعة اهل الحق عندما يرتب التفاعلات الفلكية والتأثيرات الجرمية عندما يتعرض لترتيب عالم الخلقة الكونية معتمداً على نفس التقسيمات السباعية ولاثنا عشرية المتعلقة بالأفلاك والكواكب ، ويطابقها مع عالم الصنعة النبوية . فالافلاك سبعة ، والابراج اثنا عشر ، وكذلك بالنسبة لعالم الدين وما فيه من نطقاء وحدود ودعاة منتشرين في جزائر الارض التي كانت معروفة في تلك الايام . ثبتت : سقطت في م .

(2) ودل : سقطت في م

(3) أدلة : أذلة في ك

السماء ، سمت بهم ، وتناهت بهم الأمثال ، فامامهم كالشمس العظيمة في الانوار الممتنعة بحجبها عن الأبصار(1) عنها ، ظاهرة ومثلة ، وحجتهم ، وباب امامتهم ، كالقمر المنير وظاهره ، ومثله ، ودعاتهم كالنجوم الزواهر ، وهي زواهر ، وهم امثالهم ، فجميع ما وصفت(2) لك من الأزواج كلها ظاهر وباطن ، ومثل وممثول ، فالظاهر من السموات السبع ، أمثال ، وباطنها النطقاء السبعة ، اولو العزم من الرسل ، والارضون السبعة ظاهرها امثال وباطنها الأئمة الهداة (3) فلكل ناطق منهم اثني عشر برجاً ، كذلك لكل إمام من الأئمة الهداة اثني عشر حجة ، يحتج بها الى قومه ، ومثلها من الارض اثني عشرة جزيرة ، والجزائر مساكنهم في كل جزيرة حجة ، ولكل حجة دعاة كثيرة وقليل ، زيد في الخلق ما يشاء لبلاغ الحجة حجة الله (28) في خلقه لئلا يكون الناس على الله الحجة بعد الرسل ، فهذه الأسباب اسباب الله التي وصفت(4) لكم ، بلغت حجة الله على خلقه ، وظهر فيهم عدله ، ظاهراً وباطناً ، فالباطن دين الله الذي دان به اولياء الله ، والظاهر شرائع الدين وامثالها ، وصار الدين للشرائع نفساً وروحاً ، وصارت الشرائع للدين جسماً دليلاً ، ولا قوام للجسم إلاّ بالروح ، لأنه حياته ، ولا قوام للروح إلاّ بالجسم لأنه جثته(5) ، كذلك الظواهر من الشرائع وغيرها لا قوام لها إلا بالدين الباطن ، لأنه نورها ومعناها ، وهو روح الحياة فيها ، ولا قوام للباطن إلاّ بالظاهر ، لأنه جثتهم دليله ، فالظاهر(6) عليه الدنيا لا ترى الا به ، وليس حرف من حروف الباطن ولأولى من الأول شواهده ، في الظاهر كثيرة لكثرة الامثال واتساع الشرائع ، (29) والكلام في هذا يطول ويكثر وكلما كثر جوابه من كلام الحكمة خفي صوابه ، وأنسى اخره اوله لنفاسته ، وصفاء(7) جوهره ، فنور الحكمة يغشى بعضه بعضاً ، كما يغشى نور الشمس نور القمر والنجوم فيضعفه ، كذلك كلام الحكمة يزين لسان الرجل الحكيم .

قال الغلام : رأيت هذه الدنيا التي انشأ فيها هذا الخلق العظيم كنهه ، الكثير عدده من الأولين والآخرين ، وهم فيها مختلفون ، فقوم كلفوا بالدنيا ، ولجوا في طلبها ، ولم يروا الفضل إلاّ في الاستكثار منها وقوم يذمونها ، ويزهدون فيها ، ولا يستغنون عنها ، وكل ما حرم كثيره فقليله حرام ، ولم اسمع منك فيها ذكرا ، ولا خبراً فما قولك فيها ؟

قال العالم : أما الدنيا فلم يذمها احد قط ، لا عالم ولا جاهل ، لأن الجاهل يعرف فضلها لأن(8) الفضل معناها ، فلا يذم الدنيا (30) احد قط الاّ جاهل ، فكيف يجوز(9) للخلق ان يذموا فعل الخالق ، وأما قولي انا فإن الدنيا نصبت لمن يرى على سبعة اشياء

---

(1) الابصار : الانصار في ك
(2) ما وصفت : ما صفت في ك
(3) الهداة : الهدى في م
(4) وصفت : سقطت في م
(5) جثته : سقطت في م
(6) فالظاهر : الظواهر في ك
(7) وصفاء : صفراء في م .
(8) لأن : سقطت في م
(9) يجوز : جواز في م

تفرعت من اصول سبعة ، سماء ، وارض ، وظلمة ، ونـور ، ومـراكب ، ونعـم(1) ، وبؤس . فذلك سبع خصال تفرع من كل خصلة منها سبع خصال ، فالسموات سبع ، والأرضون سبع ، والنور سبعة ، يوم تدور على سبع ليال ، فالسبت للأسبات والراحة ، والأحد للحدود والسنة ، والاثنين للمثاني والمعني الكبير ، والثلاثاء له ثلاث منازل ظاهر وباطن ، وباطن للباطن ، والأربعاء للأربعة الحمـر ، والخميس للخميس ، والجمعـة ناموس الله الأكبر ، والظلمة سبع(2) ليال ، جنة للأيام السبعة ، لكل يوم ليلة ، والمراكب سبعة : الابل ، والخيل ، والبغال ، والحمـير ، والفيلـة ، والبقـر ، والسفـن ، فهـذه المراكب السبعة تقطع عليها فلـوات الارض ، فالابـل (31) للرمـل ، والخيل للسهـول والبغال للجبل والحمير للمقاصد ، والفيلة للمفازة والقفار ، والبقـر للسياخ والاجـام ، والسفن للبحار ، فذلك سبع مطايا لسبعة ، ونعم الدنيا مركبة(3) على سبعة : الهواء ، والماء ، والنور ، والظلمة(4) والطعام ، واللباس ، والنكاح . والهواء منه فرجة بين السماء والأرض تنشأ(5) فيها الرياح [وتتردد فيهـا الأنفـاس] والماء حياة الحيوان ، والنـور مواد الابصـار ، والظلمـة زيادة النبـات والطعـام عيش الأبان ، ولبـاس للأجســاد(7) يواري السواءت والنكاح لقاح التناسل ، وأسباب الزريات ، فمنها مفاتيح الخير ، ومنها معادن البركات . فأي هذه مذموم وكلها من أيادي الله ونعمه التي يجب شكرهـا على عبـاده ، واضدادها من البؤس سبعة : الحرّ ، والبرد ، والجوع ، والعطش ، والخوف ، والمرض ، والموت ، فذلك سبعة يجب الصبر عليها بعد معرفة معناها .

قال(32) الغلام : هذه صفات الدنيا لا شك فيها ، وما منها شيء إلاّ وهو من صنع الخالق وتركيبه ، فما بال(8) العلماء يذمون الدنيا ، ولا غناء لهم عنها ، ومدحها الجاهلون فأراهم قد أصابوا المعنى وان جهلوا فصوابهم في هذا يلزم العلماء الخطأ لمخالفتهـم أهـل الجهل في كل المعنى .

قال العالم : فإن العلماء لم يخطئوا في ذم الدنيا ، ولكن لا يعلم الخلق ما معنى هذا في ذلك ، ولم يدرك الجهال فيما مدحوا من الدنيا صواباً ، اذ جهلوا معناها ، ومن جهل شيئاً عاداه .

قال الغلام : فبين لي مصداق قول العلماء حتى يصلح لي صدقهم ، وميز لي قول اهل الجهل بما يبين كذبهم ، اذا كان الظاهر يدل على خلاف ذلك ، فإن صدري ضاق من

(1) ونعم : ونعمر في ك
(2) سبع : سقطت في ك
(3) مركبة : سقطت في ك
(4) الظلمة : الظلام في م
(5) تنشأ : تنشوا في م
(6) وتتردد فيها الأنفاس : وترد فيها الانفاش في ك
(7) للأجساد : جنة في ك
(8) بال : بل في م

جهل هذا ، فلا أرجو الفرج الا بعلمه .

قال العالم : إن الدنيا وجميع ما وصفت لك منها ظاهر لباطن ،(33) فلا قوام له إلا به ، لأنه بمنزلة الروح من الجسم ، فمن عرف الروح طاب له الجسم ، ومن لم يعرف الروح واعترف بالجسم كان الجسم عليه ميتاً ، والهيته الميتة حرام ، فمن ها هنا نهت العلماء عن الدنيا الميتة التي تهى(1) الله عنها ، حتى يؤتى من حيث يشاء الله . وبأن كذب أهل الجهل بمدح الدنيا إذ لم يعرفوا باطنها ، وما أراد الله بها ، وظنوا ان الله خلقها لغير معنى ، والله لم يخلق الأشياء عبثاً ، أو لو كانت الدنيا وما فيها لم تخلق إلاَّ للدنيا ينشىء فيها خلقاً ، ثم يتلاشى ، لم يكن له عاقبة ، ولم يكن له معنى ، وكل فعل لا عاقبة له فهو لعب ، وكذلك الكلام الذي(2) لا معنى له فهو كذب ، والله أعز من ذلك .

قال الغلام : قد ثبت صدق العلماء وبان فضلهم ، وامتاز اهل الجهل وبان(34) كذبهم ، فيما ظهر من الحجة ، وبقي لنا معرفة باطن الدنيا وما فيها ، فاني ارى الضيقة التي كنت شكوت اليك قد زال ضيقها .

قال العالم : فما جزاء من اخرجك من ضيق(3) الفاقة الى رحب الساعة ؟

قال الغلام : الشكر والثناء .

قال العالم : فما جزاء من اخرجك من ضيق الجهل الى ساعة العلم ؟

قال الغلام : الطاعة .

قال العالم : فإن الدنيا وجميع امثالها ظاهر للأخرة وما فيها ، فهي روحها ، وحياتها ، فمن سعى في الدنيا للدنيا بلا معرفة للآخرة كان سعيه(4) ضلالا ، إذ لا معنى لسعيه ، ولا عاقبة له ، ومن سعى في الدنيا للآخرة ، وهو مؤمن بها ، كان لسعيه معنى وعاقبة ، وكان سعيه مشكوراً .

قال الغلام : صدقت فبين لي معالم الدنيا وما فيها ، وقابل لي الامثال بالممثولات لأمر بواطنها ؟

قال العالم : ان الله تبارك وتعالى لم يخلق شيئاً(35) من اشياء الدنيا لاذبة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه ، ولا رطباً ، ولا يابساً من الجماد المنصوب مثل الجماد والحجارة ، والأشجار ، والمعدن ، من الذهب ، والفضة ، والجوهر ، وجميع الأشياء ما

---

(1) تهى : سقطت في م
(2) الذي : سقطت في ك
(3) ضيق : ضوق في ك
(4) سعيه : مسعاه في م

كبر منها وما صغر ، ألا وهو مثل مضروب ، ألا ترى الذرة على صغرها ، وألطف معناها ، لها حدودها ، وأمامها ، وخلفها ، ويمينها ، وشمالها ، وفوقها ، وتحتها ، وذلك ستة حدود ، وهي الحد السابع ، فكذلك جميع (1) ما خلق الله من الأشياء من الذرة والبعوضة ، إلى ما فوقها من السماء والأرض ، وما بينهما من كبار الأشياء وصغارها على هذا المثال لكل شيء منها ستة حدود ، والشيء منها هو السابع ، دليل على الأصول التي منها خلقت الأشياء ، والهواء المحيط بها هو السابع مالك لجميعها . فان اتسع صدرك للمسائل ، والنظر في الامثال ومقابلة كل شيء منها بشكله(36) من الازواج الباطنة ، فأسأل عما بدا لك !

قال الغلام : فما مثل السماء يطويها على الاشياع ، واتساع(2) اقطارها حتى حوت على جميع الاشياء ؟

قال العالم : مثلها مثل الإمام الناطق الذي علا(3) على جميع الخلق بفضله ، وارتفاع درجاته ، وهوى على جميع الأحكام ، أحكام الشريعة لسعة علمه .

قال الغلام : فما مثل البروج الاثني عشر وسائر نجومها ؟

قال العالم : مثل الاثني عشر نقباء الإمام الناطق ، ونجومها دعاتها التي تدعو إلى الخير ، باذن ربها .

قال الغلام : فما مثل الأرض وسعتها ، اذا جعلت(4) قراراً لهذا الخلق ومهاداً ؟

قال العالم : هي مثل لباب الإمام الناطق في حياته ، ووصيه بعد وفاته ، وهو مثابة للناس ، وقرار لمن طلب الهدى ، وهو عالم بالأمثال ، والتأويل الباطن .

قال الغلام : فما مثل اثنى عشرة جزيرة(37) في الارض ؟

قال العالم : امثال الحجج الاثني عشرة حجج الاوصياء .

قال الغلام : فما مثل انهارها وعيونها ؟

قال العالم : امثال الدعاة الى الخير(5) .

قال الغلام : فما مثل املاك السموات ، وافلاكها ؟

قال العالم : تلك اسباب بين الله وبين النطقاء وهي كاب ح لا آدم له م ح و فذلك السبعة والفلكان فتلك اسباب الله الكبرى .

---

(1) جميع : جماعة في ك
(2) واتساع : وسعة في م
(3) علا : سقطت في ك
(4) جعلت : عجلت في م
(5) الخير سقطت في ك

قال الغلام : فما مثل البحار(1) السبعة ؟

قال العالم : هي اسباب بين الله ، وبين ائمة الناطق ، دون تلك الأسباب .

قال الغلام : فما مثل الماء المالح والعذب ، واختلافهما ، اللذين في الارض .

قال العالم : الماء المالح مثل علم الظاهر(2) ليس فيه دعوة ولا دعاة ، كذلك الماء المالح ليس فيه زرع ولا نبات من زرع ولا من غيره ، والماء العذب(3) مثل علم الباطن ، اما عيون في الارض ، واما الماء الجاري فوق الارض ، وكذلك(38) العلم علم الباطن ، اما ظاهر يجري بالدعاة ، وأما باطن مكتوم .

قال الغلام : كيف صار الماء مثل العلم ؟

قال العالم : لأن الماء حياة لكل حيوان ، وكذلك العلم حياة لكل عالم .

قال الغلام : فما مثل الهواء المحيط بكل الاشياء ؟

قال العالم : الهواء اعظم من ان يكون مثل الممثول .

قال الغلام : الهواء اعظم ، ام السماء والارض فهما امثال ؟

قال العالم : سبحان الله ، بل هو اعظم منهما ، وان سعة(4) الارض في الجو كمثل خلق الخاتم في ارض فلاة ، وان سعة السماء واقطارها في سعة الهواء ، كالبيضة في ارض فلاة ، فأي ممثول يدرك هذا فيكون له دليلاً مثلاً ؟

قال الغلام : فما معناه ؟

قال العالم : هو دليل على من ليس كمثله شيء(5) سبحانه عما يشركون .

قال الغلام : اوليس قد قال الخالق فلا(39) تضربوا الله الأمثال ؟

قال العالم : اوليس قد قال الله : ولله المثل الاعلى ؟

قال الغلام : سبحان من الغز(6) في كتابه ليؤتى من ابوابه ، فأنت من ابوابه فبين لنا كيف هذا ؟

قال العالم : إن لكل شيء معنى ، ومعنى الامثال انها في الظاهر دلائل على الباطن فنهى تبارك وتعالى من أن يقاس بشيء من خلقه ، فيقال هذا مثل(7) الله ، كما يقال هذا

---

(1) البحار : الحوار في م
(2) الظاهر : سقطت في م
(3) العذب : العذبان في ك
(4) سعة : سعات في ك
(5) شيء : سقطت في م
(6) الغز : وعز في ك
(7) مثل : مثالات في ك

مثل الإمام ، وهذا مثل الحجة ، وهذا مثل الداعي ، فصارت امثلتهم دلائل عليهم ، وعلى تفاضلهم ، فلم يجب في العظمة ان يقاس الخالق الى شيء من خلقه ، بقول ، ولا فعل ، فلا يقال هذا مثل الله ، ولكن تؤخذ الامثال على معانيها ، فان معانيها لها دلائل تدل صغارها على كبارها ، وكبارها على المعاني العليا ، والعليا تدل على العلى الا العلى ، (40) فلذلك قال الله تعالى : (ولله المثل الاعلى) يعني الدليل للأعلى الذي لا دليل على شيء اعلى من الدليل على الله ، وهو الهواء الاعلى على السموات والأرض ، المحيط على جميع الاشياء ، ولا يحيط به شيء ، فهو المثل الاعلى ، وهو الدليل على من ليس كمثله شيء ، ولم يقل ليس[1] مثله شيء ، إذ لا مثل له ، ولكن غني ، اذ ليس الدليل عليه كما الدلائل له المثل الأعلى ، وليس كدليله دليل[2] من ادلة غيره مما وصفنا من خلقه ، فتبارك الله رب العرش العظيم .

قال الغلام : لقد عظم المعنى واتسع[3] الهواء ، فهل كان قبل الهواء بشيء بينه ، وبين الله لعظيم ما وصفت فيه ؟

قال العالم : نعم .

قال الغلام : ما هو ؟

قال العالم : الأوان .

قال الغلام : وما الأوان ؟

قال العالم : الأوان [وهو الارادة][4] التي بها خلق ما اراده وامر بما يشاء .

قال الغلام : لقد ولجت بي في لجج (41) البحار من الماء الأعلى ، فعد بي الى علوم الدنيا وأمثالها ، لعلي استعين بها على امري ، وأقوى بها على حمل ما يراد بي حمله ، فقد تخوفت على نفسي ، وأشفقت على عقلي ان يتاه بي الى ما لا اطيق كنهه .

قال العالم : انت علوت بمسألتك فعلى بك الجواب[5] الى العلياء من ظاهر المعنى فتاه فيه رأيك ، وتحير فيه عقلك ، فكيف لو كشفت لك باطنه ، لكنت انا وانت كموسى[6] والعالم ؟ !

قال الغلام : أو لهذا الباطن باطن هو أبطن منه ؟

قال العالم : لعمري ان للباطن باطناً هو أعلى منازل ، وأوسع منه قدرة ، واكمل

---

(1) ليس : سقطت في ك
(2) دليل : دلائل في م .
(3) واتسع : سعى في ك
(4) وهو الإرادة : سقطت في م
(5) الجواب : الجلال في ك
(6) كموسى : كياس في ك

منه هدى ، فهو غاية الأدلة الى طريق النجاة .

قال الغلام : فأنا ارى ها هنا ثلاث طبقات من العلم ، ظاهراً ، وباطناً ، وباطن الباطن ، أفلهذا دليل [1] ؟

قال العالم : (42) فأين الدليل إلاّ لهذا ، وما يدل عليه ؟ !

قال الغلام : فدلني على مثل هذه الثلاث طبقات ؟

قال العالم : انا ادلك من كتاب الله تعالى ، ومن حجة العقل ، وما يدل عليه جمهور الامثال ! !

قال الغلام : فما ظننت ان وراء ما بلغت حريصا ، وأن امر الله لأعظم مما تسمو اليه اوهام المتكلفين .

قال العالم : اما من كتاب الله تعالى فقوله : (يا بني آدم قَدْ أنزلنا عليكم لباساً يواري سؤاتكم ، وريشاً ولباس التقوى ذلك خير [2] . فذلك ثلاث : ظاهر ، وباطن ، وباطن الباطن .

قال الغلام : صدقت .

قال العالم : واما من حجة العقل فلا يعرف الشيء الا باسم او صفة او معنى فالمعنى هو كنه الشيء والاسم له ، والصفة دليل عليه ، كذلك ، دين الله له ظاهر واسم ، وباطن دليل عليه ، لا يقوم الا بهما ، فلا يدل على الشيء الا اسم او صفة [3] ، مثل قول القائل : طلع(43) القمر . فالمعنى هو القرص ، والقمر هو اسمه ، وطلع صفته وان قال قائل : قرص ثم سكت لم يكن له معنى ، ولو قال : قمر ثم سكت لم يكن له معنى ولو قال : طلع ثم سكت [4] لم يكن له معنى ، حتى إذا جمع الاسم ، والصفة ، فقال : طلع القمر . تبين المعنى ، وصح الكلام في ذلك ، وكذلك ، اذا قلت ظاهر إقتضى جواباً ان ظاهر له ولو قلت : باطن إقتضى جواباً أن يقال باطن . واذا قلت : ظاهر الدين وباطنه ، عرف الكلام ، وصار دينا له ظاهر ، وباطنه بمنزلة الشيء الذي له اسم وصفة . كما قال تعالى : «ذَرُوا ظاهر الاسم وباطِنَهُ» [5] فصار الاسم هو الشيء وله ، وظاهر وباطنه كذلك دين الله الأكبر ، الذي يقال الشرائع ظاهره ، والباطن باطنه ، وهو قائم بنفسه ، فلمعرفة معناه امثال كثيرة تدل عليه مثل البيضة المكنونة(43) التي لها ظاهر يكنها ، وباطن

---

(1) دليل : دلالات في م

(2) سورة : 7 / 26 .

(3) صفة : صراف في ك

(4) سكت : سكوت في م

(5) سورة : 6 / 120

مراق ابيض ، وباطن باطنها مخ اصفر ، وهو جوهرها ومعناها .

قال الغلام : اوليس الدنيا والآخرة زوج ، والروح(1) والبدن زوج ، وعلم الظاهر والباطن زوج ، ومثل هذا من الازواج على ما وصفت وهي ازواج كثيرة من الإزواج كلها ؟

قال العالم : صدقت ولكن هي ازواج له ؟ !

قال الغلام : ازواج تدل على دين الله .

قال العالم : صدقت . فالزوج ظاهر اسم ، وباطن صفة تدل على علم الله ، وعلى دين الله ، وهو باطن الباطن ، وكذلك الخلق خلقوا على ثلاث منازل : اولها خلق الملائكة ، والثانية خلق الأدميين ، والثالثة خلق البهائم . ثم فالظاهر من العلم حد البهائم ، ومن علمه بلا باطن كان بمنزلة البهائم ، وعلم الباطن (45) علم بني آدم وحدهم ، ومن علمه كان مؤمناً ، وكان بمنزلة الآدميين ، وعلم باطن الباطن علم الملائكة فمن علمه كان روحاني ، العالم جسماني البدن ، وكان نبياً مبعوثاً يستخلفه الله في ارضه ، ويحتج(2) به على خلقه ، فهو حجاب الملائكة ، وهو رموز الوحي وترجمانه لبني آدم ، معه مفاتيح الجنان ، لا يدخلها الا من اطاعه ، ومعه جوار هي النار التي لا يدخلها إلاّ من عصاه ، ومن الناس رجلان : عالم رباني قد علم غاية العلوم ، وباشرت روحه روح اليقين ، فهوَ عالم(3) بعلمه ، وهو رباني بعلمه وآخر متعلم على سبيل نجاة ، وسائر الناس همج رعاع ، لا يعلمون شيئاً اتباع كل ناعق ، قد غوى في ضلاله ، واغواهم(4) بجهالته ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ، كلاً وقد خلت من قبلهم المثلات ، ولن يخلف الله وعده ، وان للكافرين أمثالها .

قال الغلام : (46) هكذا يكون الفضل ، وهكذا يكون(5) العلم والبيان ، فهنيئاً لأمر الله ، وهنيئاً للتابعين باحسان ، فهل تنال هذه المنزلة العظيمة ، على سبيل المنازل(6) التي هي دونها ؟

قال العالم : هيهات يا بني تلك منزلة قد اكرمها الله على جميع المنازل والدرجات ، فلا تنال الاَّ بعمل فاضل ، فان علمت عملها ، وسعيت سعيها ، بيقين صادق(7) ، وقلب زكي واع ، رجوت ان تدرك منها ما ادركه اولياء الله المصطفون الاخيار .

---

(1) والروح : والزوج في ك
(2) يحتج : يحتاج في م
(3) عالم : علم في ك
(4) واغواهم : وغناهم في ك
(5) يكون : سقطت في م
(6) المنازل : نزل في م
(7) صادق : سارق في ك

قال الغلام : ومن يطمع ان ينال مثل تلك المنزلة التي رفع الله بها اوليائه ؟

قال العالم : إن الهم لأهلك ، وما بين الله وبين احد قرابة ، وما يقرب(1) الخلق الى الله الاّ التقى والعمل الصالح ، والعلم(2) الذي رفع الله به اوليائه انك الفي اوله ، فان علمت به ادركت آخره ، وكان حقيقاً على الله ان يبلغك مبالغ الصالحين(47) منهم ، ولا يظلمك منه شيئاً مما اعطاهم .

قال الغلام : فهل يمكنك(3) ان تعينني على ذلك ، بمعنى كما كان الفضل منك اولاً ؟

قال العالم : هذه منزلة لا يصلح فيها غير عمل اهلها .

قال الغلام : فكيف ذلك ، وقد امكنك من قبل ؟

قال العالم : ان الزراع يمكنه ان يطيب الارض ، ويبذر ويسقي ، ولا يمكنه ان يخرج النبات والاكمام ، والرجل يمكنه ان يمني متى شاء ، ولا يمكنه ان يخلق منه ما يشاء ، فعز عليَّ يا بني ان تستعين بي في شيء ، ولا اعينك عليه ، شرح(4) الله صدرك ، وأنار بالهدى قلبك ، فعليك بتقوى الله ، وأحسن فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا ، فإنك على طريق النجاة ، وسبيل الهدى ، ومنهاج أهل التقوى ، فاسلك(5) سبيلك التي انت على اولها ، واستمسك بحبلك الذي دعيت اليه حتى تهتدي بحبل من الله الى حبل الله ، فإنه غاية (48) الطالبين .

قال الغلام : أوليس حبل الله هو الإمام الذي دعوتني اليه ؟

قال العالم : هو ظاهر لذلك ، وهو حبلك ، والعروة(6) الوثقى حجتك ، وباب إمامك .

قال الغلام : فما حبل الله ، وما حبل من الله ؟

قال العالم : ذلك غاية هدايتك ، ومنتهى العالمين .

قال الغلام : فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، لقد غرق(7) في غمرات الجهل من ليس له دليل ، كما غرق في بحار الدنيا من ليس له سفينة .

قال العالم : وما الحول وما القوة(8) التي ذكرت انهما لا يكونان الاّ بالله ؟

---

(1) يقرب : يقرف في ك

(2) والعلم : وانه عالم في م

(3) يمكنك : سقطت في م

(4) شرح : مرح في ك

(5) فاسلك : سلكوا في ك

(6) والعروة : سقطت في م

(7) غرق : مرق في ك

(8) وما القوة : سقطت في ك

قال الغلام : نقول لا حيلة لي أن أجر الى نفسي منفعة ، ولا قوة لي أن أدفع عن نفسي مضرة عما أكره ، الا بالله .

قال العالم : فلو قلت لا حيلة إلاّ بالله ، ولم تقل إلاّ حول .

قال الغلام : فقد روينا في علومنا ، وعلوم العامة ، ان الحول هو السنة ، لقول (49) الله تعالى : ﴿ حولين كاملين ﴾[1] يعني سنتين ، وروينا ، وروت العامة ، ان القوة هي البغال ، لقول الله تعالى : ﴿ واتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أوْلي القوَّةِ ﴾[2] فقالوا : العصبة اربعون رجلاً والقوة البغال ، وكانت مفاتيح كنوزه اربعين بغلاً .

قال العالم : فكأن عنيت في قولك لا حول ولا قوة إلاّ بالله لا سنة ولا بغال إلا بالله ، فهذا عندك هو تأويل قولك ومعناه .

قال الغلام : ما عندي قول غير هذا ، وأنه لضعيف ، وما يشبه من كلام[3] الحكمة شيئاً واني[4] لأحسب ان المعنى فيه غير هذا ، مما هو أقوى منه في الكلام ، وأثبت منه في الأوهام ، فهل لها تأويل في الباطن غير هذا ؟

قال العالم : ما نطق الخلق بكلمة من الحق إلاّ ولها اصل في الباطن ، ولا كلمة باطل إلاّ وقد كان لها معنى ، فاحيل الكلام (50) عن معناه ، فصار محال عن موضعه ، مغير ، والحق إذاً لا يصير[5] باطلاً ، وإنما هو كلام يدرك ما بعده بالقياس ، والاشكال ، كما ادركه ما قبله بالشبه ، والامثال .

قال الغلام : صدقت[6] فما معنى الكلمتين وامثالها ؟

قال العالم : اما حول ، فهو إمام الله الناطق ، وخليفته الصادق ، وصاحب الاثني عشر نقيباً ، كذلك الحول ، وهو السنة ، لا تتم إلاّ باثني عشر شهراً ، وإنما سمي الإمام حولا لأنه حول كلام الخالق على لطيف كنهه ، الى كلام الأدميين حتى عرفَ وصارَ كلاماً ظاهراً ، وصار كلام الحكمة له جسماً وبدناً ، وكلام الخالق له روح الحياة ، ونور النجاة ، فشرف كلام الحكمة على سائر[7] الكلام ، لشرف كلام الخالق الذي هو باطنه ، فسمي الإمام الحول ، بتحويل الكلام ، ولا يحوله الا باذن الله ، والقوة حجته وبابه ، (51) الذي قواه الله على حمل الثقيل من القول ، فأخذه من الإمام مجملاً ، وفرقه على الدعاة

(1) سورة : 2 / 233
(2) سورة : 28 / 76
(3) كلام : الكرام في م
(4) واني : وأين في م
(5) لا يصير : غير صار في م
(6) صدقت : صادق في م
(7) سائر : سار في ك

تفصيلاً على قدر منازلهم ، فسميت الحجة قوة ، ولم تقوى (1) إلا بالله ، فلذلك ، قال القائل : لا حول ، ولا قوة الا بالله ، يعني لا إمام ولا حجة إلا بالله ، ومن الله نورهم ومددهم ، والعصبة اولوا القوة هم الحجج الاثني عشر نقيباً وكذلك قال يوسف لأبيه : (يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ (2) يعني بالشمس الامام ، والقمر حجته وبابه (3) ، والكواكب تمام الاثني عشر نقيباً ، وكذلك ، قال اخوة يوسف ﴿ وأخوه أحبُّ إلى أبينا مِنَّا ونحن عُصبة ﴾ (4) يعنون الاثني عشر نقيباً يختار علينا رجلا منا فداخلهم في ذلك عجز الرأي في يوسف ، وظهر منهم طول الحسد له ، لما انعم الله عليه ، فتم امر الله في(52) يوسف ، وكان عاقبة امرهم الندامة ، والتوبة إليه .

قال الغلام : الحمد لله الذي طهرهم من الدنس ، وردهم الى معاد التوبة ، وعوائد الانابة ، فما معنى قول الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، واخر يابسات ، ما هي ؟ وما معنى الرؤيا (5) في المنام ؟

قال العالم : اما الرؤيا فهي مثل اما يكون في الظاهر من عمل (6) يعمل ، فهي كالسراب للذي اذا جاءه لم يجد شيئاً ولو كثر ، كذلك عمل الظاهر بلا باطن لا يقبل منه شيء ولو كثر كذلك الرؤيا في المنام لا يحصل مما يرى شيئاً ولو كثر ، وقال الملك اني أرى في رواية العامة سبعة اشياء دائرة على سبع ، فاما السبع البقرات السمان فهي اسباب الله التي بينه وبين خلقه ، واما السبع العجاف (7) فهم النطقاء السبعة ، المضطرون بالفاقة(53) الى ما يأتيه من عند الله على أيدي اسبابه السبعة ، والسبعة السنبلات الخضر اسباب بين الله وبين الاوصياء ، والسبع اليابسات هم الاوصياء المضطرون الى ما يأتيه من عند الله على أيدي هذه الاسباب السبعة ، فتبارك الله رب العالمين .

قال الغلام : فما مثلها فينا ؟

قال العالم : تلك مثلها (8) في الاساس ، اي علي بن أبي طالب [عليه السلام] (9) وولده مثل حبة انبتت سبع سنابل ، يعني خرج من صلبه سبعة ائمة للهدى .

قال الغلام : فكيف نهى الله عن الدنيا فقال تعالى : ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ (10)؟

---

(1) تقوى : سقطت في ك
(2) سورة 12 / 4
(3) وبابه : بوابه في م
(4) سورة : 12 / 8
(5) معنى الرؤيا : سقطت في ك
(6) عمل : عجل في م
(7) العجاف : العجال في م
(8) مثلها : سقطت في ك
(9) عليه السلام : الاسلام في ك
(10) سورة : 35 / 5

قال العالم : صدق الله ، لم يقل لا تغرنكم الدنيا ، إنما قال لا تغرنكم الحياة الدنيا ، فالحياة على اربعة معاني : حياة ظاهرة في الدنيا وعاقبتها فناء ، وحياة الآخرة ، وعاقبتها بقاء ، فقال : لا تعملوا بالحياة الفانية ، واعملوا للحياة(54) الباقية ، فذلك قوله : ﴿ يا ليتني قدمت لحياتي ﴾[1] يعني قدمت في الحياة الفانية للحياة الباقية ، ومعنى الحياتين : حياة بعلم الظاهر ، وحياة بعلم الباطن فعلم الظاهر حياة الدنيا ، وهو العلم الأدنى ، وعلم الباطن حياة الآخرة ، فمن اجل ذلك،قال ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾[2] يعني ظاهر العلم والعمل به وحده ، فإنه لا يقبل منكم إلاّ بالباطن وإقامته[3] مع الظاهر ، ولا يقبل ظاهر بلا باطن .

قال الغلام : افرأيت من علم الباطن ، ولم يعلم علم الظاهر ، ولم يقم به ، ما نزلته عند اهل الدين ؟

قال العالم : بئس المنزلة ، واذا لا يقوم باطنه ، ولا يصلح اذا ترك شيئاً قد امر به ، وجعل جنة لباطنه ، مثل ظاهر الثمرات اذا قشر عنها قشرها قبل نضوجها[4] فسدت ، ولم تصلح بعد ذلك ، وكذلك البدن اذا قطعت اعضاءه لم يقم الروح فيه(55) ساعة واحدة فهذا مثل ظاهر الدين اذا عطلت فرائضه لم يستقم باطنه لصاحبه ، مع انه لا يخلق تركه للظاهر ليفر[5] اذن ممن فرضه عليه عن احدى خصلتين ان كان تركه عجزا فهو للباطن اعجز ، وإن كان عن قدرة تعمداً كان كمن امره به عاصياً ، والعاصي فاسق ، والفاسق لا يجاور اولياء الله ، بل هو عدوهم ، وهم اعدائه لقطعه ما أمر الله به ان يوصل .

قال الغلام : فمن علم علم الظاهر وقام به ، ولم يعلم الباطن ما منزلته عن اهل الدين ؟

قال العالم : شر منزلة ، لأنه مثل الجسم الذي نشأ ولم ينفخ فيه الروح ، فهو في عداد[6] الأموات ، والميتة منازل الكفار بآيات الله اعداء[7] للدين وأهله .

قال الغلام : فأرى الظاهر لا يصلح إلاّ بالباطن ، والباطن لا يقوم الا بالظاهر ، ولا تحل الدنيا(56) إلا لمن عرف الآخرة التي هي حياتها وباطنها ، وكذلك الدين لا يتم لأهله حتى يقيموا ظاهره وباطنه .

قال العالم : نعم هذا هو المعنى ، وعلى هذا يكون العمل ، لأن إقامة جميع ما أمر الله به استحقاق لرضوانه ، ومن[8] ترك بعض ما أمر الله به تعرض لسخطه .

---

(1) سورة : 89 / 24
(2) سورة : 31 / 33
(3) واقامته : سقطت في ك
(4) نضوجها : حصادهاً في ك
(5) ليفر : ليرفع في م
(6) عداد : اعداد في ك
(7) أعداء : عدو في م
(8) من : سقطت في م

قال الغلام : أفليس من علم الظاهر والباطن ، وأقامهما [1] كان مؤمناً ؟

قال العالم : نعم هو مؤمن حقاً .

قال الغلام : أوليس من علم ثم عمل للآخرة طابت له الدنيا ، وحلت طيباتها ، والتقلب في مكاسبها ؟

قال العالم : نعم لا تصلح الدنيا الا لهم ، وانهم لأحق بالدنيا وأولى بها .

قال الغلام : فمالي ارى اهل هذه الصفة ، وهم علماء اهل هذه الشأن ، معرضين عن هذه الدنيا لا يرونها الا شرر ، او نفوسهم عنها ثقيلة ، قد رفضوا الدنيا وما فيها حتى(57) يظن جاهلهم انها عليهم حرام ، ثم أرى ألوانهم مصفرة من غير علة ، وأبدانهم ضعيفة قد لصقت الجلود منهم بالعظام ، حتى كأنهم لا يأكلون الطعام ، وهم يأكلون .

قال الراوي : فلما سمع العالم ذكر اخوانه ، وصفتهم شرق بالعبرة وفاضت عيناه دموعاً فلم يستطع الكلام حينا من شدة العبرة ، وبكى الغلام لبكائه ، حتى اشفق[2] العالم ان يظفر بهم بعض اعدائهم ، فأمسك نفسه ، واسكن اليه قلبه ، ثم اقبل العالم على الغلام ، فقال يا بني ان القوم الذين وصفتهم بهذه الصفة نظروا لأنفسهم بنور الحياة ، واشتغلوا في امرهم بيقين النجاة ، ولم يغلظوا على انفسهم ، يا بني ان الدنيا ترى بالمال ، والبنين ، والآخرة بالعلم ، واليقين . يا بني صح ايمان القوم[3] بالغيب فأيقنوا (58) بالوعد والوعيد ، فتاقت قلوبهم الى ما وعدوا فطلبوا ، وروعهم خوف الوعيد فاجتهدوا ، وخافوا سكرة الموت فبادروا بالاعمال ، فضعفت ابدانهم من دروب[4] الصيام ، واصفرت الوانهم من طول السهر ، فلا ينامون مع النوام جزعاً ، ولا يأكلون القوت الا نقصاً ، قد ألهاهم عن لذة العيش شهوات الفكر ، واشغلهم عن فترة النوم حلاوة الذكر ، قد ذهلت نفوسهم عن الشهوات فلم تطب لهم الدنيا واكثروا من[5] ذكر الموت ، فلم تعذب بهم الحياة ، وابصروا نعيم الآخرة باليقين فلم يروا الدنيا إلاّ شزراً فرضوا الى الدنيا شغلاً عنهم من غير تحريم لها .

قال الغلام : هذا هو الخبر الصحيح ، وعلى هذا المعنى وان كره العلماء للدنيا ، والناس عنهم غافلون ، يظنون انهم حرموا على انفسهم ما احل الله(59) لهم نصف غرور اهل الدنيا بدنياهم ، وغفلتهم عن الآخرة .

قال العالم : لو فكر الكلفون الدنيا في خلقهم ، وتقلب احوالهم من ضعف الى

---

(1) واقامهما : وقيامهما في م
(2) اشفق : شفق في م
(3) القوم : سقطت في ك
(4) دروب : دب في ك
(5) من : سقطت في م

قوة ، ومن قوة الى ضعف ، ومن نعيم الى زوال ، ومن حياة الى موت ، ثم نظروا فيمن مضى قبلهم من القرون الخالية ، وفيهم الأخيار والأشرار ، ذهبوا في صعيد واحد لم يروا للأخيار ثواباً ، ولا للأشرار عقاباً في الدنيا ، ليعلموا ان لغير الدنيا خلقوا ولكن ثقل عليهم الكسب ، فلم يحملوا على أنفسهم مؤنة الطلب ، فاخذوا عرض هذا الأدنى ، وقنعوا بنعيم الدنيا من الآخرة ، فهذا دأبهم ، وهذا مضاهم ، ومالهم على الله من حجة ، ولا على اوليائه ، ولقد جاء من الأنباء ما فيه مزدجر .

قال الغلام : الحمد لله الذي هدانا لدينه ، وما كنا لنهتدي إلاَّ بفضله ، فأخبرني عن بدء(60) هذا الخلق وتركيبهم ، اهو سواء خلق واحد ، أم مختلف لما أرى من كثرة الإختلاف في الأراء والأهواء ؟

قال العالم : اما خلق الأجسام فمخلوق كما ترى من اختلاف(1) الألسن والألوان ، فهو دليل على القدرة على ثبوت الآيات ، ليتعارف الخلق بينهم ، فيعرف الولد منهم والده ، والوالد ولده ، ويعرف الرجل امرأته دون غيرها وتعرف المرأة زوجها دون(2) غيره ، عدلاً من الله في خلقه ، فاما خلق الآلة في الجوارح ما ظهر منها وما بطن ، فهو خلق واحد ، فيدلك منها ما ظهر على ما بطن ، فهل رأيت عالماً له ثلاث اعين ، فتتبين الزيادة فيه ؟ او رأيت جاهلاً له عين واحدة فيتبين(3) النقصان فيه ؟ فيقال ابصر العالم بالزيادة ، ولم يبصر الجاهل من جهة النقصان ، ام رأيت زيادة في الآلة الظاهر لبعض على بعض(4) ما ترى(61) خلقهم الا خلقاً واحداً مستوياً في الآلة الظاهرة ، ومعنى التركيب واحد ، فعلمنا ان الجوارح الباطنة على هذا المثال من العدل ، وما كان الله ليعدل(5) فيما ظهر ويجور فيما بطن ، ولا يجعل للعالم من قلبين في جوفه ، ولا حرم الجاهل شيئاً ، وأن الآلة لواحدة ، وان التركيب لجامع ، وبذلك احتج الله عليهم بالآلة التي جعلها لهم ، ولم يستعملونها فقال تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ﴾(6) افترى ان الله تعالى بجوده وكرمه كلفهم ما يعجزون عنه وعن حمله ، وهو اعدل من ذلك ؟

قال الغلام : لا أرى ذلك ، ولا اقول به ، ولكن اسألك عن اختلاف الاهواء من أين جاءهم ، والآلة جامعة ، والمعنى والأصل في التركيب واحد ؟

قال العالم : اما الاصل فهو واحد ، وكلهم من آدم ، وآدم من(62) تراب ، خلقه

---

(1) اختلاف : خراف في م
(2) دون : سقطت في ك
(3) فيتبين : سقطت في م
(4) بعض : ابعاد في م
(5) ليعدل : ليعول في ك
(6) سورة : 7 / 178

ربه ، ونفخ فيه من روحه ، ولكن خرجوا بالنكاح السنة ، وتوالدوا على غير الملة ، ونشأوا في غير هدي ، ولا أشك(1) ان فيهم اولاد سفاح يدعون بأباهم ، وليسوا منهم ، فلما فسدت الأصول ، خبثت الفروع ، وتنكرت ، وعسر عودهم الى الحق مع ما تداخلهم من الكبر عن الطاعة ، والكسل عن العبادة ، والحسد لأولياء الله ، فلم يقتصروا بالحلال عن الحرام .

قال الغلام : فإذا كان الأصل(2) واحد ، والآلة واحدة ، فمن أين اختلفت الأهواء ، ومعناها في الطلب لواحد ، فكل يطلب الخير لنفسه ؟

قال العالم : لعمري ان معناهم في الطلب لواحد ، ولكن اختلفوا في الاصابة كرماة العرض ، فانهم اجمعوا على رمية بالهمة والآلة ، وهم مختلفون في الإصابة(3) مع ذلك ، وكذلك القلوب التي في الصدور مجتمعة على العقول ، والعقول(63) مجتمعة على صيانة الابدان وكرامتها ، فلما ظهرت دعوة الحق اختلفوا ، فمنهم من يرى ان إجابة الرسل ، والتواضع لهم من كرامته لنفسه ، وصيانة(4) لها عن السفه ، ومنهم من يرى تكذيبهم ، ورفع نفسه عن طاعتهم من كرامته لنفسه ، وصيانة لها عن ضيق العباد ، وكان الأصل واحد في طلب الراحة للأبدان ، والكرامة للأنفس ، فاختار قوم منهم ما وعدتهم الرسل من ثواب الله ، وان كان في الدنيا عزيزاً نذراً لبقائه واختار آخرون من نعيم الدنيا ، وان كان فانياً لوجوده وسهول طلب وعاجل ثوابه ، والقلوب التي طلبوا بها هؤلاء نعيم الآخرة بمثلها طلب هؤلاء نعيم ، والكل ينظر لنفسه ، وكل يرى انه ناصح لها ، فاجتمعوا في الطلب ، واختلفوا في الإصابة ، فذلك من عدل الله وكرمه ، وبسط عطائه لكل طالب ، منه ما طلب ، فمن يرد ثواب(64) الدنيا نؤته(5) منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها .

قال الغلام : فان اهل الدنيا في دنياهم طبقات ، فمنهم أغنياء من الاعمال فهم ملوك بكثرة الأموال ، ومنهم فقراء الى الأموال فهم يخدمونهم لنائليهم ، ثم يجمعهم نعيم الدنيا على حد واحد ، فكلهم في سوء العاقبة سواء ، ولبعضهم شأن دون بعض .

قال العالم : ان من عدل الله ان يلحق بعضهم لبعض ، ولا يفردهم(6) من اخلائهم وأهل مودتهم ، فهم في عذاب الله سواء كما كانوا على معصيته مجمعين .

قال الغلام : أفرأيت هذا الدين الذي أكرمه فأكمله ، ورضي له دينا وافترضه على

---

(1) أشك : شوك في ك
(2) الأصل : الصول في م
(3) الإصابة : صوابه في م
(4) وصيانة : سقطت في ك
(5) نؤته : اتاه في ك
(6) يفردهم : يفرهم في ك

عباده ، هلْ يقبل منهم بعضهم دون بعض ، فيكونون فيه في طبقاتهم كأهل الدنيا أم لا يقبل منهم الاّ من أتى به كاملاً ؟

قال العالم : إن كل اهل الدنيا في الدنيا هم (65) طبقات ، فإن[1] اهل الدين في دينهم درجات ، وان من الواجب في العدل عبادة الخالق بكمال ما أراد ، ولكن عظم غناؤه منهم ، وعظمت فاقتهم اليه ، واتسعت رحمته لهم ، وعلم ان فيهم ضعفاء ، فقيل عنهم ما تيسر من النصح في العمل ، وبذل المجهود في الطاعة[2] ، ما قلَ من ذلك او كثر ، ثم كلف من العلم كُلاً على قدر طاقته وعمله ، وأتى كل ذي فضل فضله ، فهم في درجات عند ربهم ، ثم جعل لهم عاقبة الطاعة بعدلـه أن يلحقهم بأهل الدين الكامل ، والعمل الفاضل من عباده ، فقال تعالى ﴿ ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهـم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾[3] ذلك ، الفضل من الله ببذلهم المجهود في الطاعة ليس بأعمالهم من الصالحين ، لكن رحمة من الله لهـم (66) وان ضعفوا وضعفت أعمالهم .

قال الغلام : الحمد لله الذي فعل لهم ذلك ، فهل حلف[4] على أحد منهم[5] ان يعذب لغير معصية وإن قل عمله ؟

قال العالم : الله أعدل من ذلك .

قال الغلام : فهل يرجى لأحد ان يدخل الجنة بلا عمل مثل المجانين والأطفال .

قال العالم : كائن ذلك في فضل الله ، وكرمه ، وسعة رحمته .

قال الغلام : فما حمد المجهود في الطاعة ، والنصح في العمل ، حتى يجب من الله قبول العذر فيما سواه ؟

قال العالم : مبلغ العلم ، ومنتهى القوة .

قال الغلام : فصف لي من واجب العمل والعلم غايتها حتى أجرب نفسي فإن قدرت على بلوغ الغاية في رضائي ولا وقفت على منتهى طاقتي ، وكان الله أولى بالعذر فيما عجزت عنه ، وأني لواثق بعدل الله ، وأمن من ظلمه ، خائف من شر نفسي ؟

قال العالم : (67) لا تخف من حيث أمنت ، ولا تأمن من حيث خفت ، واجتهد لله

---

(1) فإن : سقطت في م
(2) الطاعة : طوع في م
(3) سورة4 / 69
(4) حلف : فحلف في م
(5) منهم : سقطت في ك

في العمل بنفسك ومالك ، فإن الله لا يرضى بما يكره ، ولا يكره ما يرضى ، وقد كره الكفر لخلقه ، ورضي الشكر لعباده ، والعدل في حكمته ، فلا يقبل سواه ، والصدق والوفاء جنتاه ، فلا ينجو عنده إلا أهل الصدق والوفاء .

قال الغلام : فبين لي غاية العمل في نفسي ، وما يجب لله عليَّ فيها ؟

قال العالم : إن طاعة الله لتشرف اهلها ، وان ضعفت اصولهم ، وان العمل الصالح لتاج العاملين ، فاما ما يجب عليك في نفسك فاداء الفريضة كلها ، واجتناب المحارم كلها ، فإن ذلك ملاك الدين ، وزكاة الأبدان ، وجملة ما يوجب لك الرضى من الله وقبوله عنك ، إن يأتيه اليك ، وتنكف عنه ما تحب ان يكفه عن نفسك فان في ذلك عدلاً ، ولله في العدل رضى .

قال الغلام : نعم هذا هو الحق(68) الواجب من لم يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، فهل فيما ذكرت فسحة من الضرورة ؟

قال العالم : فإن الله قد بسط ذلك لعباده رأفة ورحمة ، قال تعالى : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه ﴾ .(1)

قال الغلام : الحمد لله الذي لم يجعل على عباده في الدين من حرج ، وقد عزمت على المحافظة على ما امرت به ، واستعين بالله على ما أمرني ، فما الواجب في مالي الذي قرنته مع نفسي ، فقلت لي اعمل بنفسك ومالك ؟

قال العالم : اما مالك فهو ما افاء الله عليك من جميع المكاسب ، فلا تأخذ إلاَّ من جملة ، ولا تصرفه إلاَّ في حقه .

قال الغلام : وما جملة الذي يؤخذ منه ، وما حقه الذي يصرف فيه ؟

قال العالم : اما حله فطيب المكاسب التي لم تظلم فيها احداً ولم تشبه بالكذب ، اما حقه فزكاته ان تنظر الى جميع(69) ما حصل معك مما قل منه او كثر ، فتخرج خمسه من أطيبه لك ، وأحبه اليك ، فتدفعه الى من وجب حقه عليك ، فعند ذلك يزكو مالك بالصدقة ، كما زكى بدنك بالعمل ، والعمل جنة ، والزكاة طهارة ، وقد افلح من تزكى .

قال الغلام : أفعل ذلك اتوب الى الله مما سلف ، فما العمل في بقايا المال ؟

قال العالم : تنفقه على نفسك وعيالك بالمعروف ، فان زاد فضله عندك وليست منه

---

(1) سورة : 2 / 173

أهل الفاقة من اخوانك ، وبذلت معروفك لكل راغب اليك ، فان من لا فضل له فهو محتاج الى التفضل عليه ، فكن الى كل خير مسرعاً ، والى كل خير سابقاً ، فهذا غاية العمل ان صبرت عليه .

قال الغلام : بل أصبر ، ثم اصبر ، وكيف لا يصبر عظيم الفاقة الى من هو غني عن عمله ، فكل محتاج صبور ، وكل ذي نعمة مشكور .

قال العالم حين سره كلام(1) الغلام : (70) الحمد لله الذي وفقك من صواب القول ، وأسأله ان يعينك على اتمام الفعل ، فانه كمال الفضل .

قال الغلام : لو كنت اطلب الفضل من يد غيري لنفسي فلما صار الفضل لها من عندي ، احرمته نفسي ، فما اجر احداً اغش لها مني ، فهذا جميع مالي بين يديك خمسة اسهم ، فسهم منه زكاته ، وسهم كفارته ، فيما اهلكت ، وسهم شكر لله فيما عرفت ، وسهم للفقراء اخواني ، وسهم تقبله بفضلك فيكون لك زاداً ، فضم الجميع اليك ، فإن الله يخلق امثالها .

قال الراوي فرق قلب العالم للغلام لما رأى من ان(2) جوهرته قد صفت ، وعلى ما قد كشفت المحنة من محمود الخير ، وبان فضله وزكى عمله .

قال العالم ودموعه تنحدر : يا بني لمثلك فليسافر العلماء ، وبمثلك فليستقل الارض وتظل السماء ، وعن مثلك فلتنجلي وشائج الارحام ، وعلى (71) مثلك(3) فلينزل الودق من فتوق الغمام ، فهنيا يا بني وهب الله لك وشرح صدرك للإسلام ، فابشره بنورك من ربك ، وفتح قريب واقبل هدية الله اليك ، وفرائد منته عليك بعمل جزيل ، وشكر نبيل ، فاما سهمي من هذا المال فلا حاجة لي اليه ، بل عن المال خرجت ، ومن فتنة المال هربت ، وليس من البر يا بني ان تردني(4) فيما كرهت ، وأما سهم اخوانك فيكون عندك فان سألوك شيئاً اجريت لهم على يديك ليعرفوا فضلك ، ويشكروا احسانك ، واما سهم الكفارة فارجئه(5) عندك حتى تعرف ذنبك ، واما سهم الشكر فهو وديعة عندك لله حتى تبلغ رشدك وتعلو غاية ما عرفت ، واما سهم الزكاة فيكون وديعة ايضاً لصاحبه عندك ، فخذ الجميع إليك حتى تلقاه فهو الحاكم لك (72) وعليك .

قال الغلام : فمن هذا الكريم عليك ، الذي لا تتجاوز رأيه ، ولا تتعدى امره ؟

قال العالم : ذلك من أوجب الله حقه علي ، وعلى جميع المؤمنين ، من بيده مفاتيح

---

(1) كلام : علام في ك .

(2) ان : سقطت في م

(3) مثلك : مثالك في ك

(4) تردني : تراودني في م

(5) فارجئه : فعاوده في م

الجنان ، ومعالم الملكوت ، من تفتحت راحتاه بنور الطور ، فهو سبب الآيات من سمى بعلمه الى معالم الغايات ، فيه يتم نورك وبه يكمل الله امرك ، وعلى يده تجري لك البركات .

قال الغلام : هكذا يكون التفضل فما هو لك ، وما انت منه ؟ .

قال العالم : انا ولده ، وحسنة من حسناته ، اطلب رضاه ، واشفق من سخطه .

قال الغلام : انا أظن اني بعيد من رضاه ، قريب من سخطه ، اذا كنت لا اعرف ، فهل لي من عذر في ذلك ؟

قال العالم : كان العذر قبل التعريض بمعرفته .

قال الغلام : أفأتكلم او أمسك ؟

قال العالم : قل ما بدا لك .

قال الغلام : فهل يجب لي(73) في هذا الوقت ان توصلني بباب الحطة حتى ادخل بيت النور ، حتى اقتبس ان كان ذلك من تمام الامانة الذي يجب اداها عليك ؟

قال العالم : ان ذلك لواجب لك ، ولكن عن اذنه ورأيه .

ثم إن العالم ودع الغلام فانصرف ، فأراد ان يأخذ زاد من عنده فكره ان يقبل ذلك ، ومضى حتى اتى والده الاكبر فشرح له خبر الغلام فعرف صفته ، وعلم انها من صفات اهل الخير ، ومعدن الفضل ، فعجب لذلك ، فقال : عجل علي بهذا الغلام فأرجو ان يكون باب رحمة فتح الله لأهل زمانه ، فمكث الغلام غير بعيد حتى اقبل عليه العالم(1) فوجده على خلاف الحال التي يعرف في بدنه ، فقال له : مالي اراك على خلاف الحال التي خلفتك عليها ؟

قال الغلام : وما الذي انكرته مني فداك امي وأبي ؟

قال العالم : (74) ضعف البدن ، وصفرة اللون .

قال الغلام : ذلك من الوحشة ، ومما اصابني بعدك .

قال العالم : وما تلك الوحشة وما سبب هذا الضعف ؟

قال الغلام : فراقك أوحشني ،وخوف الحدثان قبل لقاءك اضعفني .

قال العالم : فان الله قد علم ما في قلبك فسهل المحنة عليك ، والقى في قلب وليه

(1) عليه العالم : الى الغلام في م .

الرحمة لك ، فخذ في عدة السفر لك ، فاني بالغ بك املك ، واصل بك الى باب غايتك ، ولا قوة إلاّ بالله .

قال : فشهق الغلام من السرور والهيبة شهقة كادت روحه ان تفارق بدنه حتى امسكه الله تعالى لعلمه فيه فردها اليه ، فلما افاق قال : الحمد لله الذي لم يزل بالمؤمنين رحيماً ، وكثر شكره لوالده ، وأقبل على كفيه يقبلهما ، وعلى قدميه ، وقام مسرعاً فأخذ عدة السفر ، وخرجا حتى وصلا بالعالم الاكبر ، فاستأذنا (75) فاذن لهما ، ودخلا فسلما عليه ، وجلسا باذنه ، فلما استقر بهما المجلس ، قال الغلام لمعلمه : علمني كيف أقول ، وكيف اطلب حاجتي ؟

قال له المعلم : لا يحل لي تعليمك شيئاً وانت في هذا الموضع اجلالاً لصاحبه ، فأمسك فانت بين يدي من يعرف حاجتك ، ويعلم ما إرادتك . فأمسك الغلام ، فأقاما عند العالم وقتاً حتى امر الغلام واكمل هداه ، وبلغ غاية امله ، وعرف ما له وما عليه . ثم ودعا وخرجا جميعاً مختفين ، ولم يكن لهما كلام في المجلس غير السلام(1) والبشاش ، واصفر الغلام من شدة الهيبة فلم يستطع الكلام ، وأمر الشيخ صاحب المنزل ان يبرهما ، ويقوم باكرامهما(2) وما يحتاجان اليه ، فمضى بهما الى منزله ، فلما ادخلهما ، وسلم عليهما ، واظهر السرور بهما ، قال للعالم وكان له صديقاً (76) وبينهما اخاء ومعرفة متقدمة : يا اخي أهذا الغلام الذي كنا نسمع به ؟ قال : نعم هذا الذي طاب في القلوب خبره فعلى بألسن المؤمنين ذكره .

قال الغلام : أوقدَ بلغ نهاية خبري عند اولياء الله حتى تدارسوا في المجلس ذكري ؟

قال العالم : نعم يا اخي انت كذلك .

قال الغلام : لقد احاطت بي المنن من كل وجه ، وغشيتني الأيادي من كل طريق ، فلا ادري من أشكر، ولا من أكافر. ثم انهم جلسوا جميعاً فتحدثوا ليلهم فلما اصبحوا طلبوا الاذن على(3) الشيخ فلما دخلوا عليه وقضوا سلامهم ، اذن لهم الشيخ بالجلوس فجلسوا ، واخذ الشيخ في كلامه فقال : الحمد لله الذي فتق بنوره بهم القلوب ، وفتح بعدله مستغلق المطلوب ، وسير الذكر بصنعه لطائف لعباده ورحمة(4) منه للراغبين (77) إليه ، فلم يحمل الخلق كنه واجب ، ولم يركن لهم بكفر الغمة ، فكلفهم من ذلك بعدله ما يعجزون عن حمله ، فاعتدل الامر بين الامرين فسمي عدلاً ، وبسط بالجود

---

(1) السلام : الاسلام في ك

(2) باكرامهما : بكرامها في ك

(3) على : الى في م

(4) ورحمة : سقطت في م

اياديه احساناً وفضلاً ، فلم يخيب داعياً ، ولم يحرم صامتاً ، بل نعمه سوابغ ، ومننه بوارع ، لا مخصوصة لمن شكرها لجزيل ثوابه ، ولا مصروفة عمن كفر بها لعظيم عقابه ، فاكرم نعمه عن الاقتار ، واستوثقت حججه عن الافكار ، واتسع بالاحاطة عن الوجود وامتنع بالادلة عن الجحود ، فهو موجود غير محدود ، ومعروف غير موصوف ، سبحانه من عظيم ما الطفه بخلقه ، ومن جبار ما ارحمه بعباده ، ومن عزيز ما اعدله في حكمه ، ومن عال ما اقربه من الأنام ، ومن قريب ما ابعده عن الاوهام ، فاعبدوه ، واشكروا له ،(78) فاليه ترجعون . ثم قال : اما بعد فان من كرامة العقول أستعمالها بالطلب ،وان من عمار(1) الطلب الوجود ، وان من علامة الوجود عذبة الوجود ، وكل عذب فرات ظاهره مشروب ، وباطنه محجوب(2) ، لا يسام من الفكر طالب ، ولا يدرك الخلق غاية معالمه حق ، وحق اليقين واجب ، ومن ذلك سمي حقاً(3) لتحقيق وجوبه ، فمن منع الحق واجبه فهو ظالم الاوان ، من حق الفكر زكاة القلوب بالآداب ، ومن حق الأدب طلب العلم ، ومن حق العلم العمل به ، ومن حق العمل به طهارته بالطاعة لأولي الأمر ، ومن حق الطاعة كمالها في العسر واليسر معاً في الخير والفتنة سواء ، وما يلقيها إلاّ ذو حظ عظيم ، ثم اقبل بوجهه نحو الغلام ، ثم قال : يا فتى اكرمت من خليل وافد ، وحييت من زائر قاصد ، فما اسمك ؟ قال : عبيد الله بن عبد الله .

قال الشيخ : هذا(79) صنعتك ، وقد تقدم(4) الينا خبرك .

قال الغلام : انا حر ابن عبد الله .

قال الشيخ : ومن اعتقك من ملك حتى صرت حراً ؟

قال الغلام : هذا العالم اعتقني ، وأومى بيده الى العالم الذي دعاه .

قال الشيخ : أفرأيت إن كان هذا مملوكاً ، ومالك يجوز عتقه لك ؟

قال الغلام : لا يجوز

قال الشيخ : فما اسمك ؟ فاطرق الغلام متحيراً عن الجواب .

قال الشيخ : يا فتى كيف يعرف بالشيء ما لا اسم له ولو كان مولوداً ؟

قال الغلام : فانا مولود لك فسمني .

قال الشيخ : ذلك الى وفاء سبعة أيام .

---

(1) عمار : عار في م

(2) محجوب : حجاني ك

(3) حقا : سقطت في م

(4) تقدم : قدم في م

قال الغلام : ولِمَ يؤخر ذلك الى وفاء سبعة ايام ؟

قال الشيخ : لكرامة المولود .

قال الغلام : فان مات المولود قبل تمام سبعة ايام ؟

قال الشيخ : لا يضره شيء هو سمي بعد ذلك .

قال الغلام : فهذا الاسم الذي سميتني به(80) اهو لي ؟

قال الشيخ : اذا تكون معبوداً .

قال الغلام : فكيف يكون القول فيه ؟

قال الشيخ : الاسم لك مالك ، وانت للاسم مملوك ، فلا تلج الاَّ في حدك وانصرف الى مدته .

قال : فنهض الغلام مسرعاً بحسن طاعته ، ولم يراجع القول لحسن أدبه ، فخرج وخرج والده معه حتى عاد الى موضعهما ، فسلم عليهما صاحب المنزل ، وقال : ما حال اخينا هذا في حاجته ؟

قال له العالم : قد كان ، ثم وعد ، والموعود ظمآن ، والمدة قريبة .

قال : فاقام الى اليوم السابع . ثم طلبا الاذن الى الشيخ فلما اذن لهما أمر الغلام ان يغتسل ويلبس انقى ثيابه ، فلما اخذ الغلام في العدة احس قلب الغلام افضاء(1) حاجته في ذلك اليوم ، وان هذه العدة التي امرت بها تدل على خير ما يأتي بعدها ، فلما قضى ما أمر به وخرجا جميعاً خرج(81) الغلام ، وهو يقول : يوم سعد ، وولي سعد ، فكررها مراراً وما حمله على هذا القول الا كثرة السرور ، وشدة الشوق الى عالم ما يقربه من رضى الله ، فلما دخل(2) على الشيخ وجداه قد اخذ عدة العمل ، فحياهما بالسلام ، فتراجعا بالتحية ، ثم أمر الغلام بالدنو منه فدنى وقربه اليه فقرب واخذ في الكلام بما لم تحط به الأوهام ، ولم تجربه الأقلام ، ولم يخطر على قلب بشر ، هو مما لا يجب ذكره في مدارس(3) الخطب ، ولا يصرح به في جوامع الكتب ، لعظيم فضله ، ولا يكشف الا لأهله ، فلما قضى واجبه وأخرجه من مهامه(4) التيه الى نهاية الهدى ، فصفى مذهبه ، وعذب مشربه ، وعرف ربه ، فحل احرامه بتعظيم حرمات الله ، واعتصم بالحبل الوثيق ، وطاف بالبيت العتيق ، وقضى مناسكه بالذكرى ، وتم حجه بالآيةِ الكبرى ، (82) ثم بقي هو ووالده

---

(1) افضاء : اغفاء في م

(2) دخل : رحل في ك

(3) مدارس : موارس في ك

(4) مهامه : همه في ك

يختلفان الى الشيخ في مدارسة ما اعطاه ، وهو صبور على المداومة ، لا يمل السؤال لشرفه ، ولا يروى من الجواب لعذوبته ، فاقاما على تلك الحال حينا من الدهر حتى علم ان اصله قد تروى ، وفرعه قد على ، فقال للشيخ : شكراً لله ، الحمد لله ، الذي جعل لهذا المقام اهلاً فأحيا بك ديناً ، وأمات بك جهلاً ، وجعلك مثابة للناس وأمناً فأنت باب اهل السماء ، ومعراج اهل الارض ، فمن نور عزتك ظهرت الأنوار ، ومن ثجاج كفك جرت الأنهار ، فلا زالت كذلك حتى يرضاك من رضي عنك .

فقال الشيخ : انت ، فبارك الله لك فيما اعطاك ، وأعانك بتوفيقه على حفظ ما أتاك ، واستغملك روياً في ارادته ، ومهد لك بنور هدايته ، وشرح(1) صدرك بمفاتيح الحكمة ، وشرف امرك بمنهاج الدعوة ، واكمل فضلك بمصاديق الإجابة ، وبلغك في طاعته افضل(2) املك(83) من مرضاته ، وانا مودعك يا بني واذن لك بالا تفارق ، ولعزيز على فراقك ، ولكن الجانا الى ذلك ثلاث خصال : اما واحدة فنحن على سفر على غير هذا البلد . والثانية فراقك(3) لأهلك طول هذه المدة مع ما تجشمت من الخروج بغير اذن ابيك ، فثمة غم شديد ، وغيظ كبير ، لا يجليه الا قدومك مع اني راج لأبيك إن لطفت به . والثالث ما وجب من اداء حق هذه النعمة التي وصلت اليك ، فالواجب عليك(4) الديانة بها ، والدعوة اليها .

قال الغلام : فراقك عليَّ احزن ، وفقدك عليَّ نقصان ، ولكن مشورتك ارشد ، وطاعتك اوجب ورأيك اصوب ، فاوصني بما رأيت ، واصرفني اذا شئت ، وتفضل(5) علي بوالدي يصير معي الى بلدي ، اتكل في عملي وأسند جميع اموري اليه .

قال الشيخ : انا افعل ذلك ، وأوصيك بتقوى الله الذي خلقك ، وحفظ امانتك التي بعنقك ،(84) وصيانة والدك ، الذي رباك صغيراً ، وكدح في امرك طويلاً ، بنفسك ومالك ، فلا تلبسه(6) جلابيب الانف ، ولا تحمله على مراكب التلف ، ولا تنوه باسمه ، ولا تصرف القول الى ذكره ، ولا تغشه دينك ، وان لكم في اليد والسعة .

قال الغلام : جزاك الله من ولي نعمة عن كل شاكر خير ، وكافئك ذو الطول عن رعيتك اذا عجزت الايادي عن مكافأتك ، وأنا أحفظ وصيتك فلا تقطع حظي من بركة دعاك . ثم قاما(7) فتصافحا وتعانقا ، وودع كل واحد منهما صاحبه ، وهو لا يملك(8) نفسه من العبرة ، ولا يستطيع الكلام الا بالإشارة . ثم افترقا فخرج العالم والغلام يسيران

---

(1) وشرح : ورشح في ك
(2) افضل : اوصل في م
(3) فراقك : فروقك في م
(4) عليك : هداك في ك
(5) وتفضل : سقطت في ك
(6) تلبسه : تلاسنه في م
(7) قاما : قوم في ك
(8) يملك : لك في م

حتى اذا قاربا مدينة الغلام التي فيها ابوه ، قال العالم للغلام : يا بني قد عرفت وصية الشيخ ولا تعرف الرشد إلاّ في قوله ، وهذه مدينتك قد وصلنا بداءها فاجلس(85) بنا في معزل عن الطريق فاني أريد ان اذكرك بعض امري ، واوصيك بما تعمل عليه ، فلما جلسا قال العالم : يا بني قد علمت حال ابيك وعداوته لأهل هذا الشأن ، وقد رادف(1) عليه ذلك خروجك معي ، وغيبتك عنه بغير اذنه ، ولا امنه ، وانا اريد أن انفذ رأي والدي بالاستتار في بعض هذه البادية ، وترجع انت الى أبيك فتطيب نفسه ، ويسكن عنا بأسه ، وأنا ارجو ان لطفت به ان يكون اقرب لما نريد من غيره ، فقد راعته الغيبة واجزعه الانفراد ، واعلم يا بني ان الله قد فتح لك باهون سعيك ، ما لم اظن انك بالغه الى بعد مدة ، وقد احسن الله ظننا ، واعظم رجاءنا فيك ، وعليك بحفظ امانتك التي اوصاك بها والدك ، والتثبت في امرك ، والتقوى في ملاك(2) دينك وعملك ، والشكر والصبر زيادة (86) في نورك ، واستفتح من الله مرادك ، وحسن توفيقه لك ، ثم قال : اوصيك بستة خصال : ان تتوكل على الله اذا عزمت وتتكلم بحلم اذا دعوت ولا تغضب اذا اوذيت . ولا تضجر اذا كذبت وكل من اجابك الى الخير فاصبر عليه، وخص نفسك بافضل ما تدعو اليه ، فان الله سيعينك ، ويفتح عليك .

قال الغلام : جزاك الله عن ثلاثة : خير إمام قمت بحجته ، وحجة نصحت في امانة ، وميت تفضلت بحياته . فقد امتلأ قلبي ، وتضلعت جوانحي نوراً وسروراً ، لعظيم ما شرحت ، ولا ادري اي كلامك احسن ، اظاهر نسقته على تولية ، ام باطناً شرحته على معانيه ؟

قال العالم : الحمد لله الذي سهل لك طريقه ، وقرب(3) لك بعيده ، وأعانك على حمل ثقله ، وأنا مودعك ، ومنصرف عنك ، فهل مَن حاجة ؟

قال الغلام : عماد(4) حوائجي ثلاثة : (87) فحاجة قد قضيتها ، وحاجة انا ارجوها ، وحاجة أسألك التفضل بها .

قال العالم : قد فهمت حوائجك الثلاثة وأنا اجيبك فيما سألت . فأما حاجتك التي قد انقضت فحياتك بالعلم من بعد الموت ، فبارك(5) الله لك فيها من حياة ، وبلغك فيها افضل ما قويت . واما الحاجة التي ترجوها فالعمل بما علمت وقبوله اذا حضرت ، ففعل الله لك ذلك برحمته ، واما الحاجة التي سألتني فكأنك احببت الزيادة فيما سمعت .

قال الغلام : لا زيادة اكثر(6) من معرفتك بما في نفسي فتفضل بما رأيت .

---

(1) رادف : رافد في ك
(2) في ملاك : وهلاك في م
(3) وقرب : وقلاب في ك .
(4) عماد : عود في م
(5) فبارك : ورواك في ك
(6) أكثر : اوصل في م

قال العالم : اما معرفتي بما في نفسك فلا يعلم الغيب إلاّ الله ، ولكن المؤمن ينظر بنور الله ، واما الزيادة فانا اجهل لك أمرها وأوقفك على اصول تعمل عليها ان تنظر الى جميع هذه(88) الاشياء التي ذكرت لك ظاهرها فتصرفها امثالاً ، فما كان منها محموداً فهو مثل الحق واهله ، فأفضلها لفاضل ، وهم شواهدها تدل عليهم ، وما كان من الامثال مذموماً صرفت على اعداء اهله كبارها لكبارهم ، وصغارها لصغارهم ، وشواهدها تدل عليهم ، فهذه اصول العلم الذي يدور العمل عليها ، فان حفظتها لم تحتج الى شواهدها ، وأنا أوصيك بتقوى من خلقك(1) ، ولم تك شيئاً ، وصيانة عهده ، والقيام بحقه الذي فرضه عليك ، وعلى جميع خلقه .

فلما فرغ من كلامه وأبلغه مأمنه ، واكمل رضاعته ، قال : يا بني عليك نفسك فان لي شغلاً غيرك ، وهذا فراقك(2) بيني وبينك . قال : فشهق الغلام شهقة عند ذكر الفراق كادت نفسه تطير ، وكاد روحه ان يفارق بدنه ، ثم اقبل يقبل قدميه ، ويمسح(89) بترابهما خديه ، ثم ودعه ، وانصرف .

ورجع الغلام الى منزله ، وهو لا يملك قلبه جزعاً ، ولا يستطيع رد عبرته من الحزن على فراق والده الأكبر ، ووالده الذي كان سبب نعمته حتى جزع(3) له اهله وجيرانه ، وظل يومه وليله متملمّلاً من الحزن والجزع ، ودخل عليه ابوه مغضباً وقال : يا بني أهكذا مكافأة البنين لآبائهم ، وما علمتك إلاّ خير ولد لوالد ، وما أنكرت حالك ، ولا تنكرت على مذاهبك ، إلاّ منذ قدوم هذا الرجل الغريب فاخترته علي ، وعبرت معه في امره دون منهاج(4) آبائك ، فإن كان ما عرفت فيه حقا فقد عففتني في نفسي ، اذا كتمت الحق عني ، وان كان باطلاً فقد عففتني في نفسك وهلاكها ، وما وصل اليها من ذلك فهو واصل إليّ ؟

قال الغلام : يا أبت ، ما علمتك بي إلاّ رحيماً(90) وعلي مشفقاً ، بيتي رحمة منك بي ، وعذبتني فاخترتني ، على الأهل ، والمال ، واحوج ما كنت الى ذلك منك في يومنا هذا ، ان تعمل لي خصلة من اثنتين بفضلك .

قال الشيخ . فبين الخصلتين ما هما ؟

قال الغلام : اما ان تدعني على مجاملتك ومحاسنتك ، فإن ولدك الذي ربيت صغيراً ، وامرنا الى الله ، وأما أن تأذن بمناظرتك ، وتؤمنني من سخطك ، وتستعمل في عقلك .

قال الشيخ : اما مجاملتك في الظاهر(5) على اختلاف القلوب في الباطن فذلك لوم فيما

---

(1) خلقك : خلاقك في ك
(2) فراقك : فراسك في م
(3) جزع : لفع في ك
(4) منهاج : سفطت في م
(5) الظاهر : ظهر في م

بيني وبينك وكم عسى تسقيم موافقة الظاهر مع اختلاف الباطـن فلا احـب ذلك وامـا مناظرتك وامانك فلك ذلك وقل ما بدا لك .

قال الغلام : أرأيت مقامي معك منذ أربعين سنة على غير شيء هل يخلو[1] عن خصلة من خصلتين (91) أما ان تكون عالماً فحرمتني علمك فلا تلمني اذا حرمتني ان اطلب النجاة لنفسي من غيرك وان كنت جاهلاً فأنت معذور من قلبي وأنت احوج الى الرجل الغريب[2] مني فلو سبقتني اليه لكبر سنك وتقادم ميلادك فقد سمعت كلامه كما سمعت انا فيما رأيت .

قال : فرق قلب الشيخ لكلام الغلام وعلم انه لا مخـرج له عن الحجتـين جميعـاً وفاضت عيناه دموعاً فقال : يا بني ان الحجة التي قد وقعت[3] عليَّ لك هي واقعة عليك لي مثلها ان كتمت عني امرك فاذكرني ان كان صواباً فانا اقبله منك كرامة لنفسي وان كان باطلاً اردتك عنه كرامة لنفسك وشفقة عليها فتناظرا حيناً[4] وتكاشفا طويلاً فكان امرهما الى الهدى والرشاد والقيام بدين الله والصيانة له والديانة به والدعوة اليه والتعاون[5] عليه (92) فأحيا الله بهما خلقاً كثيراً .

وأرسل الغلام الى العالم[6] يبشره بصلاح أبيه ويسأله القدوم اليه ، فقدم اليهما وكان سبباً لهما وأجرى الله البركات على أهل ذلك البلد بهما وعلى أيديهما وتم أمر الله وخاب[7] من افترى وكان اسم الغلام صالح ، واسم أبيه النجتري ، وكان لهما شرف على قومهما[8] بأيـادي قـدماها ، واسم عال عليهم ، لفضل آداب اكتسباها ، فشاع خبرهما في البلاد ، وهما عليه من الدين حتى بلغ ذلك قوماً من اهل مقالتهم القديمة ، وكان للنجتري عليهم نعمة جارية ، فخافوا ان ينقطع ذلك عنهم بخروجه عن ملتهم ، فخرجو واجتمعوا الى عالم لهم يقال له عبد الجبار بن مالك ، وكان يسمى فيهم بورعه وكثرة حلمه[9] ومحاماته عن[10] دينه كعب الأحبار ، وكان له فيهم نباهة بعلمـه ، (93) وفهـم بالـكلام ، وتميز بالآراء ، فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا مالك ألا ترى ما خرج اليه الغلام . قال : اي غلام ؟ قالوا : صالح بن نجتري . قال : ما الذي خرج اليه ؟ قالوا : بلى نخبرك انه قدم الى البلد رجل غريب له كلام حسـن ، ومذهـب يدعـو اليه لا ندري ما هو فصبـا اليه الغلام ، وخرج معه من غير اذن ابيه ، فعبر عنة وقتاً ، ثم قدم اليه وهو يتكلـم بكلام الرجل الغريب ، ويدعو الى ما كان يدعو اليه ، وبلغنا ان أباه قد أجابه الى رأيه وآزره[11]

---

(1) يخلو : سقطت في ك
(2) الغريب : غرياب في ك
(3) وقعت : رافقت في م
(4) حينا : حالاً في م
(5) التعاون : سقطت في ك
(6) العالم : علم في ك
(7) وخاب : خرب في م
(8) قومهما : قوام في ك
(9) حلمه : حمله في م
(10) عن : الى في ك
(11) وآزره : ووازره في م

عليه ، وقد غمنا ذلك من فعلهما ، وقعودنا عنهما ، لثلاث خصال : اما واحدة فنعم كانت جارية علينا من أبيه مما قد علمته بيننا من اخاء الدين فنحن نخاف الخلفة بعد الألفة ، ونكره الفرقة بعد الاخاء . والثانية فإن كان القوم على حق فقد قصرنا عن اتباعهم (94) فيه ، وعرفهم عليه . والثالث ان كانوا على ضلال قد غروا فيه ، فقد قصرنا عن دفعهم عنه ، ونصرة الحق وأهله ، وأنت رأس في ديننا ، وعلم من أعلامنا ، وقد أتيناك لنخبرك ، ونشاورك ، ولا نعدو ، رأيك .

قال ابو مالك : ويحكم انه قد راعني قولكم هذا ، ولقد علمتم ان النجتري وابنه كانا ممن كنا نعتد بهما فينا من أهل الحلم والورع ، وان لهم علينا لحقوقاً وفضل أياد قيمة ، وقد ذكرتم فيهما ما ذكرتم ، وانتم عندي فمن لا يعدو الصدق عليَّ ، فقد اغناكم الله عن ذلك ، وهو خير قد وقع الى القوم ، وظهرت حجته عليهم ، فاتبعوه ورضوا به ، فلا يمكننا ان نحكم عليهم[1] بالضلال فنظلمهم ، ولا نحكم عليهم بالهدى فنظلم انفسنا بتقليدهم ، ولا نقول فيهم خدعوا فنفندهم (95) بغير علم لهم ، وهم عندنا أكرم من ذلك ، ولكن نحتاج عن ان ننظره[2] في هذا الخبر بعين النصفة ، ونور العدل ، وثبات العقل ، فإنه يقال من تثبت في الامور لم يزل سلطانه محذوراً ، ومن عجل في امره لم يأمن زلة قدمه ، فإن الخرق[3] في جميع الاشياء يتقال عيبه ، ويتعاضى فساده ، مثل الخرق في الطعام فإنه يسهل ضرره ، ويستقرب دواه ، وان الخرق في الدين لكثير الضرر ، وعظيم التلف لا يستقال عيبه ، ولا يستعاض به غيره ، كالخرق في الدواء ، فإنه لا يقبل صاحبه ، ولا يتلافى منه نفسه .

وقد روينا في ذلك ان افضل الذخائر كنوز الالباب ، واكتساب الآداب ، فإنه ثمر عواقبها محددة ، وإن من ثمارها لأتباع الحلم ، وان الحلم لتاج العلماء ، تسمو بهم همم شريفة (96) الى العلياء من المفاخر ، ويتبين فضلهم في جميع المواطن ، مهما ينالونه من شرف المكاسب في سهولة المطلب ، وقد ذخرنا لانفسنا من ذلك فضل حلم اقتبسناه[4] فيما تقدم من دهرنا على ضيق من الحال ، وصعوبة من المطلب ، وصبرنا على ذلك لفضله ، ونستعين به على نوائب الأمور ، وحوادث الدهور ، فلا يمكننا أن نضيعه ، وهذا أوان حاجتنا اليه ، واستعمالنا له ، فيما ورد علينا من هذا الامر الحادث في اخواننا ، ولا مقر لتركهم ، وما هم عليه دون مكاشفتهم عنه ، ومناظرتهم فيه ، بحلم المقتدرين ، وتفقه الطالبين ، من غير شك فيما معنا ، ولا تهمة للقوم ان يكونوا تركوا الحق صفحاً فهم عندنا انبل من ذلك ، او يكونوا اخرجوا الى الضلال ، والضلال اقل من ذلك ، وليس للباطل (97) من النباهة ما

---

(1) عليهم : علوهم في م
(2) ننظره : نوارده في ك
(3) الخرق : الحوارق في ك
(4) اقتبسناه : قسناه في م

يترك له الحق الواضح ، ولكن تدبروا نبأ امر هؤلاء القوم ، فإنه لا يخلو(1) امر ثلاث خصال : أما ان يكون القوم على ما نعرف من الدين ، وهذا الحادث فيهم فزيادة في الآداب ، والأحاديث ، والأشعار ، وكلام الناس كثروا ، اما أن يكون القوم اتاهم زيادة فيما معهم(2) من الدين فاغتبطوا به ، والعلم ضالة كل مؤمن ، والزيادة في العلم خير من النقصان . واما ان يكون القوم قد اتاهم هدى غير ما معهم من نبوة نبي اتاهم بها ودعاهم اليها فاتبعوه عن بينة فلا يشكر(3) ذلك من امر الله ، ولن يبلغ الخلق منتهى حكم الله فيهم ، وارادته منهم ، ولو اجتهدوا وان الله كل يوم هو في شأن .

قالوا : يا ابا مالك ، لقد أتيناك وفي قلوبنا من الغيظ على هؤلاء القوم ، والتكفير لهم ، والتفنيد لرأيهم ، ما نستحل به دماءهم وأموالهم(4) ، وقد وجدنا قلوبنا قد (98) خشعت لقولك ، وما قمت به من حجتهم ، والموافقة عنهم .

قال أبو مالك : ما حجتي هذه لهم بل للحق حجتي حتى لاخوانه بالغيب فقمت بحجة الحق منه إذا غاب المحتج له عنه ، ولا مدافعتي(5) ايضاً عنهم بل دافعت عن نفسي ، وعنكم قول الزور ، والرجم بالغيب بما لم نحط بعلمه ، فنكون في ذلك كطواغيت الأمم السالفة(6) لما اعجبتهم مذاهبهم في الحلم ، وفرحوا بما عندهم من العلم ، حتى ظنوا انهم قد احاطوا(7) بجميع ما امر الله وعلمه ، وما اراد من ذلك خلقه ، فقالوا لن يبعث الله بعد رسلهم رسلاً ، ولا ظنوا ان وراء ما بلغوا من العلم مذهباً ، فحكموا(8) على الله بقطع حجة من خلقه ، وخلفائه في ارضه(99) ثم جعلوا علم الله في عباده ، وما اتبعت عليه انبياءه ورسله مبلغ عقولهم فيما جاوزوه ، فهو عندهم ضلال فضلوا بذلك للرأي ، واضلوا كثيراً ، فاستحلوا بحكمهم ما حرم الله ، وقتلوا برأيهم انبياء الله ، وأنا اعيذكم بالله ان تتبعوا اهواء قوم(9) قد خلوا من قبل ، فإن اهل العقول قد يصغوا بهم الهوى الى كل معنى ، ويخدعون من كل طريق ما خلا طريق(10) الدين ، فإنها في الطلب اعفى ، وفضلها لا يخفى .

قالوا : يا ابا مالك ، لا نخالف امرك ، ولا يخفى علينا نصحك(11) ، وما كنا نطيعك في اول امورنا ، ونخالفك في آخرها ، وقد اشرت بالرأي وعرضت بالطلب(12) ، فإن رأيت لن تمضي بنا الى القوم حتى نكاشفهم عن مذهبهم هذا وننظر فيه فإن كان رشداً اتبعناه ، وإن كان غياً اجتنبناه .

---

(1) لا يخلو : تخلى في م
(2) معهم : سقطت في ك
(3) يشكر : نكر في ك
(4) واموالهم : ملالهم في ك
(5) مدافعتي : سقطت في ك
(6) السالفة : السلف في ك
(7) احاطوا : حطوا في م
(8) فحكموا : حكم في م
(9) قوم : قام في م
(10) طريق : طوارق في م
(11) نصحك : ضواحك في ك
(12) بالطلب : طرب في ك

قال ابو مالك : فهذا شك منكم فيما معكم ، والشك (100) لا يعرف حقه ، ولا باطل غيره .

قالوا : فنحن نثبت على حقنا[1] ، ونعذب بما سواه كائناً ما كان .

قال ابو مالك : ليس هكذا يكون طلب المعنى ، ولا بالتكذيب يوجد الهدى .

قالوا : كيف يكون الطلب ، اذا لم نكذب الباطل ، ونصدق الحق ؟

قال ابو مالك : اذا عرفتم الحق وقبوله[2] ، وعرفتم الباطل وتكذيبه ، فلستم في عدد الطالبين بل انتم في عدد العلماء بالنبوة والهدى ، والحكام بالوحي على اهل الدنيا .

قالوا : فنحن نقنع بما معنا من الحق ، ولا نشك فيه ، ونستعفي عن مؤ نةالطلب .

قال ابو مالك : ألم ترضوا ان يكون لهم الفضل عليكم من وجه واحد حتى تجعلوا لهم الفضل عليكم من وجوه كثيرة ، ولم ترضوا ان تكونوا بالفاقة في منازل الطالبين حتى تكونوا بالجهد في منازل القاعدين ؟

قالوا : وكيف صار[3] ذلك فينا ، وما(101) فضلهم علينا ؟

قال ابو مالك : فضلهم عليكم بالمعرفة لما تعرفون ، والزيادة فيما لا تعلمون ، وهذا امر قد وقع الى القوم ، فإن لم تطلبوهم طلبوكم اليه ، وانكم تسمعوا له ، جاهدوكم عليه فينالوا الفضل عليكم بالسيف والطلب ، والجهاد فاما القعود عن الطلب فهو جهل كله ، وتفريط وعيب[4] على العالم حتى يعلم ، وعلى الجاهل حتى يتعلم .

قالوا : يا ابا مالك قد اخذتنا بالحجة من كل طريق[5] ، وكل كلامك فهو صواب ، فافتح لنا من رأيك باباً نعمل عليه .

قال ابو مالك : العجب بالرأي هي والتفريط في الطلب خطأ ، وليس في الطلب عيب على الطالبين ، ولكن الطالب يحتاج ان يعرف ابواب الطلب ، ومن طلب الحق بغير معرفة كان الى تكذيبه اسرع ، لأن الباطل تبدو بوادره بالرياء[6] ، وموافقة الأراء ، والحق تبدو بوادره بالبلوى(102) ومخالفة الأهواء ، فما يترك موافقة الهوى ، ويصير على ملة البلوى ، إلاّ كل ذي قلب سليم .

قالوا : فقد انفتح لنا ههنا باب توصي فيه الى معرفة الطلب ، فبين لنا ما تلك المعرفة ، وما قلب السليم ؟

---

(1) حقنا : خلفنا في م
(2) وقبوله : قلاله في م
(3) صار : سقطت في ك .
(4) عيب : عبار في م
(5) طريق : طارق في ك
(6) بالرياء : الوراء في م

قال ابو مالك : اما معرفة الطلب فتعلمون انكم محتاجون ، والمحتاج يطلب الحاجة بخشوع الفاقة الي المطلوب ، والقلب السليم فقلب لا يصر على التكذيب ، لما ورد عليه كائناً ما كان حتى يكون الحق هو الذي يكشف عن عورته ، فحينئذ يميز الباطل العقل ، ويقبل الحق بقبوله .

قالوا : فقد روينا ان من كان في هذه المنزلة التي لا يكذب الحق ، ولا يبطل الباطل جاهل في فعله ، اذا لم يعرف الحق فينتبه ، ولا باطلاً فيجتنبه .

قال ابو مالك : قد صدقتم فيما رويتم فيه ، ولكن ليس(1) قد خرج(103) عندكم عن حد المكذوبين ، وصار في حد الجاهلين .

قالوا : بلى هو عندنا جاهل غير مكذب .

قال ابو مالك : فان الجاهل ارجى للخير ،(2) وطلب فإن طلب العلم لنفسه ، وإلا طلبته العلماء لأن الجاهل هو أساس الخلق ، لا عيب فيه على من طلب العلم بجهله ، والتكذيب اشر سلعة ، ولا يدرك المكذب بتكذيب هدى ، ولا يؤمن بما كذب به ابداً .

قالوا : صدقت قد عرفتنا عيب التكذيب ، فلسنا نكذب بشيء ابدا حتى نعرفه ، وعرفتنا باب الطلب بخشوع الفاقة الى المطلوب بعد ما تبين حقه ، ام قبل البيان ؟

قال ابو مالك : لا إلا قبل البيان ، حتى تداركوا بالخشوع البيان .

قالوا : فإذا خشعنا للمطلوب(3) حتى تبين ما عنده فكان بيانه(104) ضلالاً فما منزلة الخشوع الم يذهب ضياعاً ؟

قال ابو مالك : لا بد رجع الخشوع لله ، والتذلل لأمره ، ولكم ثوابه اذا لم يستحقه المخشوع له ، لأن الطالب قد قضى حق واجب الطلب ، فإن لم يقض له واجب الحق فمثله كمثل السائل الذي وقف على بعض الملوك يطلب نائلة فلا يسعه في الطلب الا الخشوع شيئاً مما طلب ، فقد قضى واجب حق النعمة ، وله ثواب ما أعطى ، وان لم يعطه فقد قضى السائل واجب الطلب بلطف المسالة ، والتزم البخل مانعه ، وكذلك الطالب للعلم عليه ان يبدأ بالخشوع ، والتواضع ، والصبر على البلوى ، حتى يقضي واجب(4) الطلب ، ثم يجلب الدهر له بعد ذلك ما جلب .

قالوا : هذا هو الحق المبين ، أفتأذن لنا أن نمضي(5) إلى القوم على ما أشرت به علينا ، ولا تغل(105) على ما أمرت ؟

---

(1) ليس : سقطت في ك
(2) للخير : خيار في م
(3) للمطلوب : طرب في ك
(4) واجب : ناجب في م
(5) نمضي : رضى في ك

قال ابو مالك : ما كنت لأشير عليكم (1) بشيء او اضن بنفسي عنه ، ولولا خوف العيب في صدكم عن سبيل الله لأشرت عليكم ان تتخلفوا ، وامضي انا سابقاً لكم الى الخبر(2) كرامتي لنفسي ، وايثارها على كل نفس ، ولكن نمضي جميعاً ، واواسيكم بنفسي كرامة لكم ، وشكراً لما خصصتموني به من هذا الخير .

قالوا : أفكأنك كنت متوقعاً لهذا الشأن قبل اليوم ؟

قال ابو مالك : اما هذا بعينه(3) فلا ، ولكن ما زلت متوقعاً للفرج من عند الله من كل وجه ، راجياً للخير من كل طريق ، مصغياً بسمعي نحو كل متكلم ؛ اطلب الزيادة من كلامه ، محقاً كان ، او مبطلاً .

قالوا : اما الزيادة من كلام المحق (4) فموجود ، فكيف ترجوها من كلام المبطل ؟

قال ابو مالك : زيادة الحق الى الحق نور ، ومعرفة الباطل عن الباطل زيادة في اليقين ، وكلما زاد اليقين عظم(106) منه نور القلب(5) ، ولا ينجو عند الله إلاَّ اهل اليقين ، وأنا ناهض الى القوم ، فإن عزمتم على النهوض معي فانظروا من كان يعرف(6) في نفسه ذنباً فليتب الى الله ، ومن كان عليه دين فليؤده الى اهله ، واغتسلوا الطهارة عن الدنس ، والبسوا للطلب انقى الجلابيب ، واحضروا للمطلوب نية المحتاج فاني فاعل ذلك فان خروجنا الى الله ، فان علم منا صدقاً رفقنا لحقه ، وان علم منا استهزاء بالملة صرفنا عن آياته بأدنى زلة نشريها لوليه من المستهزئين .

قالوا : نعم نفعل ما امرت به الى ثلاثة ايام . قال : لا . قالوا : الى يومين . قال : لا الى يومنا هذا . فان فعلتم ، وإلاَّ فاني ماض .

قالوا : فنحن نتوب(7) الى الله من كل ذنب ، ونقضي عنا كل دين ، ونفعل ما أمرت به ، ولا قوة الا بالله .

ففعلوا ذلك من يومهم ، وخرجوا(107) جميعاً حتى اتوا باب النجتري ، فلما سلموا عليه ، وجلسوا .

قال ابو مالك للنجتري : يا أبا صالح كيف(8) ولدك صالح ، واين هو ؟

قال النجتري : إن صالحاً اليوم والدي ، وأنا ولد صالح ، وصالح عند ربه .

---

(1) عليكم : سقطت في ك
(2) الخبر : الخوار في م
(3) بعينه : عيونه في ك
(4) المحق : حقق في ك
(5) القلب : القالب في م
(6) يعرف : عوارف في م
(7) نتواب : داب في م
(8) كيف : سقطت في ك

قال ابو مالك وقد ظن ان صالحاً قد مات(1) لقول ابيه انه عند ربه : إنا لله ، وإنا اليه راجعون ، أمات صالح ؟

قال النجتري : ما مات صالح ، ولا يموت ابداً ، وأنه لباق ما بقي الدهر .

قال ابو مالك : هذه ثلاث خصال قد تقلبت عن معانيها فصار الولد والداً ، وصار الرب في الارض موجود ، وللرب عبد يوتى اليه منه ، وصار من خلق(2) للفناء باقياً ابداً فويل للطالبين من ملتبس الكلام ، وأن وراء هذا لشيء عجاب .

قال النجتري : يا أبا مالك ، أقصد حاجتك ، وتثبت في سؤألك ، فإنك في اول البلوى .

قال ابو مالك : (108) صدقت ، إن اول الحق بلوى ، وحاجتي لقاء العبد الصالح .

قال النجتري : ليس الى ذلك سبيل ، فعساك تعني ابني صالح .

قال : نعم .

قال : ذلك باذنه .

فنهض الشيخ مسرعاً حتى دخل على ابنه صالح فأخبره بخبر ابي مالك واصحابه ، فسر بذلك لما يعلم من فضول عقولهم ، وقال : اللهم افتح لعبادك سامع(3) القلوب ، واهدهم برحمتك الى دلائل المطلوب ، واشرح صدورنا بنور نورك المحجوب ، ثم مسح بيده على وجهه ، واخلى بهم المجلس ، وأمر أباه بتقديمهم ، فلما دخلوا عليه ، وسلموا وجلسوا ، أوى اليه ابا مالك وأدناه منه ، فكان اول ما تكلم به صالح ان قال : يا ابا مالك زرتنا بفضلك ، وسبقتنا الى الخير بكرمك ، وقد كنت احق ان نزورك لحفظ مودتك ، وتقادم الواجب(109) من حقك .

قال ابو مالك : ومتى عدمت الفضل يا أبا الخير ، لقد حملت فينا صغيراً ، وكرمت علينا كبيراً ، وصرت فينا للخير داعياً ، ونذيراً ، فطاب اصلك ، وعلت(4) فروعك ، وزكى عملك ، فهنيئاً لك .

قال له صالح : امتهماً جئتني يا كعب الأحبار ، ام مقدراً(5) ، فاين عقلك

---

(1) مات : فوات في م
(2) خلق : سقطت في م
(3) سامع : صمع في ك
(4) وعلت : وعرت في م
(5) مقدراً : قرر في ك

الكامل ، وحلمك الفاضل ، الذي عهدته منك ؟

قال له ابو مالك : قدرك يعلو عن التهمة ، والدين يعلو عن التقليد .

قال له ابو صالح : فكيف نسبتني نذير ، والنذير نبي ، والنبي حجة بين الله وبين خلقه ، لهم وعليهم ، فكيف يكون لك حجة لك من لم يحتج عليك ؟

قال ابو مالك : صدقت هذا هو الواجب ، لا نعمل في هذا على سهولة القول ، ولكن بدأناك وبالتي هي احسن ، ورأيت الصدق(1) اولى من نصب نفسه للدين حجاباً ، وللحق زعيماً ، وفتح ابوابه للطالبين ، (110) وقد عرفنا فضل الطلب(2) فطلبناك ، ورجوناك مطلوباً ، فاقصد لحاجتنا .

قال صالح : يا أبا مالك اليس من عرفت(3) فضله ، فقد وجب عليك حقه ؟

قال : نعم ، وجب .

قال : فحين عرفت فضل الطلب هل عرفت حقه ؟

قال : وما حقه ؟

قال صالح : مَعْرفة وجوهه ، فتقصد منها ما وجب(4) لك فيه الحق .

قال ابو مالك : وما وجوهه وكم هي من وجوه ؟

قال له صالح : الطلب على ثلاثة وجوه : فطالب عارف . وطالب يعرف . وطالب متعرف . فأي الثلاثة انت ؟

قال ابو مالك : انا الى معرفة الثلاثة احوج(5) ، فكيف ادعي منزلة لا اعرفها ؟

قال له صالح : فكيف زعمت انك طالب ، إذ كنت لا تعرف وجوه الطلب ؟

قال ابو مالك : ما كنت اعرفها فيه لي .

قال صالح : ان المال كنوز اهل الدنيا ، وان العلم كنوز اهل(111) الآخرة ، فطلب المال(6) على ثلاثة وجوه : فطالب يطلب ما يملك ، وطالب يطلب الى اجل مسمى ، وطالب يطلب نائل الصدقات ، وكذلك طلب الدين وكنوز الآخرة على ثلاثة وجوه : فطالب عارف وهو العالم الرباني يطلب الاموات بالجهل(7) ليحييهم بعلمه ، وطالب

---

(1) الصدق : سقطت في م
(2) الطلب : طالب في ك
(3) عرفت : عارف في ك
(4) وجب : لجب في م
(5) احوج : لاعج في م
(6) المال : ليال في م
(7) بالجهل : بالزجل في ك

يعرف وهو المتعلم الذي قد عرف بعض الدرجات من العلم ، وهو يطلب غايتها(1) ومنتهاها ، وطالب متعرف ، وهو الجاهل المتعرف بجهله لا يعلم شيئاً اكثر من معرفته انه محتاج ، فطلب العلماء ليعلم ، فهذه الوجوه الثلاثة ، وصفات الطالبين .

قال ابو مالك : نعم هذه وجوه الطلب للدين والدنيا ، وان الطالب المتعرف الذي لا يعرف شيئاً ، وقد علمت اني محتاج فعلمني .

قال : علمت ام عرفت ؟

قال ابو مالك : وما الفرق بينهما ؟

قال صالح : العلم خبر ، والمعرفة(112) عيان .

قال ابو مالك : وهذا ايضاً مما يحتاج الى علمه .

قال صالح : اما الخبر فذلك رجل جاهل لا يعلم انه جاهل حتى لقى عالماً فأخبره العالم بجهله ، فعلم أنه جاهل محتاج الى العلم . يقول ذلك العالم : فصار علمه بجهله(2) خبراً . وأما المعرفة بالحاجة والجهل ، فذلك رجل عرف بعقله ان ليسأل عن الشيء فلا يعلم ، وجهل جوابه فيضيق صدره بالجهل ، ولا يرجو الفرج الا بعلم ما جهل ، فصار جهله معرفة بعقله ، والجهل فاقة ، والفاقة ضيق ، والضيق حاجة شديدة(3) تضطر الخلق الى طلب السعة ، والسعة سعة العلم ، لأن العلم رحب واسع ، فمن ها هنا عرفت انك محتاج .

قال ابو مالك : انا اجد كل هذا الذي وصفت(4) في نفسي ، ولقد عرفت اني محتاج ذو فاقة شديدة فسد فاقتي بفضلك(113) .

قال صالح : اراك تعجل في الطلب قبل التثبت .

قال ابو مالك : اعجلتني الفاقة بضيقها فعجلت ، وعرفت فضل السعة فطلبت .

قال صالح : فكيف ذلك بمعرفة المطلب ؟

قال ابو مالك : قد صح لي فضلك فقصدتك ، وعرضت بالمعنى فطلبتك .

قال : فمن أين لي إن صح لك نفي معروف(5) بالسعة دونك فطلبته ، ومن اين علمت انني المطلوب فقصدته ، ولم يدلك على نبوة فتعلم ، ولم تر في مصاديق الأدلة فتعرف ، أفلا ترى أنك تستمر في الطلب الى سهولة التقليد فتظلم الحكمة ، وتظلم

---

(1) غايتها : غواية في ك
(2) بجهله : بجلاهة في م
(3) شديدة : شدة في ك
(4) وصفت : سقطت في م
(5) معروف : عوارف في ك

لنفسك ، كالذي يكيل بالسفل القفين ، فإن لم يقض ظلم غريمه ، وان اقضى ظلم نفسه ، كذلك من يأخذ العلم تقليداً إن عمل لم يشكر وان ترك قيل كفر ، وأنت عندي اعقل من ذلك .

قال ابو مالك : اني لعارف بذلك انه كذلك ، (114) ولكن رجوت(1) ان يكون الحق هو الذي يثبت نفسه ، واعفيك عن التثبت ، فإن الجدال يورث التنازع ، والتنازع يورث الضغائن ، لطلب كل واحد من الخصماء الفلج على صاحبه ، فمن يدرك الحق من لجج في نصرة الباطل .

قال له صالح : نعم ما قلت ، أو أن الحق ليثبت نفسه بفضله(2) وشرفه ، وان الخصوم اذا اكثرت ليشغل القلوب عن ما هو أولى منها ، ولكن لا متركٍ لما سنه العلماء ، فإنهم قالوا كل زرع لا تطيب له الأرض قبله لا يزكو ، وكل علم لا تطهر له القلوب بالحجة لا ينمو .

قال ابو مالك : فاذكر من الحجج ما شئت فإن كلام الحكمة كالجوهر ، ان قلبته تلألأ نوره ، وان تركته فلن يخف فضله .

قال صالح : صدقت ، ولكن ذلك إذا لم يكن مع الجوهر(3) تشبيه من الزجاج المموه(115) لم يكن بالجوهر خفا فاما ، اذا كثرت الدعوى ، وتنازع الدين طواغيت الدنيا حتى لبسوه بغيره ، وموهوه بالتشبيه على الطالبين ، فالواجب للطالب عند ذلك ان يمتحن له بالجوهر حتى يتبين فضله ، ويفتضح المموه ، واهله .

قال ابو مالك : قد انصفت ، وقمت بواجب الحق ، فاما تمويه هذا الخلق فقد عرفناه ، وعيوبه فرضناه ، وتمسكنا جميعاً بحبله ، وان كنت وجدت معنى هو انفس منه جوهراً ، فلعمري ان الجواهر ليفضل بعضها على بعض ، فأين فضل جوهرك بمحنة يعرف بها فضله ، فاما جوهرنا قد عرفناه وعرفته ، فقل فيه ما بدا لك . قال له صالح : اما جوهركم ، فقد كان عندنا كريماً بمنزلة الجوهر الصحيح حتى عرضناه(4) على جوهريين ، واهل المعدن فزيفوه علينا ، ولم يقبلوه منا جوهراً وقالوا(116) : هذا مموه من الزجاج ، واظهروا لنا عيوبه فسقط عن حدود الجوهر ، وإنما يرتفع الجوهر بنفاسته ، ومعرفة اهل البصائر بفضله ، وتنافسهم(5) فيه ، فيبلغ به الثمن كل مبلغ ، واذا اسقطه الجوهريون فمن يعرفه غيرهم ، او من يقبله بعد ذلك ، إلا اهل الغرور الذين لا يبيعون ولا يشترون ، وكذلك لا يكون ، والعلم(6) علماً حتى يعرض على من يعلم علم السماء ،

---

(1) رجوت : صحوت في م
(2) بفضله : فضالة في ك
(3) الجوهر : الجواهرة في م
(4) عرضناه : عوضه في ك
(5) وتنافسهم : سقطت في م
(6) والعلم : والأعالم في ك

فإن قبلوه فهو علم صحيح ، وان لم يقبلوه فهو لغو ، واللغو لا يجوز(1) في الحكمة ، ولا يقبله الحكماء .

قال ابو مالك : ومن هؤلاء الذين يعلمون علم السماء بعد الأنبياء والمرسلين ، فانا لا نعلم في زماننا هذا منهم احداً ، ولا الناس عهدوا بهؤلاء منذ انقطع الوحي بالكتب ، وما تدين الأمم إلاّ بالروايات ، فما قولك في ذلك ؟

قال صالح : فان كل دين يدان به من جهة (117) الروايات لا يسمى ديناً ، لأن الدين واحد ، قيم لله بحقه ، لا إختلاف فيه ، والروايات ما قد علمت من الإختلاف فيها ، والتكذيب بعضها لبعض ، ودين الله اعز من ذلك .

قال ابو مالك : فانهم اذا اختلفوا في الرواية رجعوا فيها الى الكتب فما وافقها قبلوه ، وما خالفها كذبوه .

قال له صالح : فما لم يوجد في الكتب إلاّ موصولاً فمن يفصله لهم ، ومن الموثوق به منهم على حلال الله وحرامه ، ولقد سمعتك يوم الخصام ، وقد اتاك رجل مكروب فقال لك : يا أبا مالك ، إني حلفت يميناً بالطلاق ، وحنثت فيها . فقلت له : قوم يقولون إنها بانت منك ، ولا تحل(2) حتى تنكح زوجاً غيرك ، وقوم يقولون انها امرأتك ولا تحرم عليك بتطليقة واحدة ، فقال الرجل : فعلى أيهما أعمل؟ فقلت له : اعمل(3) على أي الأمرين (118) شئت ، فقام من عندك(4) وهو لا يدري احلالاً يركب ام حراماً فهكذا يكون الحكم في دين الله ام هكذا يكون حلال الله وحرامه ؟

قال ابو مالك : إن الشريعة لعمري قد افسدت وتعطلت ، وما نتمسك(5) إلاّ باسم الدين ، فما حلال الدين عندك ؟

قال صالح : وما الدين يا ابا مالك .

قال : الأمر والنهي ، والحلال والحرام ، والسنن والفرائض .

قال صالح : فما الشريعة غير(6) هذا عندك ؟

قال ابو مالك : ما اعرف من ذلك غير ما وصفت لك .

قال له صالح : فقد تعطل الدين بتعطيل الشريعة ، وفسد لفسادها ، فما بقي معك ؟

---

(1) يجوز : يجاز في ك
(2) تحل : سحر في م
(3) اعمل : عول في ك
(4) عندك : ردك في ك
(5) نتمسك : سوك في م
(6) غير : سقطت في م

فانقطع ابو مالك عن الجواب حيناً مطرقاً يتفكر في امر دينه ، ثم رفع (1) رأسه فقال : لا اعلم انه بقي معي شيء ، فما الدين عندك ؟

قال له صالح : الدين عندي ، ما اوثق (119) حجابه عن المفسدين ، وفتحت ابوابه للطالبين ، فكرم بالسبق جاليه ، ولحقه بالخير طالبه ، فشرفت الأعمال بفضله ، وزهرت (2) الشرائع بعدله ، وهو سبب من السماء الى الارض ، موصول غير مفصول ، عروة المتمسكين (3) ، وحبل المعتصمين ، وتابوت السكينة ، وسفينة النجاة ، ونور الحياة ، كريم مضمونه ، ومضمونه علومه ، جواهره موسومة ، لا يخفى فضلها على كل من نظر إليها .

قال ابو مالك : إن كان لله دين يدان به يوماً ما يرضاه لثوابه وعقابه ، فعلى هذا المعنى يكون ، والآن فقد استبان فضل الصفة له فكيف الموصوف ؟

قال له صالح : لا يكون الطيب إلاّ من طيب ، يا ابا مالك ضع نورك في مشكاة عقلك ، واعقل ما يراد بك ، فقد تنازعتك حقوق المقدور ، وذهلت عنك جلابيب الغرور ، (120) وكلفت من امر (4) نفسك ما لا يقوم به غيرك ، مهما تقلدت من امر هؤلاء الذين يتبعونك باحسان فسمعوا قولك ، وقبلوا هديتك ، وصدقوا رأيك ، فالواجب عليك ان تقي (5) نفسك وأياهم ناراً لا محيص لكم عن ورودها ، فاطلب السبيل الى النجاة منها ، فانت أكثرهم من الله حظاً ، واشدهم شكراً عليه وجوها ، فقد عهدتك تعرف الخير ، وترجو ثوابه ، فاما ما سألت من تثبيت ما دعوتك اليه فواجب لك ان اثبته من أي الوجوه شئت (6) .

قال ابو مالك : ما تقدم من قولك فكله صواب ثابت ، واما رواية العامة فلا يصح الدين بها ، ولا تصلح له ، ولم تبق لنا إلاّ معرفة ما تدعون اليه .

قال له صالح : ادعوك الى عدل الله ، وتوحيده .

قال ابو مالك : فنعم ما دعوت اليه ، وانا لنقول بهذا القول ، ونعرف فضله على (121) جميع المقالات .

قال له صالح : ليس حيث ذهب اليه وهمك يا ابا مالك ، تلك المقالة التي تعني وصف للعدل بغير معرفة الموصوف ، والحاد (7) في اسماء الله بغير معرفة توحيده ، وهذا

---

(1) رفع : رفيع في ك
(2) وزهرت : هورت في ك
(3) حبل : فحل في م
(4) أمر : رأي في ك
(5) تقي : تواق في ك
(6) شئت : اردت في م
(7) والحاد : حوار في ك

الذي ادعوك اليه معرفة عدل الله ومعالم توحيده ، فإن شئت اوقفتك من فساد ذلك القول على ما آجبت .

قال ابو مالك : اذا كان قول اهل العدل فاسد ، او توحيدهم الحاد ، أفليس في الارض حق ثابت إلاً ان يكون معنى غير جميع المقالات ، فبين لنا فساد العدل ، والتوحيد ، من أين جاء ؟

قال له صالح : العدل والتوحيد من أشرف المقالات جميعاً، والتوحيد يعظم عن الفساد اذ لا ضد للتوحيد ، والعدل لا يفسد إذ كان حكماً بين الله وبين خلقه ، ولكن(1) تفسد المقالات جميعاً بما افسد ، وأمن قول العدل(122) وغيره فانها دعوى لا يثبت بها قول ، ولا يحيطون بعلم ما قالوا حتى يفيئوا الى أمر الله ، فدافع عن أيهما شئت وتقلده(2) حتى أزيله عنك بحجة الحق .

قال ابو مالك : ما كنت لادافعك عن قول لا اقول به ولا سألني صاحب ذلك ، ولا نصبني لقوله وكيلاً ولا انا على صاحب المقالات بحفيظ ، ولا ادافعك إلاَّ ان قولي فاني اقول ان الله واحد ليس كمثله شيء عدل في حكمه لا يكلف العباد ما لا يطاق حمله ، فأمرهم ونهاهم قائم(3) بامره حتماً ، ولم ينه جبراً بل امره بخير ، ونهيه تحذير ، فلم يطع مكرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، فهذا معناي ، وما اقول به .

قال صالح : اليس قد اعلمتك ان هذه المقالة من اشرف(4) المقالات ، ولكنها اسماء وصفات ، لا تنفع الا بوجود معناها كقولك النار حارة ، فقد صدقت ، ولكنه صدق لا ينفعك ،(123) لأن قولك النار حارة اسم وصفة لا ينفعك ذكرهما ، اذ كان لا ينضج بهما طعام ، ولا يستضاء بهما في ظلام ، دون معنى وجود النار ، ولو كانت الاسماء والصفات تقوم في الاشياء مقام المعاني إذاً لأحرق لسانك من ذكر النار ، واشبعك دكر الطعام .

قال ابو مالك : اما القول في هذه الاشياء فقد صدقت ، لأن اسماءها وصفاتها لا ينفع إلاَّ بوجود معناها ، فبين لي ان قولي بالعدل والتوحيد اسماء وصفات تقتضي معرفة مسمى موصوف ؟

قال له صالح : قولك إن الله واحد ، وواحد او اربعة احرف ، فرأينا حرفين موصولين ، وحرفين منفصلين ، فأيهما واحد ؟ أم جميعها واحد ؟ قولك الله ، فذلك أربعة أحرف فأيهما الله أم جميعها الله ؟ أم هي دلائل على الله ، أم تقول غير هذا ؟

---

(1) ولكن : ويمكن في ك

(2) وتقلده : قلادة في م

(3) قائم : نائم في م

(4) اشرف : سارف في ك

قال : فأطرق ابو مالك حيناً ، ثم قال : (124) لا اجد في هذا مخرجاً إلاّ انها دلائل على الله .

قال صالح : ايها تدل[1] على الله او بهما تدل على الله ؟ بافتراقهما أم باجتماعهما ام بانفراد بعضها واجتماع بعض ؟ مثل قولك الله فانفرد الألف وحده ، واتصلت الحرف الثالث بالثاني فايهما تدل على الله ، اهذا بانفراده ، ام هذه باتصالها ؟

قال ابو مالك : لا ادري ما اقول لك في هذا فاخرج بنا الى باب[2] غيره .

قال ابو صالح : فقد غلق عليك باب المعرفة بالتوحيد ، من قال بهذا الوجه يا ابا مالك .

قال : نعم .

قال صالح : فاسألك عن معرفتك بالله من اين هي ؟ وعمن اخذتها ؟ عن صفة دلتك على موصوف ؟

قال : نعم .

قال : ما هو الاسم الذي دلك ؟

قال : الله .

قال صالح : الله اسم ام مسمى ؟

قال : مسمى .

قال صالح : فما الاسم ؟

قال : الله تعالى .

قال صالح : الله اسم لله ؟

قال : نعم .

قال(125) صالح : فما الفرق بين الاسم والمسمى ، وايهما تعبد ام كلاهما ؟

قال : فتحير ابو مالك واطرق حينا يفكر في جوابه ثم قال : لا اجد في هذا مذهباً غير اني رأيت جميع الصنائع لكل شيء منها صانع فحكمة ان لهذا الخلق العظيم خالقاً لا يشبه شيئاً من خلقه كما لا يشبه[3] الصنائع ما صنعوا .

قال له صالح : يا أبا مالك ، لقد خرجت بنا عن معنى الاول ، واضطرك المضيق

(1) تدل : دلال في م (2) باب : تاب في ك (3) لا يشبه : شواهد في ك

في معنى التوحيد الى ان طلبت بالقياس ، وضربت له الامثال ، والله اعز من ذلك ، لا كل صانع شيء فمن شيء صنع ، والله لم يخلق الاشياء من شيء كان قبلها ،وهؤلاء الصناع وانما عرفتهم بمشاهدتك بعضهم بالعيان كيف يصنع ، فحكمت على صنع غاب منك صانعه ، بما عاينت من فعل شبهه من الصناع الذين شاهدتهم (126) وعرفتهم ، قياساً منك والله لما خلق من ذلك لم يشهدك خلق ما صنع ، ولا كان له مثل يصنع كصنعه ، فشهدت بالمثل الخاصة على المثل الغائب ، وما عهدتك يا أبا مالك ترضى بالقياس(1) في دينك ، فكيف يرضى ان تطلب معرفة ربك بالقياس وقولك ليس كمثله شيء ، وهو يدل من قولك ان له مثلاً وليس شيء ، ولو كان قصدك التوحيد لقلت ليس كهو شيء ، ولم تقل ليس كمثله شيء ، فسبحان من لا يدركه بعد الهم ، ولا تناله طوائح الإشارة بالإدراك ، بل تعالى علواً عن وصف المكلفين ، يا أبا مالك لو كان قصدت(2) بهذا الطلب عبداً من عبيده او ملكاً من ملائكته لأعجزك عن ادراك القول فيه كيف خالقه ، ولقد قصرت انوار أهل الارض عن إدراك نورْ الشمس ، وهي من انوار الدنيا ، فأين يدرك(3) من الخالق ما لا يدركه من عبده ، فقل ما بدا لك .

قال : فاطرق(127) ابو مالك ملياً الى الارض حيرانا لا يجد الى الكلام سبيلاً .

قال صالح : يا ابا مالك ارفع رأسك ، وقل ما حضرك من القول .

قال ابو مالك : ذهب القول فلا قول ، وتحيرت العقول عن الجواب ، وذهلت الاوهام عن التفكير ، وضعفت(4) الآلة ، فلا يدرك بها غير الطلب ، والسؤال .

قال صالح : يا أبا مالك فمن كان بهذه المنزلة اتدركه الابصار ؟

وقال : لا هواء على من ذلك فيسمع له كلام .

قال : لا يكون كلام الا من متكلم موصوف بالكلام ، والله يعظم عن الصفات .

قال له صالح : فهذا الواسع ذو العظمة العلي ذو القدرة ، أيكون جائر في خلقه فيكلفهم ما لا يطيقون ، ويأمرهم بما لا يدركون ، ثم يعذبهم اذا لم يفعلوا ؟

قال ابو مالك : كل من كلف المطيع لأمر ما لا يطيق ، فقد كلفه معصية ، وعقوبته عدوان ، والله اعز من ذلك..

قال(128) : يا ابا مالك فمن كان بهذا الإمتناع(5) عن الظلم والعظمة عن العدوان ايرضى بالجهل خدنا لعباده .

---

(1) بالقياس : قياس في ك
(2) قصدت : فصارت في م
(3) يدرك : فداك في ك
(4) وضعفت : رأفت في ك
(5) الامتناع : رجاع في ك

قال ابو مالك : الجهل قاطع للشكر مواصل للكفر ، والله لا يحب كل كفور .

قال صالح : أفخلقهم علماء يعلمون ما يراد به ؟

قال : لا بل خلقهم جهالاً [1] لا يعلمون شيئاً .

قال صالح : فمن أين لهم العلم بما يراد به من شكره ، حتى يوجب لهم رضوانه ، ويؤمنهم من سخطه ؟

قال ابو مالك : علم ذلك من عند الله .

قال صالح : فإذا كان عاليا من المشاهدة ، واسعاً عن إدراك الابصار ، عظيماً من حدود الكلام ، فكيف يعرف امره [2] من نهيه ، وطاعته من معصيته ، وشكره من كفره ، إن لم تدرك معرفة ذلك باسباب بينه وبين خلقه عدلاً منه فيهم ، بعدوله يشهدون لهم ، وعليهم يختارهم بعلمه ،(129) ويصطفيهم من جميع خلقه فيجعلهم رسلاً اليهم ، وحججاً [3] عليهم ، فيكونون من عدل الله عدولاً بينه وبين عباده ، مؤدين امره ونهيه ، طاعتهم من طاعة الله ورضوانه ، ومعصيتهم سخطه [4] وعقابه ، وإلا فكيف يتصل الأمر من الله الى خلقه ؟

قال ابو مالك : هذا لعمري من أساس العدل ، واول ما يحتاج الخلق [5] اليه من عدل الله ان يعلمهم ما يريد منهم على يد العدول من خلقه ، فيشكر محسنهم ويثيبه ، ويذم مسيئهم ويعاقبه ، إنشاء .

قال صالح : أفيجوز في الحكم من العدل غير هذا ؟

قال : لا يجوز غيره والله احكم الحاكمين .

قال صالح : أفيجوز في حكمه ان يكلف بعض خلقه امراً ويدلهم عليه بعدل من عدوله ثم يكلف بعض آخرين مثل ذلك الامر بعينه ، ثم لا يدلهم عليه [6] بعدل من عدوله ،(130) كما فعل للأولين ؟

قال ابو مالك : لا يكون الحكم إلاّ واحد ، واذا خرج الحكم [7] الى معنيين فلم يخل احدهما عن التجوير .

قال له صالح : اليس قد ثبت لك هذا الحكم من الله انه واحد لا اختلاف فيه ،

---

(1) جهالاً : جهول في ك
(2) امره : افاد في م
(3) حججاً : حجاباً في م
(4) سخطه : صراط في ك
(5) الخلق : الخلاق في ك
(6) عليه : علاه في م
(7) الحكم : سقطت في ك

والسنة واحدة لا تبديل لها في رسله ، ولولا تواتر الرسل ، وثبات الامر والنهي ، لم يكن للحق نمو ، ولا للخلق معنى ؟

قال ابو مالك : نعم هذا هو الحق ؟

قال صالح : أفليس تواترهم من الله الى خلقه يقتضي لهم الطاعة ويوجبها لهم فرضاً ، وجعلهم عدولاً بينه وبين خلقه ليشهدوا لمن اطاعهم ، فيقبل عنهم ، وليشهدوا على من عصاهم فيصدهم عنهم ؟

قال أبو مالك : ان لم يكن الحكم هكذا أو هكذا ، وإلا كذب رسله ، واخلف ، وعدل الله أكرم من ذلك ، وقد بين أمر الرسل أنهم من عدله(1) وتعبد الخلق به من طاعتهم (131) ، ولكن أخبرني عن منازل هؤلاء العدول عند الله ، أهم سواء أم لبعض فضل على بعض ؟

قال له صالح : كيف يستوون في المنازل وهم مستعبدون بالطاعة بعضهم لبعض ، ولو كانوا في المنازل سواء(2) لم يطع بعضهم لبعض لتتصل الطاعة من المفضول الى الفاضل ، ومن الفاضل الى من هو افضل منه ، حتى تنتهي بهم الطاعة والعبادة الى منتهى ما أراد الله ؟

قال ابو مالك : أفمن يطيع الفاضل منهم والمفضول هم سواء ؟

قال : نعم ، إن ذلك من عدل الله الواجب لكل مطيع اجره ، ولا يسأل عن حد فاضل ، ولا مفضول .

قال ابو مالك : هل يتشبه بالأفاضل احد من اضدادهم ؟

قال : لا يكون ذلك لانهم يأتون من الخالق يعلم الغيب في الكتب التي انزلها عليهم(3) فلا يقدر احد ان يأتي بمثلها ، ألاَّ(132) من عند الله .

قال ابو مالك : فهل يقدر احد ان يتشبه بالمفضول منهم ، اذا لم يأته كتابه يوحي اليه فيه من الغيب .

قال صالح : لا يقدر احد أن يدعي ذلك المقام(4) .

---

(1) عدله : عدالة في م

(2) سواء : وراء في ك

(3) عليهم : سقطت في م

(4) المقام : القوام في ك

قال ابو مالك : وكيف ذلك ، ولم يبينوا من الخلق بالغيب ،(1) كما أبان الفاضل نفسه .

قال له صالح : إن كان الفاضل أبان نفسه من غيره بعلم الغيب في التنزيل ، فان المفضول ايضاً يبين عن غيره بعلم الغيب في التأويل ، فكل من عند الله تنزيله وتأويله ، ولا ينال(2) ما عند الله إلاّ بالوحي .

قال ابو مالك : والمفضول ايضاً يوحى اليه ؟

قال : نعم ، ولذلك صارت طاعته طاعة الله .

قال ابو مالك : فاذا سويته بالوحي ، والطاعة مع الفاضل ، فلم سميته مفضولاً .

قال صالح : بطاعته للفاضل وحاجته اليه .

قال ابو مالك : وأي حاجة له الى المخلوق اذا(133) كان الوحي يأتيه من الخالق ؟

قال صالح : وان كان لا يأتيه الوحي فإنه يأتيه بتأويل الأحاديث ، والكتب ، وبقية مما ترك الأفاضل ، كوحي الى لوط على يدي ابراهيم عليه السلام ، فأبان فضل ابراهيم ، وكما اوحى الى اسماعيل واسحاق فجعل الخيرات والبركات والفضل لابراهيم ، فالوحي من الله متصل الى عدوله في ارضه على قدر منازلهم ، ولا يجب في عدله ان ينقطع امره ونهيه عن عباده بعد المنة به فتنقطع العبادة ، ويستباح الجهل .

قال ابو مالك : فان صاحب التنزيل قد أبان صدقه بعلم الغيب الذي في كتابه ، فيما يدل صاحب التأويل ان معه عالم الغيب حتى يشهد له بالوحي ، وتوجب له الطاعة دون غيره ، كما وجب لصاحب التنزيل .

قال صالح : يأتي في تأويله بعلم من السماء ، وبيان من الملأ الأعلى ، ويشهد (134) بذلك الكتاب .

قال ابو مالك : فانا اشهد على ما شهدت(3) به الكتب ، إن كل تأويل يشهد له التنزيل انه وحي من الله ، والا فقد وجب تكذيب الكتب كلها والرسل ، اذا كان معناهم معنى واحد .

ثم قال له صالح : اذا كذب بعضها بعضاً وجب تكذيب الجميع ، وكذلك إذا صدق بعضها بعضاً وجب تصديق الجميع .

---

(1) بالغيب : بالوارد في م   (2) ولا ينال : قال في ك   (3) شهدت : شهادة في ك

قال له أبو مالك : هكذا يكون العدل، وبهذا يعرف الصدق، وفضل (1) من صدق به ، وأوجب الطاعة لأولي العزم، الذين هم عدوله في خلقه،و يعرف فضل الذين هم عدله وفي خلقه ، وكلفهم بلاغ رسالته ، فإذا وجبت طاعة اولي العزم ، بالنبوة ، والتنزيل ، والتأويل ، فما بال (2) هؤلاء الذين يجلسون في مجالسهم تشبها بهم وليسوا منهم ، ثم أجمعوا جميعاً على ان ليس بعد نبيهم نبي في زمانهم نذير ، فانهم هم القوام بأمر الله ودينه ، وان قولهم هذا مؤدي الى (135) ثواب الله وعقابه ، وانت تقول غير ذلك ، فكيف ترك علماء هذه الأمة النظر في هذه المدة ؟

قال له صالح : ما تركوه ، ولكن لم ينظروا فيه نظراً يصح لهم ، ولا كلمهم به احد ، فيصغوا اليه بعقولهم لما أشربوا في قلوبهم ، انهم اولى بأمر الله ودينه ، ولا نبي بعد نبيهم ، كما قال من قبلهم من غداة الأمة السوالف ، فزعمت كل امة انه لا نبي بعد نبيهم .

قال ابو مالك : وما كان اول ذلك ، وما أرادوا به ؟

قال له صالح : كان أوله ثلاثة في كل زمان : شيطان مريد وجبار عنيد ، وفقيه مرأي . فإذا ارادوا بهذا القول قطع رسوم الانبياء من خصائص النبوة ، وجعلوها دولة بينهم ، فلم يتم لهم ذلك حتى اشربوا قلوب الأمم بالقول لكل امة ، ان الله لم يبعث افضل من نبيهم ، وليس بعده نبي ، ولا نذير ، (136) وسؤالهم من حيث يغفلوا ، وأزالوهم من حيث لا يعلمون ، فتمسكت كل أمة (3) بنبيها على تكذيب من بعده ، وظنوا ان ذلك تقرباً الى نبيهم ، وزعمت كل امة ان كل نبي بعد نبيها كاذب ، فانقطع ذكر النبوة ، ورسوم الأنبياء عن الأمم جميعاً ، بهذا القول فلم يطلبوا من ذلك ما فقدوا ولم (4) يصدقوا به إذا طلبوا ، فتمكنت الشياطين من الغواية فأغووهم ، وتمكنت الجبابرة من قتل الانبياء فقتلوهم ، وتداخل الشكر من فقهاء السوء فزينوا لهم ، فهلكوا واهلكوا ، وكل ذلك لأن لا تصبوا (5) قلوب الخلق الى الأنبياء اذا ظهروا ، ولا يطلبوا اذا فقدوا ، وتناهى بهم اليأس الى الانبياء ، الى ان دعوا الى الحق جهاراً فكذبوا (6) ، وقتلت الأنبياء نبيهم ، فلم يغضبوا ، فهذه امة المجوس متمسكة (137) بطغيانها ، عابدة لأوثانها ، معتكفة على نيرانها ، يقولون بزعمهم لن يبعث الله من بعد رسولهم رسولاً ، وهذه (7) امة التوراة متمسكة بزبورها ، عاكفة على عجلها ، قائمة بحدود اسبابها ، خاشعة لديانتها ، يقولون بزعمهم لن يبعث من بعد موسى رسولاً ، فهذه أمة الانجيل ، قائلة بتشبيهها تزعم ان نبيها

(1) فضل : ضل في م
(2) بال : وجال في ك
(3) امة : سقطت في ك
(4) فقدوا : فراقدوا في م
(5) لا تصبوا : لا تربوا في م
(6) فكذبوا : كاذبين في ك
(7) وهذه : سقطت في ك

هو الهها ، متقربة بصلبانهـا ، معظمة لأحبارهـا [1]، يقولون لن يبعث الله من بعد عيسى رسولاً وهذه امتكم قد سلك بها سبيل من كان قبلها فاغواها من غوى ، فورثت الكتاب من غير اهلها ، وسلكت بالدين غير ملته ، وتبعت بالغي قادتها ، واطاعت في الضلالة ساداتها ، وخشعت للجبابرة فقهائها ، فاقاموا لهم الدين بغير السنن باقامة الصلاة بغير وقتها ، ودفع الزكاة في غير حقها ، (138) فهم مجموعـون بالصبـر عليهـم ، مواظبـون بالحاجة اليهم ، موقنون بالغي عن غيرهم ، يقولون لن يبعث الله من بعد رسولهم رسولاً ولا نذيراً ، فتبعت انت ونظراؤك قول السـواد الأعظـم ، وراعكـم كثـرة الجماع وقهـر السلاطين ، فقبلتم ذلك عنهـم ، وحليتمـوه بحسـن مذاهبـكم ، وفضلتمـوه بحسـن الفاظكم ، واقمتم به حجة العدول ، بما لم يحتج به عليكم ، فتبعتـم من فوقـكم من الجبابرة للهيبة ، وتبعكم من دونكم للرغبة ، وظنوا انه الحق فإن وجب تصديق هذه الأمة بما حكمت على الله بقطع حججه عـن خلقه بخصلة [2] واحدة من جهة الإجماع فان الامم السوالف اولى بالتصديق لثلاث خصال ، تجب لهم به الحجة عليكم ، ويجب لهم فيها الصدق دونكم .

قال ابو مالك : وما تلك الخصال التي تجب [3] لهم فيها الفضل علينا حتى(139) يجب تصديقهم ان كان قولهم صدقاً او تكذيبهم ان كان قولهم زيفاً ؟

قال له صالح : قولهم مثل قولكم ، وقولكم من جنس قولهم ، تشابهت قلوبهم ، ولهم الفضل عليكم في الحجة . اما أول خصلة فانهم يقولون انهـم اسبـق الى دين الله منكم ، فلهم فضل [4] السابقين والثانية فإن الإجماع منهم ومنكم على تصديق ما معهم ، فلهم فضل الصادقين والثالث شهادتكم لهم أن أنبياءهم صادقون ، وانهم رسل الله ، ولم يشهد لنبيكم أحد منهم بنبوة ، ولا صدق ، فلهم الفضل عليكم بالإجماع منكم معهم ، والإنفراد عنهم ، فهم يقولون ان الذي معكم من العلم مستنسـخ [5] من علومهـم هي والأصل لعلمكم ، فهذا احتجاجهم عليكم واضح القول ، بين العدول ، فإن وجـب حكم الخلق على الخالق ، فحكم (140) هؤلاء اوجب ، فإن كان الخالق هو الحاكم على خلقه ينسخ ما يشاء ، ويثبت ما يريد ، لا معقب لحكمه ، فلعمـري ان قولـه الجمـع يسقط ، والخالق اولى بالخلق والأمر ، وانه كل يوم في [6] شأن ، ولا ينكر فعله ، ولو بعث في كل يوم نذيراً .

قال له ابو مالك : لقد انتظرت [7] هذه الامة على ضلال بعيد .

---

(1) لاحبارهم : لاخوانهم في ك
(2) بخصلة : بواحدة في م
(3) تجب : واجب في ك
(4) فضل : فضلال في م
(5) مستنسخ : سقطت في ك
(6) يوم في : لام الى في م
(7) انتظرت : نظر في ك

قال له صالح : ولقد ضل قبلهم اكثر الأولين ، فاخرجوا اولياء الله عن حقهم ، وغلبوا بالسفهاء على امرهم ، فاستحلوا ما حرم الله تعمداً لئلا يتشبهوا بالنبوة فيشتاق الناس الى الانبياء فلا يقبلوهم عند ذلك ، ولكن الهوهم بالملك والعطاء ، وتابعوهم على موافقة الهوا ، واعانهم على ذلك من كان يعرف بالصدق والورع في الظاهر يراؤن به الناس حتى أزالوا(1) الأمة عن المعروف من كان يأمرها به ، ويدلها على المنكر من كان ينهاها(141) عنه ، وقل اهل الوفاء لأولياء الله ، فصار الحق والباطل دولا ، كالنور والظلمة واختلافهما ، فلولا بقايا اولياء الله وعدوله في الأرض والوحي الذي يأتيهم لم يعلوا القليل من الصدق على الكثير من الباطل ، وإلاَّ فلن(2) يميز الله الخبيث من الطيب إلاَّ بعدوله ، وكيف تبلغ حجة الله على جميع الخلق الاَّ بهم ؟

قال ابو مالك : لا كيف ، ولا مخرج لعدل الله وامره مع كثرة الاضداد ، إلاَّ بعدول الله ، وبهم يصح الحجة عن امر الله لخلقه ! !

قال صالح : فإذا ثبت ان الجماعة من أنبياء الله هم العدول ، فليس يسمى الواحد منهم عدلاً .

قال : بل عدل كما يقال : شهد فلان ، وهو عدل من العدول .

قال صالح : فقد ثبت لك ان العدول ولي الله ، وخرج عن حد قولك بالصفة (142) وصار موصوفاً .

قال : نعم هذا صحيح من القول .

قال صالح : فمن لم يدرك الموصوف هل ينفعه الصفة ؟

قال : لا ينفع الصفة إلا يدرك الموصوف .

قال صالح : فمن لم يعرف عدل الله ووليه أيكون قوله عدلاً ؟

قال : فتبسم ابو مالك ، وقال : اخرجتني والله عن مقالتي بالعدل(3) والتوحيد صفحاً مما اخرجني عنها إلاَّ الحق باوضح الحجج ، والطف البيان ، وأي مقالة تثبت بعد هذا ؟

قال له صالح : من ها هنا يا أبا مالك سقط(4) الزجاج المموه من اهله عن الوان الجواهر فلم يعرف فضله ، ولما عرض على الجوهريين افتضح ، وافتضح اهله المخادعون .

---

(1) ازالوا : زوال في ك
(2) فلن : سقطت في م
(3) بالعدل : بالعور في ك
(4) سقط : وقع في م

قال ابو مالك : صدقت ، وقد ثبت زيغ المقالات ، وضلال الأمم ، فكيف لنا بالنجاة عنهم ، ومعرفة اسباب الله او سبب منها ، ولم تدرك زمانهم ، وليس في زماننا هذا انبياء ، ولا رسل ، كما كان في الأمم قبلنا(143) ؟

قال له صالح : سبحان الله يا أبا مالك لم تزل تقول بالعدل على الله برهة من دهرك فلما نظرناك فيه لنشبه لك من حيث وجب عليك، رجعت تقول بالتجوير الى الله وتنسب(1) الجور الى الله .

قال ابو مالك : معاذ الله ما أقول ذلك فإن من قائله تعدى وافترى على الله كذباً ، فمن اين الزمتني ذلك ؟

قال له صالح : من قولك ان زمان الانبياء قد فاتك(2) وليس في زمانك هذا نبي ولا رسول ، أفكان ارسالهم في الأولين عدلاً منه في عباده ، ام عبثاً ؟

قال : معاذ الله إلاّ عدلاً منه .

قال صالح : فما اخرجنا من ذلك العدل ، ألسنا عباده مثلهم ، وخلقاً لخلقهم ، ونحن مستعبدون كعبادتهم ، أفحام علينا بعد عدله فيهم ، فنحن بعدهم معذورون ، ام نفد عطاءه في زماننا هذا فتمسكنا(144) بفضل عطائه لهم فرضي منا بذلك ، ام تغيرت سنة الله فينا بعد ثبوتها فيمن كان قبلنا فنحكم على الله بالتغيير ، ام عدله واجب لنا ، وحكمه جائر علينا كسنة فيمن خلوا قبلنا ، فلا تبديل لكلمات الله ، ولا معقب لحكمه ، ومن يستحق اسم العدل إلاّ اولياء(3) الله ، ومن العدل ممن خلق الله إلاّ من اختاره فصار بأمره عدلاً ، ولذلك سمي الحكم عدلاً ، لتعديل من حكم به ، وسمي الحق صدقاً لصدق من نطق به ؟

قال ابو مالك : ما يكون الامر إلا كذلك ، وما يجوز لنا أن نقول على الله إلاّ الحق ، ولكنا سلكنا بالقول الى آرائنا ، وحكمنا بغيبه الصالحين(4) عينا ، ان ذلك من حكم الله وسنته فينا كفعله فيمن كان قبلنا في زمان الفترات ما بين الرسول الى الرسول ، مثل الفترة التي كانت بين (145) ملة ابراهيم الى اوان موسى والتوراة ، والفترة التي كانت بين التوراة الى زمان عيسى والانجيل ، فكنا على ذلك من القول ، ونحن عاملون(5) على الفترة متكؤون على الآثار والسنة .

قال له صالح : إن دين الله لأعز على الله من ذلك ، فأي فترة كانت بعد ملة

(1) وتنسب : وسوب في ك
(2) فاتك : فتاك في م
(3) اولياء : سقطت في م
(4) الصالحين : صوالح في ك
(5) عاملون : عمل في م

ابراهيم ، وقد بعث الله بعـده باسماعيل واسحـق ، ويعقـوب ، ويوسف ، ويونس ، وشعيب ، المؤدي الى موسى ، ثم اوحى اليهم فعل الخيرات ، والدعوة الى ملة ابراهيم ، وأقام الصلاة على سنتها ، وايتاء الـزكاة على فرائضهـا ، الى ان نزل حكم التـوراة على موسى ، فأي فترة كانت بعد ملة وموسى بينها وبين الانجيل ؟ وقد بعث[1] الله من بعد موسى يوشع بن نون ، والياس ، وطالوت ، وداؤد ، وسليمان ، وزكريا ، ويحيى المؤيد بعيسى موافقاً(146) بحكم التوراة في الديانة بها ، والدعوة اليها ، والتلاوة ، ولزبورها الى ان نزل حكم الانجيل على عيسى ، وكذلك من مضى قبلهم ، ومن كان بعدهم ، وقروناً بين ذلك كثيراً لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فكلا ضرب الله له الامثال ، وكل قد دعى الى الله فاين الفترة[2] من هؤلاء ؟ ومتى كانت الفترة ؟ وانما قال الله على فترة من الرسل فاثبت الفترة ، والرسل على ظهور الدعوة من الخوف فدعوا في السر والكتمان فلم تخل الارض عن عدله طرفه عين ، اما ظاهراً موجوداً ، وأما خائفاً مغموراً .

قال ابو مالك : هذا الكلام لا مرد له ، وقوله ، ثابت لا شك فيه ، واما ثبـوت الحجة لله تعالى بالعدل ، ومتابعة الرسل فقد ثبت وتبينت ، فدلني على معنى غيبتهم في زماننا(147) هذا وما سببها[3] ؟

قال صالح : فما كان سبب غيبـة[4] موسى اذا خرج من مدينة فرعون ، وجاوزه خائفاً مترقباً الى بلاد مدين شعيب ؟

قال ابو مالك : هرب من فرعون لما خافهم على نفسه ، واجمعوا على قتله .

قال له صالح : أفسمعت في شريعتك هذه باحد من العدول عدول الله ، وأولاد أنبياء قتلوا على اسباب الدين صبراً ؟

قال ابو مالك : نعم قد قتل منهم خلق كثير .

قال له صالح : فأي عدل من عدول الله تريد ان يظهر لك ولأهل زمانك مقتول يبعثه الله عليكم من بعد الموت ، ام هارب منكم تريدون عودته[5] الى القتل الذي هرب منه ، وقد تبع سنة الله في أنبيائه ورسله في الصبر على الخوف ، والاستتار حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين ؟ (148) قال ابو مالك : لا عيب على من اتبع سنن الصالحين بالخوف على نفسه ، والهرب من قومه ، ولكن العيب على امم السوء ، واعوان الظلمة في قتل انبياء الله وعدوله ، واجماعهم على ذلك .

قال له صالح : فما تقول فيمن قتل عدو له ودليله ، اين مصيره ، او مصـير من اعانه ؟

---

(1) بعث : باثت في ك
(2) الفترة : الزمرة في ك
(3) سببها : سبابهم في ك
(4) غيبة : غياره في م
(5) عودته : سقطت في م

قال ابو مالك : إلى النار، ومن سود لهم رأيه ، او لاق لهم ذواته .

قال صالح : فما يقول فقهائكم في هذا ؟

قال ابو مالك : يترحمون على المقتول ولا يرون معصية القاتل . قال صالح : [هل يعتبر القاتل وذو المعصية شركاء في هذا ؟](1)

قال ابو مالك بَلى والله وانه لشريكه ، واشر منه .

قال له صالح : شراكته معروفة بمعاونة ، [ولكن كيف](2) صار هو اشر منه ؟

قال ابو مالك : لولا رواية الفقهاء لم يثبت ملك الجبابرة بالسفهاء .

قال له صالح : صدقت يا ابا مالك افرضيت لنفسك (149) بملكهم دارا ، وارضهم قراراً ، وجنودهم جيراناً ، وربابنتهم اخواناً ، وانت تكون لهم عدلاً لا تحكم لهم بعلمك ، وتقضي بملكهم حوائجك ، فدعوت لهم في سألتك ، وشكرتهم في حاجتك ، والمبشر جورهم تاج عدلك فتباهوا ، وكسوت فخارهم جلباً بالشريعة فتماروا ، ونورت باطلهم بخمول حقك فاغتر المستضعفون بفعلك ، ومن كان من العلماء مثلك ، وقالوا لنا اسوة ، فهؤلاء فقهاء الأمة ضلوا باسبابهم وضللتم باسباب الجبابرة ، فظننتم (3) ان المسئول غيركم ، ونسيتم قول الله سبحانه : (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) (4) فقطعتم ما امر الله به ان يوصل ، وانتم تبصرون ، وقلتم بظواهر العدل ، وانتم عن طريقه حائرون ، وصدفتم عن قوله : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾(5) فزعمتم (150) ان هؤلاء الظلمة هم ولاة امركم ، وان كفروا ونسيتم ، قول الله تعالى ﴿ قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾(6) فعصيتم من أمرتم بطاعته ، واطعتم من امرتم بجهاده ، وانتم تحسبون انكم تحسنون صنعاً ، فتناهى بكم الغي ، وتمادى بكم الرأي ، حتى قلتم لن يبعث الله في زمانكم رسولاً ولا نذيراً ، فمن حسن اعمالكم استغنيتم عن اولياء الله ، ام قبح اعمالكم قطعتم الرجاء من الله في التوبة ، ام العدل ان تحكموا على الله بغير العدل ، او ترضوا لرسولكم بما لم ترضوا لأنفسكم بمثله ، ايرضى احدكم ان يقتل ولده او يخرج عن داره ، وما له بغير حق .

قال ابو مالك : ما يرضى احد بذلك ، ولو قتل لواحد منا ولد ، واخرج عن ماله لغضب ، وغضبت له قومه ، فلا يرضون حتى يرضى (151) .

---

(1) سقطت الكلمات المحصورة بين قوسين في م
(2) ولكن كيف : سقطت في م
(3) فظننتم : فظنهم في م
(4) سورة : 11 / 113
(5) سورة : 4 / 58
(6) سورة : 9 / 124

قال له صالح : فالله ورسوله يعطيكم الحق[1] ان تغضبوا لغضبهما[2] اذا قتل خليفته ، واخرج وليه من الارض .

قال ابو مالك : انه لعزيز علينا ان يقتل ولي الله فينا ، او يخرج من أرضه ، ولكن تعمدوا بالغيبة عنا ، وظهرت الجبابرة علينا .

قال له صالح : لو نصرتم اولياء الله لظهروا ، ولو خذلتم اعداءه لم ينصروا ، ولكن جمعكم الحكم إلى أولياء الله على ثلاث منازل : فقاتل ان ظفر . وراض سلط لا يمل الطلب ولا يشتفي ان ظفر . وراضٍ شامت يعض انامله من الغيظ لا يألو لعدوهم تحريضاً ، ولا يغفل عنهم ، وان غفلوا . وكاره لفعلهم معتقد بالمودة لأولياء الله خاذل لهم ، لا بصيرة له في الايمان ، ولا موثق به على الكتمان ، فمن اجل ذلك غاب عنكم اولياء الله تقية لك (152) ولهذا الخلق العظيم الذين اتخذوا الههم الاهواء ، وتكالبوا على متاع الدنيا ، وتوازروا على قتل الانبياء قد جهلوا عيب فعلهم ، فلم يلزموا انفسهم الجور بما ظلموا ، ولم يتزلزلوا[3] عما فعلوا ، بل عادوا بجور فعلهم الى الله ، ونسبوه اليه ، فقالوا لن يبعث الله من بعد رسلهم رسولاً فاستحلوا قتل اولياء الله لغير حق ، فظلموا بالفعل ، وحادوا بالقتل ، وتعدوا بالتكذيب .

قال ابو مالك : نعم هذا وصف امتنا هذه ، وهذا قولهم ، ففيم النجاة من ذلك ، وأين المفر من عذاب الله ؟

قال له صالح : الى الله تستجير به فيجيرك ، وتتوب اليه فيقبل التوبة عنك ، وتسال منهاج اوليائه فينجيك بعملك من فعل الذين ظلموا ، وكذلك هذا الخلق لو تابوا الى[4] الله لقبل توبتهم ، (153) وما يفعل الله بعذابهم ، فإن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان ظلموا ، وكذبوا ، ولا يعجل عليهم بالعذاب ، وان عجلوا بالمعصية .

قال ابو مالك : فانا استجير من عذاب الله بالتوبة اليه ، وطلب الوسيلة الى ما يرضيه من الطاعة وعلى المسترشد بالارشاد يجازك ربك .

قال صالح : ان فعلت ذلك وجدت الله في عفوه عنك اقرب من توبتك اليه ، فإنه يحب التوابين ، ووجدتني في ارشادك حريصاً عليك . ثم دمعت عين صالح عند ذكر التوبة ، فقطع كلامه مكان في اغزره ، وامرهم بالانصراف الى دار أبيه ، ودخل على والده ، وهو العالم الذي دعاه ، فشاوره في امر ابي مالك واصحابه ، فقال العالم : انت اعرف باصحابك فان علمت فيهم خيراً فاهدهم (154) هدايتك ، وان حذرتهم فلا

---

(1) يعطيكم الحق : حق في ك
(2) لغضبهما : الغضبه في م
(3) يتزلزلوا : يزولوا في ك
(4) تابوا الى : سقطت في ك

نحملك على ان تقدم عليهم تعزيراً ، وامتحنهم بالغفلة عنهم من غير جفاء ، وأمر أباك بالاحسان اليهم والبر بهم وقتاً ، فان الراغب الى الخير لا يخفى ، وان الله لا يسلمك وراءك ، ويفتح توفيقه ما تدبر به امر خلقه ، ومن ابواب الهدى ما يريك اعمال المهتدين .

قال : فمكث ابو مالك واصحابه يختلفون في محنتهم حتى اتم امرهم ، وعرفوا هداهم ، وعطف على هداهم ولي الله فيهم ، فشكروا الله على ذلك ، ورجعوا الى قومهم منذرين ، فهدى الله بهم خلقاً من عباده الى دينه ، وما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق لمن أمر الله به ، وفيه ثبات المرسلين ، وآيات الوصيين ، وأداب الطالبين ، والحمد لله بدياً واخيراً ، وصلى الله على(155) رسوله سيدنا محمد المبعوث منه الى خلقه بشيراً ونذيراً وعلى وصيه امام المتقين ، القائد الغر المحجلين ، المحبوب لرب العالمين ، وعلى الأئمة من اهل بيته الذين انعم الله عليهم ، واذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ، ونعم النصير ، ولا حول ، ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وكان الفراغ من انتساخ هذا الكتاب في اليوم الثالث والعشرين وقت الظهر من شهر شوال المكرم سنة 1253 بخط اقل عباد الله وتراب اقدام المؤمنين الاحقر المسكين عبد سيدنا المنان منبع الجود والاحسان محمد حسين آدم غفر الله تعالى ذنوبه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات بحق محمد واله الطاهرين (ﷺ) .

رسالة

ضياء الحلوم ومصباح العلوم

تأليف

الداعي الأجل علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عزّ عن أن تدركه(1) دقائق خطرت الأوهام والظنون، فضلاً عن أن تحيط به أو تعتريه(2) لحظات العيون ، الذي خرست الألسن الفصيحة عن أن تنطق بما يستحقه حقيقة أحد مبدعاته ، وما ينطوي عليه دار مخترعاته ، فلا سبيل لها إلى العبارة عنه عجزاً ، فكيف تعبر عن ذاته الذي خضعت عقول دار الإبداع عن التطلع إلى الإدراك ؟ فلاذت بالاعتراف بالعجز مخافة الهلاك ؟ وأشهد أن لا إله إلا من أبدع الأعيان الروحانية ، وخلق منها الموجودات الجسمانية ، شهادة أعدها للفوز والخلاص ، يوم(3) العرض بميدان المحاسبة والقصاص، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى الى الجن والانس ، وجعله أشرف نبي أنبأ عنه وأيده بروح القدس،وبعثه رحمة متشخصة يستنقذ بها الغرقى في دار النماء والحِسّ، وصلى الله عليه وعلى وصيه وقرينه، ومعينه ، وأخ دينه ، وخليفته في أمته ، وزوج ابنته ، المواري له في حفرته، علي بن أبي طالب أشرف لؤ ي ابن غالب. وعلى فاطمة البتول الطاهرة (4) ومنبع الأنوار المتقاطرة، وعلى مستودع سرّ الإمامة المعنوي ،الحسن الشريف الرضي، وعلى مستقر فضل الإمامة السني ، وفرعها الزكي ، الحسين بن علي وعلى الأئمة من ذريته الأبرار، شهب سماء دين الله والأقمار. وعلى من انتهى فضلهم إليه ، ووقف عظيم شرفهم عليه ، وارث الآباء والأجداد، مولانا الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤ منين سابع الأشهاد، وحجة الله على الخلق ، وعلى كافة العباد، وعلى الأئمة من ذريته ، والكلمة الباقية من عترته، وسلم عليهم أجمعين ، سلاماً متصلاً إلى يوم الدين .

أما بعد أيها الأخ الكريم ، والولد الحميم ، فقد وصلتني رسالتك التي سألتني فيها ايراد رسالة تقتضي علم المبدأ ، أو المعاد ، وما يصير اليه الأولياء والأضداد ، فتعيّن عليّ إجابة سؤالك ، ووجب عندي تحقيق أمالك ، ثقةً منيّ بما عند الله من عظيم الثواب ، وتعرضاً لجليل الأجر في الآخرة والمآب ، مع اعترافي بالعجز والقصور ، وتحقيقي لضعف الحال عن الانشاء والحصور ، لكنني اتبع ولا أبتدع ، واختصر فيما أتى به وان كان القول يتسع ، وفعلت ما رسمته ، وامتثلت ما ختمته ، وجعلت ذلك رسالة ، وسميتها بضياء

---

(1) تدْركه : تداركه في ق

(2) تعتريه : يعتوره في ق

(3) يوم : سقطت في ق

(4) الطاهرة : الباهرة في ك

الحلوم ، ومصباح العلوم ، فما كان فيها من إصابة فمن متولي ارشادي وهدايتي ، وما كان من خطأ وبالله العياذ منه فمن قصور ايضاحي ، وعبارتي ، وبدأت فيها بذكر التوحيد لكونه حقيقة العبادة للمعبود من العبيد ، وبوّبتها بأربعة أبواب ، وأوضحت شيئاً مما ستر بالحجاب ، واستغفر الله العظيم لي ولجميع المؤمنين ، إنه هو الغفور الرحيم ، وسلم تسليماً كثيراً كثيراً .

الباب[1] الأول في التوحيد الذي هو لب العلوم ،وتنزيه الحي القيوم، يحتوي على ثلاثة فصول : الفصل الأول في معنى التوحيد . الفصل الثاني في معنى التنزيه . الفصل الثالث في معنى التجريد .

الباب الثاني في المبدأ ويحتوي على خمسة فصول : الفصل الأول في إبداع العالم الروحاني لا من شيء . الفصل الثاني في وجود العالم الجسماني من الهيولي والصورة . الفصبل الثالث في وجود المواليد الثلاثة : من معدن ، ونبات ، وحيوان . الفصل الرابع في وجود القائمة الألفية ، وقيام الدعوة الزكية ، ونشر العلوم الرضية ، وتسلسل الذرية الامامية ، ووجود دور الكشف مثل المرتبة الروحانية[2] (3) الفصل الخامس في وجود دور الجرم ، ودور الستر، مثل عالم الأفلاك ، وعالم الجسم .

الباب الثالث في المعاد المحمود يحتوي على ثلاثة فصول : الفصل الأول في معاد النفس الناطقة[3] وكونها بالصافين المسبحين لاحقة . الفصل الثاني بما يتلوها من النفس الريحية ، والخميرة الشريفة الحكمية ، وما يكون من اجتماع المقامات بالأفق المبين ، وظهور قائم القيامة مالك الدنيا والدين ، وما يكون منه بعد الانتقال ، ومجاورة ذي العزة والجلال . الفصل الثالث في الأجسام الشريفة ، والبيوت الطاهرة اللطيفة ، ونبذ من المقابلات ، وعجائب المشاكلات .

الباب الرابع في المعاد المذموم ، يحتوي على ثلاثة فصول : الفصل الأول بمعاد الصورة النافذة لذوي الاعتقادات المصرة المستكبرة . الفصل الثاني بمعاد النفوس والأجساد من المعاندين والأضداد ، وكيفية ورود العذاب الأوفى الذي أمن منه من سبقت له من الله الحسنى ؟ الفصل الثالث بذكر العذاب الأكبر والبلاء الذي هو أشر ، وأدهى ، وأمر . وبالله وبوليه أستعين على تمام ما قصدته وإيضاح ما سطرته ، وأنا أخذ عهد الله الكريم المؤكد وميثاقه المغلظ المشدد الذي أخذه على ملائكته المقربين ، وانبيائه المرسلين ، والأئمة الهادين ، وحدودهم التابعين ، وأن أتبرأ منهم أجمعين . وأن لا أوقف عليها بغير اذن ولي الأمر ، واذا ما فعلت ذلك أخرج من حول الله ، وقوته . والجأ الى حول نفسي وقوتها .

---

(1) الباب : النواب في ك (2) الروحانية : الرحمانية في ق (3) الناطقة : الباطقات في ك

(4) الباب الأول

(في التوحيد)

الفصل الأول من الباب الأول في معنى التوحيد . أقول بعون الله ومادته ، ومنة وليه في أرضه ، سلام الله عليه وافادته : اعلم أن معنى التوحيد وحقيقته هو معرفة الحدود الروحانية والجسمانية ، وان كل حد منهم واحد في مرتبته ، وفرد في(1) درجته ، وأنهم كلهم يدعون الى توحيد موجدهم ، فيما هو به ، وبما عليه هويته . واعلم أن الواجب على المؤمن أن لا يرفع حداً منهم فوق حده فيغلو ، ولا يضع حداً من قدره ورتبته فيقصر ويدنو ، ويتحقق حقيقة أنهم عاليهم ودانيهم معترفون بالعجز عن إدراك مبدعهم ، قاصرون عن الإحاطة بمخترعهم ، لكون الذرائع إلى الإدراك للمدركات بأمثالها ، والاستدلال على الأشياء بأشكالها ، فالروحانيات بالروحانيات تدرك صفاتها ، والجسمانيات يعلم جهاتها ؛ فالعقل والنفس لدرك الروحاني ، والحواس الخمس لدرك الجسماني ، وبالصورة البشرية اجتماع حقيقة ذلك . وبالقامة الألفية اعتبار ما هنالك ، ففيه ما لا يوصف بصفة الجسماني ، وهو الروح نتيجة الروحاني ، ونظيره وفيه ما يوصف بالجسماني وهو جسمه ، شبيه الجسماني ، وأسيره ، فجلّ المبدع الحق عن أن يكون بصفاتها موصوفاً ، أو أن يكون لدرك مخلوقاته ومبدعاته مُوقوفاً . واعلم أن الحدود الروحانية والجسمانية متشاكلة وبشرفها وكمالها الثاني **متماثلة**(2) وانه جرى للحدود الجسمانية ما جرى للحدود الروحانية ، من الكمال الثاني وانها تصير كهي لولا شرف السبق منبعثة الانبعاث الثاني ، حائزة بشرفها الأخير جميع تلك المعاني ، فافهم ذلك ترشد ، وتفز ، وتسعد .

الفصل الثاني من الباب الأول بمعنى التنزيه . نقول بعون الله ومادته ، ومنة وليه في أرضه ، سلام الله وافادته . اعلم أن التنزيه هو تنزيه المبدع(3) الحق(5) أن يقع عليه شيء مما يقع على مبدعاته ومخترعاته ، وإيقاع أشرف الأسماء وأجلها على أول مبدعاته ، والعلم بأنه له حقيقة ، وان الحدود الروحانية والجسمانية أسماؤه الحسنى ، الذي هو غاية الشرف ، والجلال ، والفضل ، والكمال ، وان أجلها اسم الإلهية ، وهو واقع على المبدع الأول ، ومن شاكله ، وناظره ، وماثله ، وتنزيه المبدع الحق عنها بأجمعها كما سبق في فصل التوحيد . وان المبدع الحق منزه عن صفاتها ، وسماتها ، وان قولنا المبدع استعادة

---

(1) في : سقطت في ك (2) متماثلة : متواسلة في ق (3) الحق : الحقوق في ك

من حيث وجود الإبداع عنه ، وان ايقاعنا عليه الهوية المتعالية هرباً من التعطيل ، وذلك أن لفظةُ هو أبسط الفاظ العبارة لقوله عز وجل « شهد الله أنه لا اله الاّ هو »(1) . وكان الشاهد هو الذي وقع عليه إسم الإلهية ، وهو العقل الأول ، فقال : هو . ولم يقل : الله . وسيأتي معنى الإلهية فيما يلي هذا الفصل بمشيئة الله وعونه ، فكانت الحروف البسيطة إشارة الى البسائط الروحانية ، فالعبارة بها عنها على بسائطها مجاز لا حقيقة ، لكون الحروف البسيطة مدركة بالحواس ، وتلك البسائط بها غير مدركة ، فنفينا أن تقع الكلمات المركبات على المراتب الابداعيات ، فممتنع إيقاعها على مبدع المبدَعات ، تقدس وتعالى ، فافهم ذلك .

الفصل الثالث من الباب الأول في التجريد . نقول بعون الله ومادته ، ومنّة وليه في أرضه ، سلام الله عليه ، وافادته : اعلم أن التجريد هو سلب الإلهية من جميع المبدعات ، واثباتها للمبدع تعالى . وحقيقة ذلك أن معنى الإلهية هو إيجاد(2) الذوات المبدعة لا من شيء ، إن ليس ذلك الاّ له ، فوجب من أجل ذلك سلب المبدعات أن تكون موجدة لذواتها ، وايجابها للمبدع تقدس وتعالى . والتجريد مأخوذ من جرد العود اذا أخذ منه ظاهره ، وهو كما قدمت القول سلب الإلهية عن جميع مبدعاته ، ومخلوقاته ، واثباتها له . فافهم ذلك .

---

(1) سورة 3 آية 18 .

(2) ايجاد : وجود في ك

الباب الثاني

(6) (في المبدأ)

الفصل الأول من الباب الثاني في إبداع العالم الروحاني لا من شيء . نقول بعون الله ومادته ومنة وليه في أرضه سلام الله عليه وافادته : اعلم أن من لا يتجاسر[1] نحوه الخواطر ، جل جلاله المبدع الفاطر . لما أبدع العالم الروحاني لا من شيء ، كان له سابقاً فجبت العقول عن درك كيفية ابداعه ولميّته ، أبدعه دفعة واحدة ، أوله مع آخره . وآخره مع أوله ، صوراً روحانية ، واشباحاً قدسانية ، وأشخاصاً ملكوتية مماثلة للقامة الألفية ، متساوية الذوات بالحياة ، والعلم ، والقدرة ، حد الكمال الأول ، فسبق الى تنزيه المبدع السابق الأول ، فهم[2] وأقر بالإلهية للمبدع على معناها ، وهو القاصد القصد الأول الذي هو الاقرار ، فغشيته من مبدعه جلالة تميّـز بها على كافة عالمه ، هي حد الكمال الثاني ، وهو الإسم الأعظم ، والحجاب الأشرف الأكرم ، والكلمة الأولة ، لمبدعه من حيث التمام ، والكمال ، والفضل ، والجلال . فذاته بذاته فاعلة ، وذاته لذاته مواصلة ، وذاته لا أنواره قابلة ، مستغنٍ بذاته ، فاعلاً في ذاته فعلاً فعله من غير معلم غير ذاته ، فاقتدى به من عالمه شخصان ، نزّها كتنزيهه ، وجرّدا كتجريده ، فسبق أحدهما صاحبه فصار حجاباً للحجاب ويسرّا اليه لكماله الثاني ، وهو الأول بالانبعاث ، وتأخرت رتبة الثاني لما ظن أنه مساويه ، فدعي الأول بتالية . ذلك العالم فتتالت الرتب بالإجابة سبعة عقول نورانية ، من تلك الأشخاص القدسانية ، في ضمن كل واحد منهـم من ذلك العالـم الشريف ما لا يحصيه عدد ، وهي الكروبية ، وكملت بالاجابة كمالها الثاني ، وتجلت به كتجلي الأول ، والثاني . واحتجب كل عال منهم بالداني ، فنظر ثاني الإنبعاث المكنى عنه بآدم الروحاني إلى تخلف ذاته ، وقصورها ، (7) وتأخرها ، وحسورها ، عما حصل لعالم الابداع ، فعرفه سابقه بالأدنى إليه من تلك الصور بالمواصلة بالشعاع ، إن ذلك بسبب الوهم المكنى عنه **بإبليس** ، حين توهـم مسـاواة من سبقـه بالتقـديس ، فتـاب وأناب ، وأشار إليه بقوله تعالى :﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التّوابُ الرحيم ﴾[3] فواصله الكمال الثاني ورُتِّب عاشراً ، أدنى مراتب العالم الروحاني ، فصار حجاباً لمن سبقه إلى الحجاب الأعظم القدساني ، قد ساوت ذواتهـم بالصفـات ، لولا شرف السابقات .

---

(1) لا يتجاسر : جاسر في ق
(2) فهم : وهم في ك
(3) سورة2 آية37

وقد كان اقتدى به فرقة من ذلك العالم بالتوهم ، فالزم العناية بهم للخلاص ، وجعل ذلك عليه ضرباً من القصاص . فدعاهم الى التوبة والإنابة ، فلم يقبلوا فخوطبوا بقوله عزّ وجلّ ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾[1] فاظلمت ذواتهم ، والتأمت واختلفت نياتهم ، وتباينت ، وهم الهيولى ، والصورة ، فصرف العاشرِ عنايته إليهم ، فتحركوا بإرادته لكي يتخلصوا مما عراهم ، وألمَّ بهم ودهاهم ، ثلاث حركات لزمتهم بها الثلاثة الأبعاد ، وفارقوا سِعَة اللطافة الى ضيق الأجساد ، وحصلوا بعد القرب من حظيرة القدس الى الاقصاء والابعاد ، واليهم يتوجه قوله عز وجلّ بالكناية عن خطابهم ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾[2] انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ، ولا يغني من اللهب ، وانقسموا بكفرهم وايمانهم ، وطاعتهم ، وعصيانهم ، بين نادم مستغفر ، وشاك متحير ، ومُصرِّ مستكبر . فالذين ندبوا واستغفروا فهم عند خروجهم الى القامة الألفية الذين يقضيهم آيات الهداية والمشيئة ، وأنها لهم من مبدعهم ، وخالقهم ، كقوله عزّ وجلّ ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وأتاهم تقواهم ﴾[3] وما شاكلها من الأيات . والذين شكوا وتحيروا فهم عند خروجهم إلى القامة الألفية يقتضي بهم التخيرات ، وذلك كقوله عزّ وجلّ ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾[4] وقوله عزّ وجلّ ﴿ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عَليها ﴾[5] (8) وما شاكلها والذين أصرّوا واستكبروا فهم عند خروجهم الى القامة الألفية أهل الضلال ، والمضادة لأولياء الله ، والاضلال ، والمدعون دعوى المحال ، من الكفار ، والأئمة الضلال ، الداعون الى النار ، وهم الذين يقتضيهم آيات المشيئة بالضلال ، كقوله عزّ وجلّ ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾[6] فشاء حينئذ إضلالهم بقوله عزّ وجلّ ﴿ من يضلل الله فلا هادي لهُ ﴾[7] وبقوله عزّ وجلّ : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرةٍ ﴾[8] وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ الدعاء اذا ولّوا مدبرين . وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾[9] . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغيّ لتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآيتنا وكانوا عنها غافلين ﴾[10] وجعل العاشر المدبر ، من النادم المستغفر ، الأفلاك والكواكب جرمانية نفسانية ، ورتبها مراتبها بالقصد الثاني ، وهي صورة حسية ، وجعل من الشاك المتحير الأمهات المكني عنها بالأركان ، التي في ضمنها صورة نامية . ومن

(1) سورة 7 آية 23
(2) سورة 77 آية 29
(3) سورة 47 آية 17
(4) سورة 18 آية 29
(5) سورة 39 آية 41
(6) سورة 61 آية 5
(7) سورة 7 آية 185
(8) سورة 6 آية 110
(9) سورة 27 آية 80 - 81
(10) سورة 7 آية 146

المُصرّ المستكبر الصخرة أسفل سافلين ، المكني عنها السِّجين ، وجعل العقدتين في كرة النار التي تسمى الأثير ، لما تقتضيها الحكمة فيهما من التدبير ، مغناطيس كل خبيث شرير ، بمشيئة العليم القدير ، وصنعة الحكيم الخبير .

وبخروج الثلاثة الأقسام الى القامة الألفية ، خاطب الناقد البصير ، بقوله عزّ وجلّ ، قضاء علوياً : ﴿ وان منكم الاّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾[1] . وكان اختلاف هذه الأقسام بالسرائر ، وتباينهم بالأحوال والضمائر ، سبباً لما نراه من التفاوت والتغاير ، وظهر المضمر بمعنى تمايز الموجودات لأهل البصائر ، وعطف عالم الإبداع الأول ، والإنبعاث الأول ، بأنواره فسرت بالأفلاك والكواكب ، فاستدارت حول الأركان ، وتقسمت الفرق الثلاث عشرة أقسام ، فاشرفها وألطفها هو الفلك المحيط ، الذي هو باب عالم القدس البسيط ، فمنه الى فلك القمر باب العالم الفلكي تسعة أقسام ، وما في ضمن فلك القمر المكنى عنه ببعض الوجوه الحكمية (9) بعالم الطبيعة ، تمام العشرة والنظام ، فتولى كل عقل من العقول العشرة النظر خصوصاً بما يقابله ، والعناية بما يشاكله ويماثله . فكان نظر العقل الأول الى الفلك المحيط وخصوصاً الى سائر الأفلاك والكواكب ، وعالم الطبيعة عموماً ، وهلمّ جرا ، حتى يكون العاشر هو الناظر بعالم الطبيعة الذي هو عالم الكون والفساد ، خصوصاً ، والى سائر أقسام العالم عموماً .

الفصل الثالث من الباب الثاني في وجود المواليد الثلاثة : من معدن ، ونبات ، وحيوان . ثم أن العاشر المدبر حرّك الأفلاك والكواكب حول الأركان لاستخراج الخباء الكامن على معنى الأزمان ، وجعل لكل كوكب من الكواكب السبعة دوراً يتفرد بتدبيره ، ويرافده سائر الكواكب على تأثيره . فكان لكل كوكب سبعة آلاف سنة حتى انتهى الى تسعة وأربعين ألف سنة ، وكمل دور زحل ، وتلاه كل كوكب كذلك الى القمر ، فلما تفرد زحل بطبعه ، كما ذكرنا بأول دوره ، وهو ألف سنة . فتكاثفت به الغيوم والسحاب ، وتراكم به لبرده ويبسه الضباب ، وانصبت انصباباً غزيراً ، بدرور الأمطار ، وانفجرت لكثرتها البحار ، وانعقدت الجبال بشدة القسوة ، واستحجرت الأرض ، وكانت رخوة ، وانعقدت معادن الحديد والنحاس ، وتخمرت خمائر السودان ، واشباهها من الأجناس . ثم يوليه المشتري بتدبيره ، فانكشفت الغيوم ، وتقشع السحاب المركوم ، وظهر وجه الأرض من الماء ، وانكشفت لتصل إليه أشعة كواكب السماء ، فيتمعدن[2] ما يجانسه من المتمعدنات ، ونجم به النجم من النبات والحشائش المذمومات ، وتكونت صغار

---

(1) سورة 19 آية 71

(2) فيتمعدن : فيعادن في ك

الحيوانات ، كالوزغ ، والدبيب ، والنمل ، ونبات وردان ، وما يماثل هذا الشكل ، وخمر خمائر ذوي العفاف ، وأهل الديانة ، والأشراف ، ثم تولى التدبير المريخ فتهيأت به وتمعدنت معادن من طبعه ، وظهرت المزاجات المفسدة المذمومة ، فجعلت بالشريرة من الحيوان ، مربوطة مذمومة ، وهي الجوارح من الطير ، وذوات الأنياب ، والمخالب(2) ، وذوات السموم ، كالحيات ، والحشاشات (10) ، والعقارب ، سجنها المدبر ، بالقصد الثالث بهذه الأجناس ، ليصفو المزاج المحمود للناس ، ثم تولى التدبير الشمس فلك الكواكب نظير السابق الأول بتلك المراتب ، مفيضة الحس والأنوار ، قابلة الفيض من دار القرار ، فتمعدنت به اليواقيت والزمرد من المنسحقة ، والذهب الابريز غاية الأجناس المنطرقة ، وخمرت خمائر العظماء من الملوك الأكابر ، وذوي التيجان ، والمفاخر . ثم تولى الزهرة ؛ فخمرت خمائر العرب ، وأهل السرور والطرب ، وجرت العيون العذبة من الأنهار ، وطلعت الأشجار ، ذوات الثمار ، وطارت المحللة في الأطيار ، وغرّد البلبل الهزار ، وظهرت الحيوانات ذوات الخف والحافر ، وكمل وجود الانس منها والنافر ، ثم تولى التدبير عطارد ، فتقارب منه المتباعد ، ونبتت الحبوب الغاذية للبشر ، ودنى كل ما يراد له وحضر ، وخمر خمائر الصناع ، والحساب ، ووزراء الملوك والكتاب ، وذوي الحذق والظرافة ، وأهل التدقيق ، واللطافة .

الفصل الرابع من الباب الثاني في وجود القامة الألفية ، وقيام الدعوة الذكية ، ونشر العلوم المضية ، وتسلسل الذرية الامامية ، ووجود دور الكشف مثل مرتبة الروحانية .

ثم تولي التدبير القمر صاحب الألف السابع أشرف القرانات ، فاصعد من العناية الإلهية من(3) البخارات خير مزاج ، واعدَّ له من الحيوانات ممتزجاً بما صعد من المعدن والنبات ، فاختلط بالهواء بمزاج الامهات ، فانعصر مطراً من المعصرات ، فخدد في الجزائر خدوداً ومغارات ، وهو شبيه بماء الاناث البشريات ، وتلاه مطراً أكثر منه صفاء واعتدالاً شبيه عند التمثيل بنطف الرجال ، والكواكب عند ذلك في أماكنها من أشرافها ، بغاية الكمال من أوصافها ، وامتزج الماءان كامتزاج النطف بالأرحام . وفي مثل مدة الأجنة يكون لها التمام ، فتولي زحل بتدبيره المشهد الأول ، فنقله عما كان عليه وحول ، ثم تولاه(1) المشتري كذلك شهراً ، فأحدث به(11) بتدبيره وطبعه أمراً . ثم المريخ تولاه بالشهر الثالث ، فأظهر به من طبعه حادث . ثم تولاه بالشهر الرابع ، الشمس فتحرك الجنين لما سرى إليه من الحسّ . ثم تولته الزهرة بخامس الشهور ، وتولاه العطارد [عطارد] بالسادس للأمر المقدور . ثم تولاه القمر بالسابع ، وبالثامن زحل ، وللمشتري التاسع . فكان بالشهر الثامن سبيل الميت ، ونفخ فيه الروح بطبع المشتري ،

---

(1) المخاطب : الخواليب ق ق (2) من : سقطت في ك (3) تولاه : تلاواه في ك

فاغتم(1) فاه ، وتنفس من منخريه ، وجرى له اللبن من ابهامه ، وصار يتقلب يمنةً ، ويسرةً ، ويتلقى مرة ، ويقعد مرة ، وبقية ذلك الماء له مثل مروخ الجنين ، وهو يزداد على ذلك قوة وحركة كل حين ، حتى استكمل حولاً فتم(2) وخرج ودبّ على رجليه ، ودرج فاغتذى من الفواكه الموجودة ، والثمار الطيبة المحمودة ، وكان المواليد من ذلك ذكراناً بغير أناث ، وقد أظهرت لهم العناية الإلهية ما يحتاجه من متاع ، وأثاث ظهروا من الأرض ، كما قال الله عزّ وجلّ نباتاً ، وجمعت العناية من مفترقاتهم شتاتاً ، وظهر من مغارات كل ذكر أنثى ، يحث الله بهما التدبير للمشيئة حثاً .

وكان التدبير بوجودهن كالتدبير الأول ، وذلك لحكمة عليها الموجود لهن عول ، وكانت العناية الإلهية قد ساقت الأول من مستغفر حين ندم الى الوجود النفساني ضد العدم ، من آفاق السماوات إلى أشرف البقاع الأرضية ، واصفاً الترب المرضية ، فظهرت أشخاص نورانية ، وصور شريفة قدسانية ، أجسامهم حسية نامية ، ثمانية وعشرون شخصاً ، فضلهم على سائر الأشخاص البشرية ، كفضل الياقوت الأحمر على سائر أنواعه ، وأجناسه الحجرية ، ممثولات حروف المعجم بالكتابة ، فحاز واحد منهم الشرف ، وسبق إلى النجابة . فتميز بفضله عليهم لما نزّه المبدع [تعالى] جعله رسولاً إليهم ، فحل فيهم محل السابق بعالم الإبداع ، وكان بواسطة ما بينهما مطرح ذلك الشعاع ، فجعله له السابق الأول حجاباً ، وللرحمة السارية منه إلى عالم الدين النفساني باباً ، فدعى أهل بقعته الى التوحيد(12) ، وعلمهم التنزيه ، والتجريد ، وحذرهم التعطيل والتحديد ، فبادروا إلى الاجابة مسرعين ، ولدعوته ملبّين ، بأنفس مخلصة ، وسرائر صافية ، لما أضمروه في القدم من الاستغفار والتوبة والندم ، فجرى إلى صورهم بوساطة واحدهم الجاري ، وشاع فيهم نور الصمود الساري ، فكملوا الكمال الثاني ، وجعلهم في أفقه أفلاكاً دينية ، مرتبين ، وللعالم مقابلين ، ليتقابل المثل والممثول ، ويدل المحسوس على المعقول ، فجعل واحداً منهم له باباً منه ، يوصل اليه ، ووفاء [. . .](3) الاثني عشر منه حجباً باطنة ، تدل بعلومها عليه ، واثني عشر دعاة الجزائر ، ينورون بعلمه وتأييده البصائر ، وأرسل كل واحد منهم إلى أهل جزيرته ليحييهم من موت الجهل بدعوته ، وأعلمهم لغات أهلها ، ومجانبة حرامها ، وتناول حلمها ، وجعل ثلاثة في حضرته ، داعي بلاغ ، ومأذون ، ومكاسر . فكل واحد منهم لعلومهم في أهل دعوته ناشر ، وكان الدور المذكور ، دور الكشف خمسون ألف سنة ، أهله أهل تأييد وعصمة ، وصفاء ونعمة ، لكونه دوراً نفسانياً ، شريفاً ، روحانياً ؛ يدركون بذكائهم الأمور الغائبة

(1) فاغتم : فغنم في ق

(2) فتم : فتام في ك

(3) [. . .] هذه النقاط وجدت في الأصل ، ويبدو أن كلمات أو كلمة نقصت من المخطوطة .

البعيدة ، ويستدلون بقرائحهم ، على الآراء الصائبة السديدة ، سمتهم الحكماء الجثة الإبداعية ، لكونهم من جنس الإبداع ، فاستحقوا دون من سواهم قبول ذلك الشعاع ، وامامهم المقدم ذكره ، يسمى آدم الكلي ، لتمامه وقيامه بحقيقة خلافة موجده بمقامه ، وهو حواء آدم الروحاني ، وهو النفس الناطقة بالحقيقة ، والمنبعث الإنبعاث الثاني ، من هذه الطريقة أول الفكر وآخر العمل ، غاية القصد ، وغاية الأمل ، وهم المجيبون لدعوته ، المبادرون إلى إجابته ، فجعل نفسه وحدوده عشر مراتب لعالم الدين النفساني ، فسطعت بهم أنوار عقول العالم القدساني ، فتولى السابق الأول بوساطة من دونه من العقول امداد كل مقام من ناطق ، ووصي ، وامام ، يختصه من بين أهل عصره (13) . وزمانه حصنه به ، له يظهر المعجزات في أوانه بما يبديه ، وبهم من النطق الباهر على لسانه ، ويظهره من الحوادث بكشفه وبيانه ، وسرت مواد سائر العقول كل واحد منهم بوساطة من دونه الى من يقابله ويماثله من الحدود الدينية ، في مرتبته ويشاكله ، حتى يكون نظير العقل العاشر ، ونور تأييده متصلاً بالمكاسر ، وتام في الدور[1] بالخلافة بالعقل العدد التام. وهذا الدور وأهله في رتبة الكمال ، والتمام ، فاسقطت عنهم التكاليف الظاهرة الجسمانية ، فلم يكلفوا للطافتهم ، وصفاتهم الاّ العبادة الباطنة النفسانية ، كعبادة العقول المجردة القدسانية لشدة المشابهة ، والمماثلة ، وحقيقة قرب المشاكلة من الشاكلة ، حتى كأنهم على الجلة ملائكة كاملة . فاستخرج آدم الكلي عليه السلام من دعوته وأرثا من خلاصة أنوار شيعته ، ولده بالحقيقة التام الحائز رتبة الكمال ، والتمام ، واستخلفه يتلقى شعاع السابق ، وصعد آدم الكلي بمقام موجده لاحقاً ، وأقبل ولده بالامداد لأهل دعوته طالباً منهم ظهور خليفته ، وهكذا دائماً يفعل كل خليفة لا يزال في فكرته الصافية اللطيفة ايجاد[2] من يوجده لمقامه ، بالتراتيب الشريفة . وتسلسلت الامامة بالأعقاب الطاهرة على ممر الزمان ، وانحفظت بالذرية الطاهرة ، مراتب أئمة أهل الايمان .

الفصل الخامس من الباب الثاني في وجوب دور الجرم ودور الستر مثل عالم الافلاك وعالم الجسم . فلما تم الدور الروحاني ، وانقضى ، وارتفع بما فيه من البركات ومضى . فكان أهله على ما ذكر من الصفاء ، فتلاه دور ليس لأهله وفاء ، وهو الدور الجرماني ، وقنطرة العبور الى الدور الجسماني ، وهو ثلاثة آلاف سنة ، ظهر فيه بين أهله التباغض ، والتحاسد ، والكبر ، واستعملوا النميمة ، والعداوة ، والغدر ، وتعلقوا بالنجوم ،(14) والكهانة ، والسحر ، واعتنوا[3] بالطب ، والفال ، والزجر ، وأصغوا الى الهيئة ، والهندسة ، واتوا بالأبلسة والوسوسة ، وبغوا ، وطغوا في البلاد ، وأظهروا المنكر

---

(1) الدور : الدار في ق (2) ايجاد : وجواد في ك (3) واعتنوا : وتعنوا في ك

والفساد ، فانعطفت[1] عنهم الرحمة والحجاب ، وضرب بينها وبينهم سور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهرة من قبله العذاب . وكان الدور المتقدم ذكره بوجه من التأويل كالنادم المستغفر ، وهذا وأهله كالشاك المتحير ، والأئمة عليهم السلام فيه متتالية ، والهداية لأهلها باقية ؛ فأهل دور الستر ألزموا التكليفات بظاهر العبادة ، والقيام بواجب حدود الشهادة ، ومبتداء ذلك قيام آدم عليه السلام . وكان هذا الدور كالواسطة بين الطرفين ، والفاصلة بين الأمرين ، مثل آخر النهار ، وأول الليل ، بمنزلة العالم الجرماني في ضمن العالم الروحاني ؛ فلما تمت المدة المذكورة ، وسيرة أهلها هذه السيرة ، والحكمة عند أهلها مستورة ، واشتدت هنالك الظلمة ، وعميت الأنباء على تلك الأمة ، قام آدم عليه السلام ، أول دور الجسم الذي هو كالمصرّ المستكبر ، فأجاب الى دعوته بقية مجيبي دور الجرم فشرع الشريعة ، ودعى إليها أهل عالم الطبيعة ، ودفن فيها معاني حكمية ، ولوح بالعلوم التأويلية ، وأخذ العهود والوثائق ، على ستر المعاني الدقائق ، فاستجاب من استجاب ، فاستحق في معاده الثواب ، وانكر مقامه من أنكر ، وتكبر عن طاعته من تكبر ، فاستحق العقاب ، ولم يزل الدعوة بوصيه وأئمة دوره موجودة ، والشريعة بنور علومهم معضودة . وكان هو وأهل دوره بالعلم والظهور ، والدلالة قائمين على الخلق الآخر بمعنى السلالة ، وهو أول من ألف حروف المعجم ، ونطق بالاشارة بها لمن تكلم ، ثم قام نوح عليه السلام أول أولي العزم بشرع جديد ، ووصيه وأئمة دوره حافظون له بالتسديد ، وكان علمه أظهر وأمره أشهر ، الى آخر دوره ، وهم بذلك ممثول النطفة من الجنين ، المفضية بعد القلة الى النمو والزيادة(15) بعد حين ، ثم قام ابراهيم عليه السلام ، بشريعته، ووصيه وأئمة دوره قائمون بمثله ، وهم بالعلم والظهور ، ممثول العلقة ، فهم وان اختلفت ظواهرهم فبواطنهم متفقة ، لأنهم أطباء النفوس ، ومقصودهم زوال الضرر والعبوس، والذي يؤلفونه ويضعونه من الشرائع ، وهو لخلاص الهابطين الدواء النافع ، فقسم ابراهيم عليه السلام أمر الدين بين ولديه اسماعيل واسحاق بموجب العدل والحكمة ، ومقتضى الاستحقاق ، فجعل إلى إسماعيل وذريته العلوم التأويلية الباطنة ، والحقائق المعنوية ، الكامنة ، وإلى اسحاق وذريته الدعوة الظاهرة ، وبيوتات العبادة[2] العامرة ، وأكّد عليهما في ذلك العهود والمواثيق ، في أن يسلم كل واحد منهم لصاحبه مرتبته على التحقيق ، وأن يجعلها السابق منهم للخالف ، وأن يحققوا ذلك عند المحقق العارف ، ويستروا ذلك عن المخالف ، فمن ذلك نسب الكفار ، وأهل الضلالة ذرية اسماعيل عليه السلام ، الى عبادة الأصنام ، وكونهم من الجهال ، ولم يعلموا بهذا السر المخزون ، ولا ما يقتضيه العلم المكنون . فقام اسماعيل وأولاده عليهم

(1) فانعطفت : متنعصفت في ق

(2) العبادة : العوارة في ك

السلام ، بدعوته الباطنة الطاهرة ، وقام اسحاق وأولاده خدماً لأولاد اسماعيل بدعوتهم الظاهرة ، حتى قام موسى عليه السلام بشريعته ، واستخلف وصيه وأئمة دوره بسنته ، وهو وهم ممثول المضغة(1) بالعلم والظهور ، والقرب من بلوغ الأمر المقدور . وقام عيسى عليه السلام بشريعته ، ووصيه وائمة دوره ، أي قيام ، فكانوا بالعلم والظهور ، ممثول العظام . ثم قام محمدﷺ وعلى آله بشريعته وسرائر تنزيله ، وملته بعد أن تسلم من آخر أئمة دور إسحاق مقام خلافته ، حائز التابوتة وسكينته ، وكان هو وأئمة دوره سلام الله عليهم ممثول اللحم ، « عند تمام التكوين ، وهو الغاية التي ينتهي اليها رتب شخص الجنين ، فهم(16) على هذا الترتيب ، شخص الدين الكامل ، الذي عجزت فيما تقدم أن يأتي بمثله الحوامل ، صفو الصفو ، ولب اللباب ، ولديهم اجتمعت الانساب ، والاسباب ، وبهم ختم الكتاب ، فكانﷺ ممثول الجصة الجامعة ،لمفترق القوى الذي نودي انك بوادي المقدس طوى ، قائم أولاد اسحاق حائز شرفهم النبوي ، الأفضل قاضي دين الآخر منهم والأول ، ومنجز عداتهم بما شرعه وحرم ، وحلل ، وكان بين محمدﷺ وجده اسماعيل سلام الله عليه ثلاثون اماماً أهل المستقر ، ممثول شهر رجب . وكان قيام رسول اللهﷺ لثلاث ليال بقين من شهر رجب الأحب ، ومعنى ذلك أن مولده في عصره ثلاثة من المستقرون ، وانه بعنايتهم قام وظهر لكونهم يتولون كفالته ، ويوضحون دلالته ، ويقيمون حجته ، ويحييّون محجته [محجته] ، ويثبتون قصده ، ويحققون رشده ، ويشيّدون مجده ، ويصححون حده ، ويسعدون جده . أعني أباه وعمه ، وجده منهم رياسته ، وبهم نفاسته ، وعنهم سياسته ، مقابلون للثلاثة الروحانيين ، مشاكلون لهم ، ومماثلون الذين منهم مادته ، وتأييده وافادته ، وكان وصيه عليه السلام ، قائم أولاد اسماعيل عليه السلام ، يقضي دينهم الجليل بالتسبيح ، والتهليل ، والهداية الى أوضح السبيل ، وقتل أهل الضلالة والتضليل ، وكلاهما بالحقيقة دعوة إبراهيم الخليل ، فقام عليه السلام بعلمه التأويلي ، مقام الخلق الآخر ، روح الحس المنفوخ بشخص الايمان الطاهر ، قرين اللحم بالوجود ، ومقام سابع النطقاء بالعلم والجود ، الذي هلك به المقصّر والغالي ، واعتصم بعروة النجاة المحبّ له الموالي ، المشار اليه بالساعة المبعوثة مع السادس ، اللطيف المسائر بالرتب الدينية ، مع المقامات الناطقية ، من الأول بالشريعة الى الخامس ، فقاما عليهما السلام أتم قيام بالدعوة ، فاستجاب لهما أهل الطهارة والصفوة . ونفر عن اجابتهما أهل الضلالة والشقوة . فأول مقام ظهر من دائرة الاسلام ، مقام فاطمة عليها السلام ، ثم تلاها بالظهور من دعوة التأويل الحسن المسموم نظير اسحاق(17) نجل الخليل ، وكان من دعوة الحقيقة عند التفصيل الحسين الشهيد القتيل ، مماثلاً جده اسماعيل ، وأبوهما ابراهيم الحقيقة ذو الشرف والتفضيل ، ثم

(1) المضغة : الولعة في ق

تتالت رتب متمي الدور المحمدي إلى سابعهم ذي القدر الجليل ، خاتم دورهم وقائمه ، ومتم معاني الشرع ومراسمه ، تمام الدور الجسماني ، ومبتداء الدور العلمي النفساني . وهم ممثول قوى النفس الناطقة من شخص الدين المقابلة قوي النفس النامية في التكوين . وكل مقام من ناطق في زمانه ودهره ، وكل وصي وامام في عصره ، فإنه وحجته هما الملكان المشار اليهما بشبر[1] وشبير[2] لأوليائهما ، ومنكر ونكير لاعدائهما ، وذلك من الجاري ، والعمود المتصل بهما الساري ، بحركة المقام عليه السلام ، فلا ينتقل منتقل من أوليائهما حتى يريانه من علمه ، وعمله البشري ، فيشاهد منزله من الثواب بالدار الأخرى ، وتكشف له الحجب والاستار ، الى حظيرة القدس ، فيتقن الامان الآنس والولي . قال الله عزّ وجلّ في بشارته : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً »[3] وقال أمير المؤمنين ، سلام الله عليه ، للحارث الأعور :

يا جار همدان من تمت يراني
من مؤمن أو منافق عجلا
يعرفني طرفه وأعرفه
ثم أجازيه بالذي فعلا

وكذلك عند موت كل ضد من الأضداد ، وذوي الإصرار والعناد ، يريانه كما تقدم ، منكر اعتقاده ونكير أفعاله ، فيشاهد بتلك الحالة موضع مقره بالنار ، ومآله ، ويظهر له ثمرة قبيح أعماله ، وغاية ما ينتهي اليه من أنواع عذابه ونكاله ، فلا يفارق الحياة ضد ، ولا ولي إلاّ وهو من عقابه أو ثوابه ، على أمر جلي . قوله عزّ وجلّ في تحقيق ذلك : ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾[4] . ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾[5] . ﴿ وقال قرينه هذا ما لديّ عتيد ﴾[6] . يعني بالقرين ههنا العمل الذي قال فيه رسول الله ﷺ : يا قيس ، انه لا بدلك من قرين (18) ، الى آخر كلامه . فيقول الله : ﴿ القيا في جهنم كل كفار عنيد ﴾[7] يعني النبي والوصي في وقتهما ، والامام والحجة في زمانهما ، فالاشارة اليهما سلام الله عليهما ، والى من يقوم مقامهما ، وكان من النور الساري من العقول المتصل بكل مقام من النطقاء ، اقامة الشريعة ، والتنزيل ، يحقق ذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ﴾[8] فكان عنه التحريم ، والتحليل ، فيحرم الهابط المذموم منعاً له عن القامة الألفية ، وسجنا

---

(1) شبر : مبشر في ق
(2) شبير : وبشير في ق
(3) سورة 3 آية 30
(4) سورة 50 آية 21
(5) سورة 50 آية 22
(6) سورة 50 آية 23
(7) سورة 50 آية 24
(8) سورة 42 آية 52

له بالحيوانات الشريرة ، دفعاً ودعيٌ له عن المراتب الدينية ، وحذرا منه على النفوس الناطقة ، أن يعكسها ، وعن الصعود الى الخلاص عند ممازجته لها أن ينكسها ، وكانت الخمر أشدها مضرة وأعمها خباثة ومعرّة ، ممثلة بالتأويل بعلم أئمة الضلال ؛ فيختص بصدم العقول لأنها من طينتهم التي هي طين الخبال ، ويحلل الصاعد المحمود طلباً لخلاصه بالصورة الانسية ، وقبول النفس الناطقة القدسية ، فاصعد ذلك من القوة المعدنية الى النباتية ، وحيز الرتبتين بالحيوانية ، ثم نقول الجميع الى البشرية ، فلا يجيب الناطق الثاني الا وبقية مجيبي الأول بسرعة الحال ، من غير ريث ولا امهال ، ولا تحول عن طاعته ولا زوال لكونهم به عارفين . ولحصوله فيهم راجين متشارفين . فلم يزل الأمر كذلك حتى انتهى الأمر الى محمدﷺ فبادر الى اجابته دعوته البقية من المجيبين لدور المسيح وسارعوا إلى التكبير معه والتسبيح لما صفت ضمائرهم ، وصحت بصائرهم ، واليهم توجه قوله عزّ وجلّ : ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم ﴾(1) ﴿ وما يعقلها الأ العالمون ﴾(2) فالزمهم للبرء من داء التجسيم استعمال الأدوية الشرعية ، والعقاقير العملية ، ليتهذبوا بها من الطباع البهيمية ، ويتخلقوا بالشيم الملكوتية ، ويتهيّؤا الأصباغ الاكسيرية البهية ، فينتقلوا بها الى الصور الذهبية ، من الرتبة المسيئة الصفرية ، سنة جارية في الأعصار الخالية . ويكون بقية مجيبي الدور وآخرهم من الدور المحمدي ، هم الملبّون دعوة قائم القيامة ، ذي الشرف السرمدي ، عليه السلام وعلى يديه حساب الخلائق ، وبعثهم ومناقشتهم على الأعمال والعقائد ، وبحثهم ، قال الله عزّ وجلّ (19) بتحقيق أمر الأمم : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم . وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾(3) . فقال مولانا المعز ﷺ : فمن أجاب دعوة آدم عليه السلام على بصيرة وايقان ، سارع الى اجابة دعوة نوح فارغاً من كسب أمسه ،مشمراً لعمل يومه . واقتدى كل مقام من المقامات في دور الستر بآدم الكلي وفعاله ، واحتذوا باقامة حدودهم بمنازلهم على مثاله ، ونسجوا أمور دعواتهم بقوامها على منواله ، فيقيم كل مقام نفسه بمقامه المكين ، لكونه خليفة رب العالمين ، وينصب حدوده سبعة وعشرين ، فيكون ستة عشر منهم بالحضرة المقدسة ، والمحافل التي هي بمولاها على التقوى مؤسسة ، منهم إثني عشر حجج الليل أهل العبادة الباطنة ، والسرائر مقام روح الحياة لدعوته الظاهرة ، وأربعة داعي البلاغ ، وداعي المطلق ، والمأذون ، والمكاسر ، واحد عشر دعاة الجزائر أصحاب العلوم الحقيقية والبصائر . فبالكافة منهم لمن اهتدى بولايتهم تمامُ العبادة ، واليهم الإشارة بمعنى حدود الشهادة .

---

(1) سورة 3 آية 163

(2) سورة 29 آية 43

(3) سورة 23 آية 51 ,52

في المعاد المحمود

(20) الفصل الأول : في معاد النفس الناطقة وكونها بالصافين المسبحين لاحقة .
نقول بعون الله تعالى ومادته ومنة وليه في أرضه سلام الله عليه وافادته : اعلم أن المستجيب اذا أخذ عليه العهد الكريم ، ارتقمت نفسه الحسية صورة من صورة مفيده علمية هي نقطة نور من المادة العلوية ، وروح القدس من النظرات الإمامية ، وهي النفس الناطقة القدسية ، الراجعة عند النقلة فائزة مطمئنة الى ربها راضية مرضية ، من ذنبها تائبة منيبة .
فلا تزال تكتسب بعلمها وعملها نوراً وعلماً ، وتزداد باجتهادها وجدها معارفاً وفهماً ، فإذا انتقلت بموت أو شهادة ، ختم لها عند ذلك بالسعادة ، ولحقت ممازجة لصورة حدها العلمية مجاورة لنفسه الحسية ، وجذبت الناطقة الحسية معها والحسية النامية ، وصارت الثلاثة جملة واحدة مضيئة ، شفافة عالمة عقلية ، قد اجتمعت بها لطائفها ، وفارقت كدرها وكثائفها ، سمع كلها ، وبصر كلها ، ونطق كلها ، فتشرف من صورة مفيدها على علم الغيوب ، وينكشف لها ما كان عنها محجوب ، تسأل على لسانه وتجيب من جنانه ، مفارقة لصفة الأجسام ، متصفة بصفة الملائكة الكرام ، محيطة بعالم الطبيعة ، متطلعة من الغرفة الرفيعة ، قد آمنت الحوادث والطوارىء ، وتعلقت بالعامود الساري ، وخوطبت بيا أيتها النفس المطمئنة ، إرجعي الى ربك راضية مرضية ، فمن حيث ابتدأت ، تعود صاعدة الى أفلاك الصعود . فإذا انتقل مفيدها تمازجت النفوس والصور ، وارتقت الى الحد العالي(21) على أمر قد قدر عاطفة بامدادها على من يليها من أولادها ، مؤيدة بنظرتها اليهم بقضاء ودادها ، حتى تصبح عند الداعي حاصلة ، والصور العلمية من كافة حدود جزيرته اليه واصلة ، فلا يزال بها الترقي في الأسباب ، حتى ينتظم الداعي بأهل دعوته في أفق الباب ، مجمع دعاة الجزائر ، والحجج ، أهل البصائر ، وأولوا التأييد والعصمة ، حظيرة القدس لأهل النعمة . فينتظموا بمجمعه الشريف على مثل أعضاء الجسم ، كل امرىء منهم على قدر مبلغه في العمل ، والعلم كصورة كاملة روحانية ، وجملة شريفة قدسانية ، هي حقيقة الإمامة ، واللاهوت ، ونجل قدرة ذي العزة ، والجبروت . وقوله عز وجلّ ﴿ أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله فقد أتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكاً عظيماً ﴾[1] يعني الامامة ، وهي الملك

---

(1) سورة 4 اية 54

الـذي سأل ربـه سليمان بقولـه : ﴿ رب أغفـر لي وهـب لي ملـكاً لا ينبغـي لأحد من بعدي ﴾[1] . يعني أن ليس لأحد من رتب الدين مرتبة البابية التي منها بلوغ الإمامة لا على ان الله سبحانه وتعالى يجعل ذلك له دون غيره ، بل ذلك لكل رتبة سليمانية ، متسلمة للرتب التي منها غاية النسب ، والسبب ، وكان مجمعه الشريف جنة المأوى ، التي أوى اليها النفوس الروحانية ، ذات القطوف الدانية ، خير تقي عند النقلة الى الحجة العظمى الإنبعاثية ، سدرة المنتهى . فيتحد اللاهوت ، والناسوت ، الـذي هو الإمـام الثانـي ، متسلماً للخلافة بالنص عليه من الأول ، متلقياً من أنواره الإبداعية ، متحملاً من أعباء الخلافة ما حمل من الشروط الإمامية ، ناشراً للدعوة في طلب مثله بالرتبة العلية ، جامعاً لأنوار شيعته إلى الرتبة السلسلية ، وهو عمله الصالح غاية حمده وشكره ، ومتجره الرابح الذي سعى له بسرّه وجهره ، ونهاية الغبطة التي ينالها عنده ولديه ، وبلوغ رجاه الـذي عول عليه أول فكرته ، وآخر عمله ، وخلاصة قصده ، وزبدة أمله ، المؤمن الذي ذكره مولانا المعز صلوات الله عليه بقوله : (22) لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يوجد مؤمناً مثله .

وايجاد الامام عن أبيه هو العرض ، وهو الواجب المفترض ، وكذلك بعالي أمـره لأهـل المراتب ، ايجاد أمثالهم عليهم واجب ، ولولا ذلك كذلك لبطلت الإمامة ، وسقطت عن الشريف الرفعة والكرامة . قال الله عزّ وجلّ في بلـوغ المؤمنـين تلك المرتبـة شاهـداً له بالتحقيق ، ومؤيداً له بالتصديق : ﴿ وعد الله الذين آمنـوا منـكم وعملـوا الصالحـات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي أرتضي لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ . ومثـل قوله لنوح عليه السلام : ﴿ فنجيناه ومن معه في الفلك ، وجعلناهم خلائف ﴾[2] . وأمثالها من آيات الخلافة والرسالـة ، فصـح معنـى الاصطفاء من هذا الوجه ، بواجب الدلالة . واعلم أن النفـوس الناطقـة قبـل مفارقـة الشخص الانساني غير محدودة بحدود العالم الجسماني ، فهي اذا رامت مقصدها من جهة جسمها المحدود طوت تلك المسافة قدماً قدماً الى المكان المقصود ، واذا رامـت التطلـع بذاتها بلغت شرق الأرض وغربها ، وعلت الأفلاك بأجمعها ، بلا زمان معدود . فالعالم بأسره في ضمن أفقها محصور ، مع كونها بالحصار الجسداني في هيئة المأسور ، فكيف بها اذا حُلّـت من العقال ، ولم يعقها عن التجريد رباط ولا شكال ، وتحولت من منازل عالم الأفعال الى غرف عالم الأقوال ، ولحقـت بالصافـين المسبحـين في فسحـة لا تضيق مع الملائكة المقدسين فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ؟ وقال رسول الله ﷺ : ان في الجنة ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وحقق ذلك قول الله عزّ وجلّ في التوراة : يا ابن آدم أطعني أجعلك مثلي حياً لا تموت ، عزيزاً لا تزل ، غنياً لا تفتقر ، مسروراً بلا نهاية . وهذه مرتبة أعظم مما قلنا ، وأعلى مما

---

(1) سورة 38 آية 35

(2) سورة 10 آية 73

وصفنا ، وما يعقلها إلاّ العالمون . ولمثل هذا فليعمل العاملون ، ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وقد تأزلت بما شاع فيها من أنوار الوحدة ، فهي لا تحرق ، ولا تغرق ، ولا لها (23) دم يهرق ، فإن سأل سائل : هل يتساوى أهل الاستجابة بالمعاد ولا يقع تمايز بين أهل التواني والاجتهاد ، والى من يكون الاشارة بالمفيد ، والى من يأوون الاحرار والعبيد ؟ والذي أخطأ من أهل المراتب فهبط ، وزال عن حد الولاية فسقط ، ما حال من به غرق ، ممن بصورته عند الفراق لحق . فنقول بعون الله ومادته ، ومنة وليه في أرضه سلام الله عليه ، وافادته .

فاعلم أن أهل الإستجابة متفاوتوا الرتب ، متباينوا السبب ، والنسب ، فيكون معاد كل مستجيب الى من يعلوه بالعلم ، والعمل من أهل الدراية والفهم ، فذلك حده المغذوق بصورته ، الذي [علا][1] عليه برتبته ، فبذلك يصح العدل ، ويعلو ذو الفضل ، والذي بالقوة يظهر إلى الفعل ، ويقرن الشكل بالشكل ، فأول رتب المستجيب يكون في أفق البالغ النجيب ، والبالغ في أفق المكاسر ، والجميع في أفق المأذون الحاصر ، وكذلك سائر المراتب الدينية ، لا يتعدى أحد حده بالصورة العلمية ، فاما المخطىء من الحدود ، فإن المغذوق بصورته الى صاحب تلك المرتبة يعود ، وعلى الجملة فان الناقد بصير ، والناقل عارف خبير ، فهو ينقل الصور الى حدودها الحقيقية السابقة لها من الله الحسنى بالمراتب السنية ، أهل الدين والسلامة ، وصحة اليقين والاستقامة ، كما قال داود عليه السلام . مثل ما كان سيكون ومثل ما علم سيعلم ، ليس تحت الشمس شيء جديد ، وما يعقلها الا العالمون ، والمخطي يهبط الى المراتب الدينية بنفسه ، العاصية الحسية . فاما الصورة العلمية اللطيفة فإنها لاحقة بأهل الخمائر الشريفة ، فافهم ذلك ترشد ، وتفوز وتسعد .

(24) الفصل الثاني : بما يتلوها من النفس الريحية ، والخميرة الشريفة الحكمية ، وما يكون من اجتماع المقامات بالأفق المبين ، وظهور قائم القيامة مالك الدنيا والدين ، وما يكون منه بعد الانتقال ، ومجاورة ذي العزة والجلال . نقول بعون الله ، ومادته ، ومنة وليه ، في أرضه سلام الله عليه وافادته : اعلم أن العناية الإلهية ، والصنعة المتقنة الحكمية ، عمدت الى اجسام المنتقلين من الحدود والمؤمنين فخمرتها بروحانيات الكواكب الجرمانية ، في قبورها وأجداثها الأرضية ، ثلاثة أيام فاصعدت منها النفوس الريحية ، أشرف أثاراً ، الناطقة فصعدت بالسعود الفلكية لاحقة فترتقي الى فلك القمر أولاً ، ثم عطارد ، ثم الزهرة السعد الأصفر ، ثم بوساطة الشمس الى المشتري السعد الأكبر ، والشمس هو المجمع الطبيعي الأكبر ، والمغناطيس لهذه الفضلات الأنور ، فيكون اجتماع

(1) علا : علويا في ق

النفوس الريحية(1) بالباب الطبيعي الجرماني ، كاجتماع النفوس الناطقة بالباب الديني النفساني ، ويتشكل في الوهم بالترتيب ، مثل الشخص الانساني ، فإذا آن ظهور الإمام من الإمام ، واذن الله بتشخيص خليفة المقام ، هبط من أفق الصعود بوساطة القمر بشيء من النفوس الريحية ، محفوظ عن جميع البشر ، فيقع على بعض المياه الصافية العذبة ، أو بعض الفواكه الطيبة الرطبة ، فيكون كالكل الواقع على تلك الأثمار المحرم ، بشرفه عن احراق النار ، فيتلقى الامام عليه السلام تلك الفضيلة ، ويشاركه بعض أزواجه المستحقة حمله ، فيكون بينهما بالنكاح الأشرف نطفة شريفة ، وجملة بكليتها مقدسة لطيفة ، فينساق غذاء ذلك الجنين من بقية ما أعد له حيناً بعد حين ، الى أن يستكمل شهور التكوين ، فحينئذٍ ظهر الى دار الحس(2) بغير مشيمة ، وهو في أعضاءه ذو كمال وتمام ، وهو المعروف بالناسوت . والإمام فيتسلم رتبة الخلافة من أبيه بالنص ، وينتقل الباب اليه باللاهوت الذي به يختص . فاتحد اللاهوت بالناسوت ، وأشرقت منه أنوار الملكوت ، وقام بالدعوة ، مقام الناص عليه ، واستدعى نفوس أهل دعوته(25) اليه ، ليستخرج كما استخرج مقاماً ويتخلف اماماً . والمقام الأول بالنقلة الى أفق العاشر منتظر لامثاله ، وتمام الخلق الآخر ، فإذا وفى الدور قام القائم عليه السلام ، وتمت الأعضاء الروحانية ، وجاء في ظل من الغمام ، فيظهر كظهور آبائه ، ويتشخص من الذخائر المذخورة لايجاده وإنشائه ، فكان لجسمه الشريف على أجسام آبائه من الفضل والمنزلة العلية ، وان كان كلها أشباحاً كافورية ، فله على أجسامهم مثل ما لهم من الشرف على الأجسام البشرية ، فالتأمت به المقامات المقدمة في البرزخ أفضل القيام ، وانتظمت كأعضاء الجسم البشري أحسن انتظام ، فقام آخر دور الستر ، وأول الكشف ، وكشف التقية ، ودعى الى شيء نكر من دعاوي الإلهية ، وابتداء دور الكشف مثل الدور المقدم بتلك القضية ، وتتالت فيه الذرية الزكية ، وصعد القائم للخلافة المرضية للرتبة السامية العاشرية ، وترافعت تلك المراتب الإنبعاثية ، وتصاعدت(3) المراتب القدسية ، الى دائرة المنبعث الأول مجمع الأولين والآخرين ، وتساوت أقدام البادين والحاضرين ، أخواناً على سرر متقابلين .

الفصل الثالث في الأجسام الشريفة ، والبيوت الطاهرة اللطيفة ، ونبذ من المقابلات وعجائب المشاكلات ، نقول بعون الله ومادته ، ومنة وليه في أرضه ، سلام الله عليه ، وافادته : إن الأجسام الشريفة من الحدود والمؤمنين كانت من البيوت التي يذكر فيها اسم الله رب العالمين ، فهي لا شك الى محلها في الابتداء مرفوعة ، وانها غير مهملة ولا موضوعة ، بل هي لاحقة باربابها داخلة الى البيوت من أبوابها. قال بعض الموالي عليه السلام : البيوت لاحقة برب البيت ، وذلك أنها تصعد من قبورها على التمام ، وتتلاحق

---

(1) الريحية : الرواحية في ك   (2) الحس : الاحساس في ق   (3) تصاعدت : تماعدت في ق

حتى ما يبقى غير العظام ، فيحفظها حافظها ، بأحسن معقل ، وأرفع منزل ، (26) كهيئة الأبراج السماوية . وهي لجميع[1] معانيها حاوية ، وفي جملة الفاعلات موجودة ، وحيث كانت بالمحمودات معدودة الى أن يأتي أوان عودتها صوراً بشرية من جهة الأغذية بالارادة ، وظهرت بالنسل والولادة ، ولزمت منازلها المعتادة ، مثلاً بمثل ، وشكلاً بشكل ، البلد الطيب يخرج باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً ، وقد تنقلت حالات أجزائها ، وتشرفت وصار منها لها نفس صفت وتلطفت من أعضائها ، وقبلت نصيبها الذي هو الحسّ من الفلك زبدة نمائها ، وصادفت الدعوة عن مفيدها فبادرت وجانبت الميل عن طاعته وحاذرت . وارجعوا نشاءة من الأدوار المستقبلة كالحال الماضي بنشأتهم الأولة ، فبلغت حسياتهم بكونها نواطق فبكل رجعة فهم لهم بالحكمة عضو ناطق ، ويصعدون بالرتبة الناطقية ، ويركبون بالمعارف الربانية ، افقاً عن أفق ، حتى يبلغوا الرتبة الإمامية ، ثم الالتيام الى الجملة القائمية ، مثل ما كان سيكون كما قال داود عليه السلام ، قوله عزّ وجلّ : ﴿ بل هم في لبس من خلق جديد ﴾[2] ولا تزال تلك الفضلات تعود مرة بعد مرة ، والرجعات تتتالى كرة بعد كرة ، حتى تصير بكلياتها لطائف ملطفة ، وأرواحاً صافية مشرقة ، قائمة بالفعل على أكمل صفة . فاما ما بقي وتأخر من العظام فإنه يرجع على طول المدة وهي رمام ، وهو قسم من الجسم منسوب الى الأرضية يختص بكونه من المرة السوداوية ، فيكون مثل الغاية المعدنية ، والرتبة الدرية ، والياقوتية ، والدرجة الفضية والذهبية ، وصفي ذلك كله بالصورة الفلكية بالآلاف الزمنية ، والأدوار الدهرية . فاما أشباح الأئمة الكافورية ، وأجسامهم الناسوتية ، فإنها أنفس نامية حسية ، أهل العصمة مجوهرة لذوات أهل التأييد والرحمة . وقال بعض الموالي عليهم السلام : لطائف شيعتنا كثائفنا ، وكثائفنا لطائف شيعتنا . فإن قال قائل فإذا كانت كذلك فمن أين لحقتها الحوادث بأيدي الأضداد ، وامتدت اليها طواري عالم الكون والفساد ؟ (27) قلنا أن الحوادث على حقيقة أشباحهم غير جارية ، وان النواسيت عن طواريها متعالية . لكن الظاهر بها يظهر ما شاء بما شاء من كما شاء كيف يشاء ، من شيخوخية وكهولية وطفولية ، وتارة يظهر الفاقة والفقر والمرض ، وحيناً القوة والقدرة التي لا تعترض ، فيكون المعجز إظهاراً لقدرة اللاهوت ، والمتحجب ؛ ويكون العجز من جهة الناسوت والخضوع الذي يجب . فإذا أراد اظهار حادث أظهره ببعض الأولياء ، واصطفى من رأى بموجب العدل والحكمة ، يصلح كذلك من الاتقياء ، فيظهر الموت من مرض ، أو سمّ ، أو قتل ، ويتشبه لأعين الناظرين من الشكل بالشكل ، قال الله عزّ وجلّ ، في قصة عيسى عليه السلام : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّـه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه

---

(1) لجميع : جوامع في ك

(2) سورة 50 آية 15

لفي شك منه ما لهم به من علم الآّ اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه ﴾(1) فصح ما قلنا ، ووضح ما اليه أشرنا ، وظهر لتلاميذه بعد ذلك ورسول الله ﷺ بظهوره لمن ظهر كذلك بعد النقلة ، ومولانا اسماعيل بن جعفر ﷺ في اظهار المعجز بالبصرة ، والذي يظهرونه من القتل بحق واجب ببعض الجنايات ، ممن اجتمع بتلك الغايات . وعلى ذلك كل ما يجري من الحادثات بين الأشخاص الانسانية ، فغير متروك الاّ لمدة زمانية ، ثم يعود الأفعال على ذوات الفاعلين ، لقوله عزّ وجلّ ، وهو أصدق القائلين ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾(2) وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ﴾(3) وكانت الأجسام للاجسام مقابلة ، ولطائفهما للطائفهما مماثلة ، ومناسباتها في أمورها متواصلة ، فمن ذلك أن في مقابلة الحدود للعوالم لمن فكر سر عجيب ، ومعنى من الحكمة الإلهية غريب ، وذلك أن آدم الكلي وحدوده ثمانية وعشرون ، وكذلك الفلك ثمانية وعشرون ، سبعة أملاك ، وسبعة أفلاك ، واثني عشر برجاً ، وقطبي الشمال والجنوب ، وكذلك كل مقام من ناطق ، أو وصي ، أو امام ، كل واحد منهم حدوده ثمانية وعشرون ، (28) فتكون الشمس مقابلة لآدم الكلي ، وسائر المقامات ، وباقي الفلك مقابلة لحدودهم ، أهل الديانات ، فكأنها هي لشدة المشابهة والمشاكلة ، ولطائف معانيها وتأثيراتها متواصلة ، فإن قال قائل هذه مقابلة للحدود المرتبين ، فما الذي من الفلك يقابل المؤمنين ؟ قلنا يقابلهم على الجملة ما في الفلك من دقائق ، وثواني ، وثوالث ،وغيرها مما يتحققه أهل الحقائق ، ويكون الدرج كالمأذونين بضمن الدعاة المطلقين ، ولهم من الرتب المعدنية أشكال تترتب عن قبول تأثير المؤثرات على هذا المثال ، فالركن نظير المقامات من الأحجار المتمعدنة ، والياقوت والدر مثل الحدود والمؤمنين بمراتبها المتفننة ، هذا ولا خلاص بالحقيقة للهابطين ، ولا عودة إلى العالم الروحاني للمتورطين(4) إلاّ بالوصول إلى القامة الألفية ، وقبول أوامر الدعوة الطاهرة الذكية . وعند اجتماع الكواكب في أول نقطة من برج الحمل ، يخرب العالم بما فيه ، ويبطل العمل ، ويستأنف النشوء كالنشوء الأول ، أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وقال داود عليه السلام : مثل ما كان سيكون ، مثل ما علم سيعلم ، ليس تحت الشمس شيء جديد . واختلفت أحوال(5) العالم بموجوداته من جهة الأقوال والأفعال ، أكثر من اختلافها عند التوهم بأول الحال . وكذلك بيوت العبادات والمساجد ، قبلة كل تواب وعابد ، وهي كما سبق أمثال على الممثولات . فالكعبة ممثول آدم الكلي ، ومن قام مقامه من كل ناطق ، أو امام ، أو أساس ، فقال عزّ وجلّ فيها :

(1) سورة 4 آية 156, 157
(2) سورة 99 آية 7, 8
(3) سورة 42 آية 30
(4) للمتورطين : سقطت في ك
(5) احوال : حلال في ق

﴿ إن أول بيت وضع للناس . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ﴾[1] . وبالمعنى الحقيقي بالخلاص لمن عرفه ضامناً ، وكذلك سائر الجوامع على ما يقتضيه علم التأويل ، كالمجامع من الأبواب الشريفة ، والدعاة ، والمأذونين ، والمكاسرين الهداة ، فيتقابل الدين والخلق ، وتبين للمتبصرين أنه الحق . فالمراد بجميع العالم تقريبه للخلاص ، وتراقيه في رتب الايمان صعوده في درج مراقبته . فافهم ذلك ترشد ، وتفوز ، وتسعد .

---

(1) سورة 3 آية 96, 97

الباب الرابع

(29) (في المعاد المذموم)

الفصل الأول بمعاد الصور النافرة لذوي الاعتقادات المصرّة المستكبرة . نقول بعون الله ومادته ، ومنة وليه في أرضه سلام الله عليه ، وافادته : إعلم أن دعوة أئمة الضلال الغواة ضد ما عليه دعوة أئمة الحق الهداة . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ﴾(1) وقال عزّ وجلّ ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾(2) يعني الأئمة الاطهار . فكان فقهائهم وعلمائهم هم الصادّون عن سبيل الله ، والدافعون لمقامات أولياء الله فيرقمون في نفوس اتباعهم المضادة للحق والعداوة لأئمة الحق ، وبعض الأولياء ، وموالاة الأئمة الأشقياء ، ويصورونهم من الباطل في التوحيد صوراً معوجة هي حقيقة شرك المعبود بالعبيد ، وينقشون ذواتهم بعقائد غير ثابتة بالجنة والنار مما بينهم وبينه الأمد البعيد ، فُيظلم بذلك بصائرهم ، وتتصدىء من تلك الاعتقادات ، والأعمال جواهرهم مع ما حولوه من الشريعة والعبادات ، وغيروه بقياساتهم ، وطبائعهم المعتادات ، وعند الموت تفارق من تلك الأشخاص المضاددة صورهم التي تصوروا ما يترسم بذواتهم ، مما ضاددوا وانكروا ، فتكون صوراً ظلمانية ، مخالفة للصور النورانية ، فتجول مترددة في الهواء ، وتأوي البقاع الموحشة ، والخلاء النجسة ، كبيوت الماء ، والمواضع الرذلة ، الوسخة ، القذرة ، والبواليع المنتنة ، والأجام المظلمة ، والمنازل المؤلمة ، وكهوف الأرض ومغاراتها ، ومزابلها ، وحماماتها ، ومجاذرها ، وخراباتها ، تتمنى(3) العودة الى جسمها ، والتصرف بالذات الحسية على عادة رسمها ، وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون ، من أنواع الطيب ، كما فعل باشياعهم من قبل أنهم كانوا في شك مريب . ومنهم سكان البحار ، والبراري ، والقفار ، والشوكة من الأشجار ، ومنهم (30) بالجبال ، والخانات ، والنواويس ، ومنهم شياطين الأنس والجن ، والمردة والأبالسة ، يعارضون الجهال ، والنساء ، والصبيان ، فيتخذونهم لهم مساكن وبيوتاً ظلمانية ، وأماكن ، ومنهم موسوسون بالصدور ، والمدِلون بالغرور ، والمقوؤون عزائم أشياعهم فيما هم عليه من ملازمة اتباعهم ، قال الله عزّ وجل فيهم ﴿ شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ﴾(4) وربما نطقت بشيء من المغيبات ، وتخيلت

---

(1) سورة28 آية41
(2) سورة21 آية73
(3) تتمنى : تتوانى في ق
(4) سورة6 آية112

لامثالها بالمنامات ، وتناجيهم بها يهوون من المناجات ، فبحسب ما كانت عليه أيام الحياة . يصدق منهم أهل الصدق والعفاف ، ويكذب أهل الخيانة والاسراف ، وهم الجن المذمومون المعذبون ، ومنهم الغيلان ، والغدران ، والسعلات ، وأم الصبيان ، وكل صنف ممسوخ ، وجنس منكوس ، متّهم بالصعود والعلو ، فيتركها أشعة النحوس ، وتسجنها كما ذكرنا بما يستحق من المطامير والحبوس ، فتحنّ على فوات المراد ، وتتألم لمفارقة الأجساد ، فيسمع الناس حنينها ، ويستوحشون من أنينها ، فلا تزال معذبة بأنواع العذاب الادنى الى أن يحيلها من هذه الحالة الفناء ، ثم تساق الى العذاب الأكبر ، والبلاء الذي لا يعبر ، فيرد منه فيما هو من هذا أشر [وأشد] وأدهى عليها وأمرّ ، ومنهما المرتقي الى جو زهر النكال والبؤس ، فيتولى تدبير المطامير والحبوس ، ثم يهبط بعد وفاء مدته بالممازجة للمواليد ، فيظهر عنها كل جبار عنيد ، اضداد الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة الاتقياء ، واتباعهم اللُعناء الأشقياء ، فمنهم الباطش بالمقامات بالقتل ، ومنهم بالسم ، والسكين ، والنصل ، وقانا الله وجميع إخواننا المؤمنين من ذلك . ومنهم من يدعوه الإمام عليه السلام لأنه عارف بهم وبأسمائهم ، ومواضعهم وأبنائهم ، غير غائب عليه شيء من أحوالهم . ولا يخفى عليه ضمير أفعالهم ، فيدخل الذي يراه يصلح في جملة الخدم ، بدائرة الشمس ، لما تحقق منه الاخلاص والتوبة بالجهر منه والهمس ، فيصرفهم بمنافع الأولياء ، والدفع عنهم لمضار الأشقياء ، وارشاد التائه الى الطريق ، واستنقاذ من هو في البحر غريق ، وهم مائة ألف وأربعون ألف ، فمن وفى(1) منهم ما عليه عن الخدمة ، مازج الأركان ، وصعد في الأسباب الى أن يبلغ الأبواب ، وانما(31) يرقى من يرقى الى ذلك المقام عليه السلام من تلك الصورة من عذابه . استوفى ممن أجاب وأناب . فاما الإعفاء من أهل دائرة الإسلام ، القائمون بالشريعة الظاهرة ، الموالون لأئمة الحق العترة الطاهرة . فإن صورهم عند فراق موضوعاتهم ترتقي الى الزهرة ، فتقيم بها الى أن يأذن الله لها بالكرة ، ومازجت المحمودات ، وأرتقت الى الصور البشريات ، فاجابت الدعاة ، وتقلدت ولاية الأئمة الهداة ، فأدركت الفوز بالجنان ، ووفدت الى جوار الرحمن ، فافهم ذلك ترشد ، وتفوز ، وتسعد .

الفصل الثاني بمعاد النفوس والأجساد من المعاندين ، والأضداد ، وكيفية ورود العذاب الادنى الذي أمن منه من سبقت له من الله الحسنى . فاما النفوس الحسية(2) فانها تشيع في أجسامهم ، وتبقى فيها محبوسة لتعظيم آلامهم ، فتكون فيها شبه النائم ، ترى شدائد الأهوال ، وعظيم الوبال ، والنكال ، تصيح بالويل والعويل من العذاب الدائم الطويل ، وقد تعذرت آلاتها عيادة العادة ، وخمدت حواسها عن إدراك محسوساتها

---

(1) وفى : وقاية في ك

(2) الحسية : الحساسية في ق

المعتادة ، فعند أن يوضح بالقبر وقع الابلاس ، والأياس ، وانفردت بقبيح أعمالها ، خالية عن الناس ، فتتطلع على ما في ذاتها ، من ردي فعلها وسيآتها ، فيشتد بها عند ذلك الفزع ، ويعظم عليها الجزع ، وتعلم أنها في العذاب خالدة ، وانها الى الدنيا غير راجعة ولا عائدة ، فتكون اكثف من كثيفها ، وأرذل واكثف الكثيف منها ألطف وأفضل ، وتكون في شدة لا يستطيع العبارة عنها المعبرون ، ولا يخبر عنها لعظم هولها على حقيقته المخبرون ، ويكشف لها ما هي صائرة اليه(32) من أبواب العذاب ، وما ترد عليه من شديد العقاب ، وذلك عذاب القبر الذي قال الله عزّ وجلّ فيه ﴿ انا انذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً ﴾(1) أي مستجيباً . فاما التراب فلا بد له من المسير الى هذا الباب ، إن لم يكن ممن تولى واستجاب ، وتحقق ان ذلك بما خالفت فيه أئمة الأعصار ، وما كان فيهما لحدودهم من المعصية والانكار ، وتستيقن بالهلاك والدمار ، وهي محسة لما هي فيه من الآلام ، ويسرعها الانتفاخ والورام ، وينفطر جسمه الذي هو فيه ، فتأكله الدود ، ويسيل منه الصديد ، فيصل العذاب الشديد ، والبلاء الذي لا يبيد ؛ ثم تصعد أجزائه دخاناً وبخاراً الى الأمهات ، فيتمازج في السحاب المزاجات ، فينشؤ منه المضرات من الوباء ، والذرين ، والآلام ، وأنواع البلاء ، المقربة للحمام ، كالصواعق المهلكات ، والبروق المحرقات ، والرياح العاصفات ، والثلوج المتلفات ، والحرور القاتلات ، والبرود المؤلمات ، والأمطار المغيرات ، فيغتذي أشر النبات ، وينبت منه أنواع القاذورات ، وينساق بالغذاء الى الأنواع البشرية ، وهي التي تسمى الرجس من الصور الألفية ، كالزنج ، والترك ، والنوبة ، والزباب ، والأجناس التي لا تجيب مع من أجاب ، وهذه الصورة للعذاب الأدنى أول باب ، وهم سبعون نوعاً ، فتلبس بكل نوع منه سبعين قميصاً ، كلما فنى قميص لبس الآخر .

وعند كل موتة وولادة تعود بالكشف لها تلك العادة ؛ فانما جعل هذا النوع أول نوع من العذاب ، لكي يستوفوا فيه باقي الحسنات ، ويتكلموا(2) بسوء اختيارهم السيئات ، فيهبطوا الى الوكس بالسخطة ، ويردوا أنواعها المنحطة ، فمن ذلك قول رسول الله ﷺ : الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر . فصارت جنته القامة الألفية ، سجن المؤمن يستوفي بها ثوابه ، ويكتسب بها بما يختار ما يوجب عقابه ، على أنها أعني القامة الألفية سجن المؤمن يستوفي بها عقابه ، ويكتسب فيها باختياره ما يوجب به ثوابه ، جعلنا الله من المكتسبين بهذه القامة الألفية الثواب ، واعاذنا الله وحمانا من مكتسبي العقاب ، إنه العزيز الوهاب ؛ والسبعون القميص هي أذرع السلسلة التي ذكرها الله عزّ

---

(1) سورة :78 آية 40

(2) يتكلموا : يتكالموا في ك

وجلّ ، بقوله : ﴿ خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾[1] وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قل هل (33) أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾[2] فصح أن عبدة الطاغوت هم صور بشرية ، عبدة الأصنام الحجرية ، فلا مخلص لهم منها ، ولا مناص ، ويقتص منهم فيما من له عليه قصاص ، ويقع الوفاء للديون ، ويستوفي الجماد من القرون . وإنما سمي هذا الباب رجساً لنجاسته بمعادات أئمة الحق وخساسته ؛ ومن تلقاء ولاية أئمة الضلال عموم مناحسه ، ورذالته ، وذلك أنه بمعادات أولياء الله أشرك بمعبوده ، وكفر بعنوده ، عن حدوده ، مع كونه بهذه المرتبة مفحم ، عن ذكر ما كان به معجمْ ، وعن بيان ما كان به من الحالة الأولة ملجم ، فإذا وفى ما عليه وله سلك به في الباب الثاني ، وهو وكس أشباه الناس ، مثل القرود ، والدبّ ، والنسناس ، وهي سبعون نوعاً . ولها بكل نوع منها سبعون قميصاً ، والسالك بها عالم بما هو فيه ، محسّ لما يجري عليه ، على مثل ما تقدم ، وسُمّي وكساً ، لانحطاطه ونقصه ، عن القامة الألفية . فإذا أوفى ما عليه وله ، سلك به في الباب الثالث وهو العكس ، جنس السباع المفترسة للحيوان ، الضارية المؤذية للانسان ، بريها وبحريها ، وهو على ما تقدم من العدد ، والكون بالعذاب فيه بطول الأمد ، لتهاونه لأمر الواحد الصمد ، وسمي العكس لانعكاس صورته ، وانكباب بنيته . فإذا أوفى ما عليه وله سلك به في الباب الرابع ، وهو الخرس جنس الحنشات ، والحيات ، والعقارب ، وأشباهها من المؤذيات بحريها وبرّيها ، وهي على ما تقدم ؛ فإذا وفى ما عليه وله سلك به في الباب الخامس ، وهو النجس جنس الأطيار ، ذوات الريش والمنقار ، الآوية الى الأشجار ، الصائرة اليها بالعشي والإبكار ، وهو على ما تقدم من العدد في الأنواع والأشخاص التي ماله[3] منها فكاك ولا خلاص ، فإذا أوفى ما عليه وله ، سلك به في الباب السادس ، وهو النكس ، أجناس النبات المنكوسة ، مسلوبة الشعور التي كانت في الحيوانات ، وهي الأشجار ، ذوات المسمومات ، من المأكولات ، والمشمومات الكريهة الطعم ، المرة ، المتلفة ، في حالها المضرة ، وهي على ما تقدم به العدد دون الإحساس والمعرفة لما هي عليه من الصنعة ، (34) قال الله عزّ وجلّ : ﴿ ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾[4] قال الله عزّ وجلّ : ﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون ﴾[5] فإذا وفى ما عليه وله سلك به في الباب السابع ، وهو الركس موضع وطاء الأقدام ، أجناس الحجارة والرخام ، والرصاص ، والحديد ، والنحاس ، العادمة مرتبة النمو ، والإحساس ، المتعقدة في لجج البحار ، في أناء الليل وأطراف النهار ، وهي كذلك

---

(1) سورة 69 آية 30 ،31 ،32
(2) سورة 5 آية 60
(3) ماله : مواها في ق
(4) سورة 22 آية 5
(5) سورة 36 آية 68

سبعون نوعاً ، ولكل نوع سبعون قميصاً ، وبه يقول عزّ وجلّ : ﴿ حتى اذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون ﴾(1) أي قد امتنعوا عن النطق ، والاستغاثة ، والصياح . وقال الله عزّ وجلّ أيضاً به : ﴿ هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾(2) وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قل كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقاً مما يكبر في صدوركم ﴾(3) فإن قال قائل : فما الدليل على صحة المورد بهذه النسبعة الإدراك ، وانها أبواب جهنم لمن دخلها ممن استحق الهلاك ؟ قلنا : دليل ذلك ، قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الاّ أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون ﴾(4) . فهل الأمم الاّ أمم الأنبياء ؟ الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ وان من أمة الاّ خلا فيها نذير ﴾(5) فهل الأمثال الأشباه وانما يشبه الانسان بالانسان من دون سائر الحيوان ، قال الله عز وجل في تحقيق ذلك ، مما يوجب قولنا عليهم بسخطه ذي الجبروت ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ﴾(6) « أي رجعة وجزاء من : لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، واللعن ، والطرد ، والبعد عن القامة السوية ، ومقاربة الدار القدسية ، واللعنة هي النار ، وجعلهم عما غضب عليهم ولعنهم على ما ذكره عزّ وجلّ في ثلاثة أبواب الرجس ، وهم عبدوا الطاغوت ، والخنازير من العكس ، والقردة من الوكس . قال الله عزّ وجلّ في الرجس ، الذين هم عبدوا الطاغوت : ﴿ والذين كسبوا السيئات ﴾(7) أي بولاية أئمة الضلال جزاء سيئة بمثلها ، أي يلحقهم مثلاً بمثل ، وترهقهم ذلة كانما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً ، أولئك أصحاب النار ، فهل الوجوه المظلمة إلاّ المسودة ؟ فشهد أنهم أصحاب النار كما قلنا ، وهم السودان ، وكقوله عزّ وجلّ : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الاّ نكدا ﴾(8) (35) وأي نكد الاّ ما ذكرنا . والآية تشهد بتكرير الخبيث ، والبلد كما أشرنا . وكقوله عزّ وجلّ : ﴿ وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾(9) فأي كذب على الله وعلى رسوله أعظم من استخلافهم لمن استخلفوه بغير أمر من الله ، ولا من رسوله ، وسموه إماماً ، وخاطبهم على لسان رسوله مخبراً لهم بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا ﴾(9) يعني بولاية الوصي ﴿ مصدقاً لما معكم ﴾ من الايمان بالنبي ﴿ من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ﴾(10) فهل الطمس الاّ للوجوه الاّ التغيير لها ؟ وهل الادبار الاّ مراتب المواليد الذي جاوزها الانسان بالحقيقة ؟ انقلاب

---

(1) سورة 23 آية 77
(2) سورة 77 اية 35، 36
(3) سورة 17 آية 50، 51
(4) سورة 6 آية 38
(5) سورة 35 آية 24
(6) سورة 5 آية 60
(7) سورة 10 آية 27
(8) سورة 7 آية 58
(9) سورة (39) آية 60
(10) سورة 4 آية 47

الأعالي أسافل ، وسكون الرذلة عجل الأفاضل ، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، وأوجب ان لم يؤمنوا أن يلعنهم كما لعن من كان قبلهم ، وكذلك قال رسول الله ﷺ : لتسلكن سبل الأمم قبلكم ، باعاً بباع ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه. والضب من جملة الممسوح المشوه ، فلا بد من قميصه يتقمصونه ، ويصح به قوله ﷺ ، لجحره يدخلونه . وفي حديث ثاني : حتى لو دخلوا حشرم دبر لدخلتموه . تلك اشارة الى سلوك هذه الأبواب المقدم ذكرها ، حتى ينتهي بها الحال إلى الزنابير التي واحدها زنبور ، والخشن مأواها ،والضب مثل أئمة الضلال ، وحجره دعوته ، والزنابير مثل أوليائهم ، ورجوعهم وأوبهم الى ما لفقوه باهوائهم في أديانهم ، كبيت الزنبور ، والعنكبوت . ﴿ ومثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً . وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾(1) . وكقوله ﷺ : كائن في أمتي ما كان في الأمم الخالية . فوجب ان يكون الملاعين من أمته كملاعين الأمم الماضية . وان أغضى عن الأمة لشرف بنيها في العاجلة ، فان الجاري على الامم جاري عليها بالآجلة . ثم قال الله عزّ وجلّ في موضع آخر : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾(2) . والنكال هو العذاب . وصح أن ما بين يديها هو السابق لها (36) مما ذكرنا ، وما خلفها الذي هو لاحق لها من تلك الأبواب . وأوجبنا أن تلك القامات الألفية لا تجيب الهداة لأنها في البعد الأبعد من الغايات. وقال الله عزّ وجلّ في بيان ذلك : ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلاً الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾(3) ومثل قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾(4). فصح أن امتناعهم بهذه الهيئة سببه تكذيبهم من قبل ، وانهم عبدوا الطاغوت ظاهراً كما عبدوه باطناً ، من قبل بطاعة من أطاعوه قال الله عزّ وجلّ : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾(5) فأوجب انهم لما عصوا وخالفوا ، جعل ذلك لهم عذاباً ، ونكالاً . وقال عزّ وجلّ : ﴿ آهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾(6) وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب ﴾(7) . يقول أعادهم في

---

(1) سورة 29 آية 41
(2) سورة 2 آية 65، 66
(3) سورة 10 آية 74
(4) سورة 40 آية 34
(5) سورة 7 آية 166
(6) سورة 2 آية 61
(7) سورة 2 آية 90

الغضب الأول ويستقبلون الثاني بكفرهم وأفعالهم ، فتبينّ أن المراد ما ذكرنـا ، وهـي أبواب العذاب لقوله عزّ وجلّ : ﴿ وان جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾(1) . فجهنم بالحقيقة هي عالم الكون والفساد . كما قال مولانا صاحب الرسائل صلوات الله عليه ، الذي هو عالم الطبيعـة ، ذات الحـر ، والبـرد ، والرطوبة ، واليبس ، المؤذية بزياداتها ونقصانها ، كل موجود ذي حس ، والوجود كله ، داران ، لا ثالث لهما . كما قال الله تعالى الاله الخلق والأمر ، وهما عالم الطبيعة ، وعالم القدس ، فثبت بالبرهان أن الجنة والنار هما الداران ، لا غيرهما ، لمن كان له في المعارف أدنى حدس . وكما ذكر عزّ وجلّ الجلود والتبديل وجدناها بما تقدم من الدليل(37) بقوله عزّ وجلّ : ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾(2) يعنـي كلما استوفى المعذب أمر لبس كل قميص بدل بالآخر ، وكلما أراد الخروج بوفاء الأمـر رجع الى ما هو أخس منه وأقذر ، فكانت القامة الألفية هي التي تخاطـب ، فتـاب عن الإجابة بما تقدم من مجانبة ، وهي أصناف كثيرة ممن لا يقبـل الى الخـير ، ولا يلهـم الى الصواب من كل من فوق التراب ، فإن قال قائل : فإذا كانوا هؤلاء على ما شرحت من القول من باب الرجس فمن المعني بالمضاددات ومخالفة الصواب ؟ قلنا أن المعني بذلك أهل الزلل والعصيان ، والنكوس والمروق من أهل دائرة الايمـان ، وانـكار حدود امـام الزمان عليه السلام ، فلما جاءت الى الرجس كانت لما تقدم منها من النكث بهذه المثابة ، وذلك بمخالفتها وتكذيبها فيما سبق لأهل النجابة ، وكانت في الأبواب بعدها لا يدعي ولا يفهم ، منها القبول والرغبة الى الرجعة انه أخفق منها بمعصيتها المسعى ، وصارت باليوم الذي يجري فيه كل نفس بما تسعى ، فاخبر عزّ وجلّ عنهم بالجائر ، والصراخ ، والصم ، والبكم ، يعني الأبواب المذكورة ، فقال عزّ وجلّ : ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون. لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون ﴾(3) وقال عزّ وجلّ : ﴿ والـذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات ﴾(4) فهل الصم والبكم الاّ أنـواع الممسـوخ منهما العجماوات ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ قل أرأيتم أن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم ﴾(5) فهل هذا الاحال ما تقدم ذكره بكونها لا تفهم ، وذكر بالذم ، والضلال ، تلك الأبواب . فقال عزّ وجلّ ﴿ إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾(6) وأولئك هم الغافلون. وقال في الباب السابع ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصبيب من فوق رؤوسهـم الحميم . يصهـر به ما في بطونهـم والجلـود . ولهـم مقامـع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجـوا منهـا من غمٍّ أعيدوا فيهـا وقيـل ذوقـوا عذاب

---

(1) سورة15 آية43 ،44 .
(2) سورة4 آية56
(3) سورة23 آية64 ,65
(4) سورة6 آية39
(5) سورة6 آية46
(6) سورة25 آية44

الحريق ﴾(1) . فذكر التحريق ههنا بهذا الباب ، والماء الحار الذي يصب عليها في باطنها ، عند أن يتناهى فيها ، فهذه النار والضرب بالمطارق بمشاهدة الابصار ، والأبواب الأولة لم تذكر به بل قال عزّ وجلّ : ﴿ عذاب النار ﴾ (38) يعني المركوزة في الطباع وكفى بها مع ما هي فيه من الندامة والحسرة ، والهمّ والغمّ ، بما هي مستقلة بكل كرة ، فيستكمل السلوك بها بأجمعها المدعون رتبة الإمامة ومن شاكلهم من أضداد الانبياء ، والأوصياء ، بالزعامة ، وكبار أتباعهم ، المعينون لهم على ضلالهم ، والابتداع . فأما سائر الاتباع من العوام والرعاع ، فقد يعود من بعضها بمقتضى ما كان منه من الأعمال ، والمبالغة ، والتقصير بالأقوال ، والأفعال ، ومضاددة الأولياء وعداوتهم ، وبحسب ما يكون اليهم منه من أذيتهم ونكايتهم ، ومستكملوا السلوك(2) بها بعد الوفاء ، يخرجون الى أطراف الأرض لعظيم العذاب هنالك والنكال ، وما فيها عليهم من الخزي الطويل والوبال ، وهي الأربع النواحي التي هي خارجة عن الاعتدال ، وهي مركز الاثير في الشرق والجنوب . ومركز الزمهرير في الشمال ، وفي البحر الأعظم ، في ناحية الغرب . فيكون الموجود فيها شبه الجبال حيوان جامد لا حراك به ، ولا له بذاته انتقال . فيحس بتلك الشدائد لأنه مكبل بالاغلال . فالجنوب اليه انسياق مناصبي النطقاء عليهم السلام . والشرق اليه انسياق كبار اتباعهم المعذبين ، بالجبال الشامخة التي تكاد تبلغ السماء . والشمال محل مناصبي الأوصياء ، وأئمة الأعصار ، والتابعون لهم إلى البحر الأعظم الغربي انصبابهم(3) دون سائر البحار ، وفيه أمواج كالجبال ، وهاتان الناحيتان أعظم وبال ، وأكثر أهوال . وساكنوها في اضعاف ساكني النواحي الأخرى ، وأشد نكال . وحيوان البحر المذكور غير نائم ، وحيوان البحار أيضاً والأنهار الكبار ، من الربع المسكون سهرها دائم ، وهي أعني الحيوانات المذكورة الساهرة تساوي حالها أي بالسهر في الناحيتين الخراب والعامرة ، وما تقدم من الأبواب في الربع المسكون بالنسبة الى ما هنالك فكأنها جنان ، ونعيم لشدة ما في هذه النواحي من العذاب الأليم ، والبلاء الدائم المقيم ، فالليل فيها ستة أشهر شديد البرد والقرّ . والنهار فيها ستة أشهر شديد الحر ، أعاذنا الله ، وكافة أخواننا المؤمنين من ذلك بحق محمد ، وآله أجمعين(39) .

الفصل الثالث بذكر العذاب الأكبر ، والبلاء الذي هو أشر ، وأدهى وأمرّ . نقول بعون الله ومادته ، ومنة وليه ، في أرضه سلام الله عليه ، وافادته : اعلم أنه إذا قام القائم عليه السلام ، وجب القصاص من الاضداد ، والانتقام ، وساقت العناية الإلهية أهل برازخ العذاب من النواحي الأربع المخصوصة بالخراب ، الى الربع المسكون ، فمازجوا منها المواليد ، وظهروا الى الوجود عن النسل والتوليد ، ووقع الحشر الى موقف الغرض

---

(1) سورة22 آية19، 20، 21، 22 (2) السلوك : السكوب في ك (3) انصبابهم : صوابهم في ق

والحساب ، وقد ذهلوا من الفزع مما يراد بهم من استقبال العذاب فيتشخص لهم المقامات ، ويتشكلوا لموافقتهم على الجنايات ، فعند ذلك يأمر سلام الله ، بضرب أعناقهم ، وتهبط من السماء نار مأمورة باحراقهم ، فيصعد دخانهم الى العقدتين . فعند موازاتها بالحركة الدورية للصخرة تجذب ذلك الدخان بالمناسبة القبيحة التي بينهما ، فإذا صاروا فيها ، وهي أسفل سافلين ، الموسومة أيضاً بسجين ، وهي صخرة شديدة متداخلة الأجزاء من أصلب الأحجار مجوفة كقدر الصقر ، في مجوفها كباريت ، وذرانيخ ، وما شاكلها من الأحجار المعدنية الكامنة فيها النار ، وهي تشتعل بمن فيها اشتعالاً فعند وقوعهم في جوفها يتصورون أشخاصاً مشوهة على أقبح حال وأشنعها ، وأوحش صورة وأفزعها ، فمنهم من له رأسان أو ثلاثة ، وأكثر من ذلك ، وبالجملة فانهم على حالة يقصر عنها وصف الواصفين ، يأكل بعضهم بعضاً ، ويقتل بعضهم بعضاً . وكلما غربت الشمس ، وقابلتهم بأشعتها ، يتجدد عليهم ويزداد عند ذلك اضطرابها والتهابها ، وكلما مات منهم ميت أو قتل عاد كهيئته بأسرع وقت. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ، وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ لا يموت فيها ولا يحيى ﴾(1) بحياة ، ولا يموت بنقلة ، واليهم توجه قول الله عزّ وجلّ ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حَطَبُ جهنم أنتم لها واردون ﴾(2) . لو كانوا هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون يعني بالمعبودين أئمة الضلال ، والعابدين أتباعهم ، لو كانوا هؤلاء آلهة أي أئمة حق بكونهم خلفاء الله فنسبتهم بذلك اليه ، فنزههم واتباعهم عن ورودها (40) ، وكل فيها خالدون ، يعني المعبودين والعابدين . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ﴾(3) يعني بالاخرى التابعين ، وبالأولى المتبوعين ، قال لكل ضعف ، ولكن لا تعلمون . يعني ما ينفعهم العلم ، لأنهم لو علموا ما تبعوا من أوردهم هذا المورد . فاما وقد أوردوا فقد صار علمهم فيما هم فيه علم اليقين ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ لتروُن الجحيم . ثم لتروُنها عين اليقين ﴾(4) . فكلما دخلت سجين أمة ممن وجبت عليها من الأمم دخل على أهلها بدخولهم من العذاب بالزيادة أضعاف ما كانوا فيه من الالتهاب ، كما تزداد النار اضطراما بإلقاء الحطب عليها ، ويعظم الالتهاب ، واذا افتقدوا فيها مكان الأولياء ، وكانوا عندهم أيام الحياة هم الأشقياء ، ﴿قالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار ﴾ ان ذلك لحق تخاصم أهل النار ، ولهذه الصخرة ؛ فم تسمى الدر دودة تنصب فيه الماء الحار ، يسمع لها فيه دويّ كدويّ الرعد القاصف بالسحاب ، وقت الامطار ، فلا يزال من فيها على تلك

(1) سورة 20 آية 74
(2) سورة 21 آية 98
(3) سورة 7 آية 37
(4) سورة 102 آية 7, 6

الحال يصبّ فوق رؤوسهم الحميم المالح ، ولا يكون طعامهم الا من غسلين ، لكون ما فيها أشد نتناً من الجيفة والصديد الصابح ، فيا له من عذاب ، ونكال ، وما أقبحه من بلاء واغلال حتى يستوفي من فيها بالكور الأعظم العذاب الأكبر ، شديد الآلام ، وهو ثلثمائة ألف سنة ، وستون ألف سنة ، مضروبة في مثلها ، وذلك جزاء مضاددتها ، ومخالفتها الأئمة الهداة وجهلها والمراد بالضرب ههنا بالمثلان أن يتكرر مثل هذا العدد بالمعذب ثلثمائة ألف مرة ، وستونَ ألف مرة . فما أدهى ذلك على الواقع فيه ، وما أمرّه ، وهذه المدة العمر الطبيعي للأرض والسماوات وعندها يقع البطشة الكبرى التي هي قيامة القيامات ، بقوله عزّ وجلّ : ﴿ إذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت . واذا الجبال سيرت ﴾(1) ويخرب العالم بما فيه لانفتاق روابط الأفلاك ، فيبطل العمل ، وتميل الكواكب عن مراكزها التي هي لها عند اجتماعها(41) بأول نقطة من برج الحمل ، قوله عزّ وجلّ : ﴿ يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا أنا كنا فاعلين ﴾(2) فعند الانتهاء يجب الابتداء ، لأنه يوجبه ويدور عليه . وتكون الحركة الثانية كالأولة من أول الدور أن يكون بنقطة الحمل الإقتران ، ومنها يكون الافتراق ، الى اجتماعها في آخر الزمان . فإن قال قائل إذا كانت المدة لمن بلغ الى العذاب الأكبر المدة المذكورة . والحال حقيقة على هذه الصورة ، فإن الداخل اليها في آخر الكور في نصفه لا يستوفي مدة اللبث فيها ، وينقص العذاب من هذه العدة المحتومة عليها . فنقول أن الآية المقدم ذكرها قد أوجبت أن الخلق يعود كما بدأه على ما شرحناه ، أوليس الذي خلق السماوات ، والأرض ، بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى . . . وهو الخلاق العليم . وأوجب الله عزّ وجلّ بقاء المعذبين ببقاء السماء والأرض ، وأوجب لأهل الجنة كذلك . فثبت بقاء الملك بدوام المالك ، وقضى أن ما دون وجهه هالك ، اذ لا بد من العبور ، وتنقل المسالك .

واعلم أن الداخلين اليها بالجملة تساوي حالهم التي أوجب لحلولها ، وساقهم الى ورودها ، ونزولها ، فكذلك خروجهم منها يتساوى فيه عليهم الحال ، ولا يتمايز بهم الخروج عنها والزوال ، والدليل على ذلك أن العالم بأسره وكليته معلول عالم الابداع ، فهو باق على حالته ببقاء علته ، فإن بدلت موضوعات أجزائه فهو بعلته يلزم بأعراضه محل بقائه ، وحراسة حوياته ، وغير هذا ، فلا يكون في مقتضى الحكمة أن بعض الهابط يختص بأنه خلص برحمة خالقه ، وصفي وعاد بعد الكثافة بالتدريج الى عالم الصفاء . والبعض منه ، وهو الباقي عند القيامة الكبرى ، يختصه موجده بالترك له والامهال ، أو يقضي بفناء ذاته ، والزوال . كلا لن تبطل ما كان من الموجودات قدرة القادر الحكيم ، ولا

---

(1) سورة81 آية1، 2، 3

(2) سورة21 آية 104

يخص البعض بالرحمة ويسخط على البعض فيهمله الرحيم ، وعلى هذا يتداخل الأدوار وتستوفي مدة الاكوار ، باختلاف الليل والنهار لإشتباك الدوائر . فمن ثلثي الأول يكمل (42) الاقامة الى ثلثي الآخر فيكون مثاله أن النصف بالنصف يفيء ، والربع بالربع وما دون ذلك ، وما فوق ذلك حتى يكون للسنة بالسنة ، والشهر بالشهر ، والاسبوع بالاسبوع ، واليوم باليوم ، والساعة بالساعة ، هكذا على الدوام مدار الليالي والأيام ، ويستمر على ذلك الهابط والصاعد ، وفي كل يوم يختص قوم بالناحس ، وقوم بالمساعد ، ويصح الخبر بما يكون في الجميع من المعتقين ، وما يفك من أسرى الجحيم الموثقين . فيرتقي الى حقيقة الرحمة في جمل المرتقين لأن العالم بموجودات العالم دائم الاتصال بغير نفاد من المدير العادل ، ولا زوال ؛ وإلاّ فأين يذهب بالوجود الجسمي المتكثف مع كونه في أصل وجوده عن العالم القدسي المتلطف . فالدوائر بالحكمة أبداً مستديرة ، وطرق الجور ممتنعة بالعدل والإحسان ، وآيات الكفر ممحوة بآيات الايمان ، وأفضل ما يكون من الحسنات العناية باحياء الأموات ، وقد ضرب المثل أن العالم كالشخص البشري ، وسجين معدته ، وان الواصل اليها كالغذاء ، فسبحان من هذه قدرته ، فإذا وفت الحال بهم تلك المدة ، وقضت لهم رحمة العادل الحكيم بمفارقة الشدة ، وفتحت لهم أبواب المغفرة المنسدّة ، فصعد وأمن منافذ الأربعة ، وخلصوا من الضيق الىٰ السعة ، وقطعوا بالكون رتبة المعدنية ، وارتقوا الى النباتية النامية ، وصعدوا بدرج الحيوان الحسية ، فقوربوا من الرتبة العلية ، والنفس الناطقة القدسية ، فإن تابوا وأنابوا ، ولدعاة أئمة الحق أجابوا ، فطلع أسعادهم أصابوا ، وأن أبوا وخانوا ، وشكوا بهم وارتابوا ، كانوا قوماً بوراً ، ودعوا بالمستقبل ثبورا ، وخوطبوا بما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً ﴾(1) نعوذ بالله وبأوليائه من زلة القدم ، والفعل الموجب للندم ، قال الله عزّ وجلّ في وصف ما تقدم : ﴿ وبرّزت الجحيم للغاوين ﴾(2) يعني العذاب الأكبر يوم يقوم القائم [عليه السلام] ، يوم الدين . ﴿ وقيل لهم أينما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ﴾(3) يعني أن من أطعتم من أئمة الضلال دون أئمة الحق الذين هم محدود الائه والظلال هل ينصرونكم أو ينتصرون(43) . أي عدمتم أنتم وهويتم الى المكان السحيق ، واتباع أئمة الحق منصورون ، بأئمتهم المنتصرون . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مولاكم وهو خير الناصرين ﴾(1) فكبكبوا فيها هم والغاوون ، وجنود ابليس أجمعون ، يعني بقوله الأئمة الذين هم الأبالسة وبالغاوين الشياطين ، ووزرائهم ، وجنود ابليس ، يعني اتباعهم الذين هم شاكلوهم واتبعوهم . قالوا وهم فيها يختصمون : تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ، يقولون ضلالنا

(1) سورة 57 آية 13
(2) سورة 26 آية 91
(3) سورة 26 آية 92, 93
(4) سورة 3 آية 150

مبين بمساواة خليفة رب العالمين ، بالغاصبين ، والظالمين ، وما أضلنا الآ المجرمون ، يعنون الناصبين مقامات الأئمة الهادين . ﴿ فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم ﴾[1] فنعوا الشفاعة بخروجهم عن الطاعة ، فاعترفوا بعدم الشافع ، والصديق الحميم النافع ، ﴿ فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ﴾[2] يقولون لو يحصل لنا كرة آمناً وصدقنا واتبعنا ، وهيهات منهم المتمني بما لا يرام ، وقد خرجوا من قضية الإمكان الى قضية الوجوب والدوام ، نسأل الله العصمة والسلام ، والثبات على الدين والاستقامة .

واعلم أيها الأخ أني قد أوضحت في هذه الرسالة ما يجب كتمانه ، وشرحت ما لم يكن يتحمل الوقت اعلانه ، ثقة مني بديانتك ، واتكالاً على أمانتك . فالله الله بصيانة ذلك وكتمانه ، وحفظه حتى يأتي وقت ظهوره واعلانه ، وأنا آخذ عليك عهد الله وميثاقه الذي أخذه على ملائكته المقربين ، وأنبيائه المرسلين ، والأوصياء الهادين ، والأئمة الميامين ، وإلا برأت منهم أجمعين ، الا أبديت ذلك الى حد بغير فسح مالك الأمر من حدود الدين ، فاحفظه يحفظك الله ، وصنه يصنك الله . فلولا ايثاري هدايتك وتيممي افادتك ، لتقوم بالهداية وتنقذ من الغواية ، وتنوب أخاك فيما هو فيه ، وتقوم مقامه وتكيفه ، لما سطرت حرفاً واحداً من ذلك . والحمد لله محقق آمال اتباع أوليائه ، ومؤمنهم بسواهم بوساطة أصفيائه ، وأشهد ان لا إله الا من العجز عن إدراكه حقيقة الادراك ، والتعمد لسلوك طريق النفي تعطيل ، وهلاك ، والتمثيل له تشبيه (44) واشراك ، وصلى الله على خير مبعوث من الرسل ، وأشرف من شرع خير الشرائع والملل ، والداعي الى خير العمل ، وعلى وصيه صاحب الفضل الأجل ، والفارس البطل ، صاحب تأويل الكتاب المنزل ، وعلى الأئمة من ذريته خير من أحرم ، وأحل ، وأفضل ، من كبّر ، وهلّل ، وعلى وارث المقام الأفضل ، وحائز الشرف الأكمل ، الامام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين ، وعلى الأئمة من ذريته الى يوم الدين ، وسلم عليهم أجمعين ، حسبنا الله ، ونعم الوكيل .

---

(1) سورة 26 آية 100, 101

(2) سورة 26 آية 102

معرفة النفس الناطقة والعلوم الغامضة.

تأليف
سيدنا الداعي الشيخ حسن المعدل

(1) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منّ على أوليائه ، بصورة الوجود ، وحضهم بمعرفة الامام الحاضر الموجود ، وصلى الله على سيدنا محمد الغفور الودود ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صاحب اليوم الموعود ، وعلى السبطين الشهيدين وعلى ذريتهما الحجة على كل الوجود ، وعلى الامام علي ابن الحسين الطاهر المحمود ، وعلى الامام محمد الباقر صاحب النور الموقود ، وعلى الإمام جعفر الصادق صاحب السر الموجود ، وعلى الإمام اسماعيل بن جعفر صاحب المقام المورود ، وعلى الذرية الطيبة الطاهرة الى اليوم المشهود ، الذي عدته عند الله خمسين ألف عام ، وعلى حجته القائم الذي امتدت منه سائر الدعاة والحدود ، وعلى ولي (2) أمرنا من أخصنا بعهده المعهود المقصود، وأيد أهل طاعته بالايمان من الاخوان وسائر الحدود ، أنه الغفور الودود .

والحمد لله الأول قبل كل شيء ، أبدعه من خلقه حين لم يكن شيئاً ، والآخر الذي أبعد من كل شيء ، فقد أحاط بقدرة جبرأوته على كل شيء ، نوحده لذاته الوحدانية ، ونفرده لذاته الفردانية ، سبحانه وتعالى ليس له نظير ولا ضد ولا وزير ، ولا مشارك في التصنوير ولا معين في التدبير ، ليس له خداً ، ولا معه نداً ، أبدع المبدعات ، واخترع المخترعات ، فاتقن المصنوعات في بواطن سر مكنون الكائنات قبل اظهارها من العدم الى الوجود ، هو الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، سبحانه وتعالى في عظمة شأنه ، وقوة برهانه ، وهيبة سلطانه الجمال الأليق ، والجلال الأسبق ، والكمال المطلق ، القديم المنزه عن صفات خلقه ، المتفرد بجبرأوت عزه ، فلما نظر في جلال(1) عظمته ، وتفكر في جبرأوت قدرته ، جال في سره ، وعظمت فكرته ، فأراد أن يظهر من غوامض علمه ، ومكنون سره ، سراً يشار به الى توحيده ، وجلال تفريده ، ليعبد حقاً ، وينزه صدقاً ، فحينئذ يظهر(2) الرب رباً ، والعبد عبداً ، ويشع القديم فيضاً ، من عظمة وجهه الكريم ، ونوره العظيم . فيتصل التأييد من العلة الأولى التي أيدها بأنواره الملكوتية ، وقدرته الربانية . فأبدع بأمره الأعظم ، وسره الأتم ، نوراً من فيض جلاله ، وقبساً من عظمته(3) سماه عقلاً ، فعقلت في ذاته جميع الأشياء ، وأظهر في باطن سره وغوامض

---

(1) جلال : دلال في ل

(2) يظهر : يبهر في م

علمه ، وجلال قدرته ، ما دار بفكره ، من مظاهر الكائنـات ، وغرائـب المبدعـات ، وعجائب المصنوعات ، ولقبه بروح القدس ، فشملته العناية الالهية ، والقدرة الربانية ، بعد أن قضى فيها مدة مديدة ، وأياماً سعيدة ، ظهر من العدم الى الوجود ، متمثلاً بسر الأمر العظيم ، والنور القويم ، الكائن بين الكاف والنون المشتمل على ما كان وسيكون .

هذه أيها الأخ البار الرحيم ، لمع من رسالة النفس الناطقة ، ذات الأنوار البارقة ، والقوة الخارقة ، والأنوار المشرقة ، والعجائب الفائقة ، والهداية اللائقـة ، فأعرفهـا أيهـا الأخ البار ، تعيش مع الأطهار الأخيار ، والصلاة والسلام على الأئمة الأبرار .

حسن المعدل

(4) المبدع الأول

لما جاء ذلك النور الأعظم ، والسر الأتم ، الذي هو قبس النور ، المظهر السر الى اللوح المسطور الذي دعاه الباري تبارك وتعالى المبدع الأول ، والتام الأكمل ، وسمته الفلاسفة عقلاً ، وسماه الرسول ﷺ القلم ، الذي هو العقل الفعال ، فاسكنه الباري تبارك وتعالى في أقرب الخلق إليه ، وجعل الاتكال في كافة الأمور عليه ، فأصبح وجه الله الأعظم ، ونوره الأتم . واخترع من ذلك النور العظيم الثاني ، نوراً ثالثاً سماه النفس الكلية ، والروح الحقيقية فقبلت بالفيض من علتها ، أثار ما تتلقاه من النور العظيم الأول ، فصارت لوحاً ساذجاً ، وقبلت النفوس الالهية ، والحكمة الربانية ، فلما سرى في سرها ذلك الفيض العظيم ، والسر القويم ، اكتملت صورتها الشريفة ، فتناهت في أسرارها اللطيفة ، فاختلج في سرها ، وجال في بواطن فكرها ، وتحرك في جولان أمرها ، أن تظهر بنورها الإلهي ، وسرها الغير متناهي ما يقبل ذلك الفيض العظيم والنور الكريم ، فينقلب المفعول فاعلاً ، ويصير(1) السر سارياً ، فأظهرت بقوة جوهرها ، وصفاء فكرتها نوراً يقبل افاضتها الالهية ، وعنايتها الربانية ، وتأييد قواها العقلية .

وأظهرت الهيولي الأولى القابلة لما يلقي اليها من النور الثالث البسيط . الممتد من الجوهر الدراك المحيط، فقبلت النفس آثارها وما فاضت عليها من بواطن أسرارها ، وصارت الهيولى بذلك جسماً مطلقاً ، وتعلقت بها قوة النفس البارقة ذات النور الساطع ، والمظهر الرابع القابلة لما يلقي اليها من افاضات النفس الكلية ، التي هي مواد العقل المستمد من نور العزة الإلهية(5) والقدرة الربانية .

فلما قبلت ذلك الفيض الشريف ، ومواد السر اللطيف ، وصلت(2) الى حد كمالها ونور أفعالها ، فجال في سرها النور الرابع ، واختلج في فكرها القاطع ، من سر الافاضات المشتملة على الأنوار الفائضة اليها ، فسطع منها نوراً خامساً ، عرف بالطبيعة الأولى ، والافاضة المفضلة التي نقشت في ذاتها سائر صور الكائنات ، وصورت في ذاتها القوالب المشتملة على العوالم الثلاثة من النبات والحيوان والانسان . ومنها ظهور الأشياء من العدم الى الوجود ، فأول افاضتها مما استمدته من قوى روحانياتها الكائنة في تراكيب الأفلاك

(1) ويصير : وصار في ل

(2) وصلت : سقطت في م

العالية ، والكواكب السامية والابراج الاثنا عشر ، فلما تكاملت الاباء والأمهات ، ودارت حركات الأفلاك واستمدت من قوى الأفلاك ، فدخلت فيها القوة الالهية المحركة لها الحركات ، فدار الفلك المحيط دوزة القدرة الإلهية ، بالحكمة الأزلية فظهرت عنه كرة النار ، مجمع الحرارة واليبوسة ، أشرف الأمهات وأعلى الاستقصآت. ثم دارت الدورة الثانية ، فظهرت كرة الهواء الخفيف اللطيف ذات الحرارة والرطوبة ، ثاني الأمهات ، ومنبع النفس والحياة ، السائرة قوتها في سائر الجهات . ثم دارت الدورة الثالثة فأظهرت الجسد السيال الكائن المآل ، كرة الماء المجهول منه كل شيء حي ، جامع البرودة والرطوبة ثالث الأمهات . محيي الانسان والحيوان ، والنبات . ثم دارت الدورة الرابعة فظهرت كرة الأرض الثقيلة المصورة فيها كل صورة(6) وهي أصل قوى الأجسام ، والمركز الثابت للاجرام ، ذات الأصل الشريف ، والعنصر الثابت الكثيف ، فنشأت فوقها الأجسام ، وظهرت عنها المزاجات الأربعة التي هي : الحرارة ، والرطوبة ، والبرودة ، والنيبوسة . ونشأت عنها الاستقصاآت الأربعة التي هي : الصفراء ، والسوداء ، والبلغم ، والدم . وعندما توافقت الآباء والأمهات ، امتزجت العناصر والاستقصآت ، فاختلطت الحرارة والبرودة ، واعتدلت القواعد والامتزاجات ، وحسنت التراكيب[1] والاختلاطات ، فسرت فيها قوى روحانيات الكائنات وأشرقت السعود والقرانات ، فأمطرت السماء مطراً نظير المنى ، فتلقت الأرض ذلك الفيض فظهرت من باطنها أجسام سائر الحيوانات ، والنباتات ، والانسان . فكانت صورة الانسان آخر المطبوعات ، فظهرت بأشرف الصفات ، وأصبحت أشرف وأجل المجموعات ، من سائر وجود الكائنات ، وهي الصورة الكاملة القائمة المنتصبة ، بين الجنة والنار ومحل العقول والنفوس والأنوار . فتسمى العالم الصغير الذي حوى[2] معاني العالم الكبير ، ففيها سر الله الأعظم ، ونوره الأتم ، وهي صراط الله الممدود ونوره الموقود ، وحوضه المورود ، وصندوق علمه ، وخزانة سره ، الذي لا يصل اليه ، ولا يطلع بسعيه الجميل عليه ، إلاّ من وفقه الله للرشاد ، وعرفته العقول والنفوس والأجساد ، فكان مثل صورته الانسانية كمثل الدنيا الحاوية للسماء والأرض والطول والعمق والعرض ، والأوامر الحقيقية ، والسنة والفرض وصورة الأديان والشرائع التي حوت الشريعة والطريقة ، والعلم والمعرفة والحقيقة ، والعقول(7) والنفوس ، والأفلاك والطبائع ، فكانت مثل الأفلاك العالية ، والكواكب السامية كمثل الرأس وما حوى ، والعقل وما طوى ، والقلب وما وعى ، وفيها أسرار مخفية مستورة بمنزلة الرب من المربوب ، والعبد من المعبود ، وفيها ما يقابل الأفلاك السبعة وما فيها ، والأراضي السبع

(1) التراكيب : المراكب في ل
(2) حوى : حلل في م

وما عليها ، والبحار السبعة وما فيها ، وما حوت من الجواهر والمعادن ، والعرش والكرسي وما تعالى وتدانا ، وما كشف وما لطف ، جميع ذلك ينحصر في الصورة الكاملة ، والنعمة الشاملة ، ولأجل ذلك قال رسول الله ﷺ (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه) فصارت المعرفة دالة على توحيد الله سبحانه وتعالى . وجعل الحواس الخمسة لصيد المعارف العلمية ، اذ بهم حملة العرش ذي المكان الرفيع . وسادسهم المزاج الذي به اعتدلت جميع القوى ، وقوائمه الطبائع الأربعة ، ذلك تقدير العزيز العليم ، ومغلهم في الأفلاك السبعة ، طوالعها وهم : زحل والمشتري والمريخ وعطارد والشمس والقمر . وهم مثل العرش في العالم الأعلى . ومثله في الصورة الانسانية ، العقل الدارك المحيط بسائر تراكيب الانسان . ومثل الكرسي التي وسع السموات والأرض ، ولها في الصورة نظير وهي النفس الكلية التي أحاطت بفكرها وعلوم السماوات والأرض .

ولأجل ذلك قال الله تعالى في كتابه المبين ، وأخبر به رسوله الصادق الأمين : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ﴾(1) والجبال هم(8) رؤساء المؤمنين ، وأئمة المحقين تراهم معك جلوس ، فعلومهم تبلغ غيب السموات والأرض والطول والعمق والعرض ، وفي الدنيا أيضاً روايات وهي الجبال ولها في الصورة الانسانية نظير وهي العظام الكامنة في الجسد بالقدرة الالهية وكامن فيها أيضاً من الروح والجواهر المركبة التي فيها قوام الصورة المكونة من الطبائع الأربعة التي هي : النار ، والهواء ، والماء والأرض . وفي الدنيا أيضاً بحار سبعة كامن فيها من الجواهر ، والمعادن الشريفة اللطيفة كالتي تدخرها الملوك في خزائنها ليفخروا بها على من هو أدنى منهم قدراً ، ولهم في الصورة نظير وهي الكامنة في الجسد المبني بالحكمة الالهية ، وفيها مجاري الدم المتحدة فيه الحرارة الغريزية التي تخدم النفس النامية التي مقرها في الكبد والطحال والرئة ، التي تخدم الروح الفلكية الحسية التي مقرها في القلب وتمتد فوقها من الناطقة القدسية المشرقة على سائر الجسد كاشراق الشمس المضيئة على ضياء فلك الزهرة ، ويتصل الفيض الى عطارد ويضيء الى فلك القمر الى عالم الكون والفساد ويتصل ذلك إلى النفس الناطقة من مواد النفس الكلية(2) المتصلة بها من العقل بتأييد الباري تبارك وتعالى ليتصل ذلك الفيض من الأعلى بأدنى(9) لترتبط الأشياء بعضها ببعض كارتباط القدرة الالهية ، والحكمة الربانية ، وفي الصورة أيضاً سبعة قوى شريفة فاضلة روحانية ، وهي القوة العاقلة ، والقوة المفكرة ، والقوة الذاكرة ، والقوة المتخيلة ، والقوة المميزة ، والقوة الحافظة ، والقوة الناطقة ، ولهم في الدنيا نظير وهم السبعة النطقاء ، وهم : آدم ، نوح ، ابراهيم ،

---

(1) سورة27 آية88

(2) الكلية : سقطت في م

موسى ، عيسى ، محمد ، والقائم صلوات الله عليهم أجمعين . وفي الصورة أيضاً سبعة قوى لطيفة حفيفة روحانية وهي : القوة الجاذبة ، والماسكة ، والدافعة ، والمصورة ، والهاضمة ، والغاذية ، والنامية ، ولها في الدنيا نظير وهم السبعة المستخلفة بعد النطقاء السبعة الذين هم في كل عصر وزمان فهم واحد يدبر الملك والسياسة كما تدبر هذه الأعضاء الباطنة للجسد ، وفي الدنيا أيضاً زهاد وعباد يمدون رؤساء ذلك الزمان بالقوة مثل الرجلين الذين يسعون الى بيوت العبادة ويستمدون من العقل ، وتساعدهم في ذلك القوة القابلة . وفي الدنيا أيضاً أصحاب البصائر الناشرون الرحمة ، وامتدادهم من العقول المستخلفة ، ولهما في الصورة نظير العينان الذي امتدادهم من العقل . وتساعدهم على ذلك القوة المتخلية التي مسكنها في مقدم الدماغ . وفي الدنيا أيضاً أصحاب الأخبار المتكلمون في الكتب النبوية والأخبار السماوية الذين امتدادهم من الأئمة المهديون ولهم في الصورة نظير وهي القوة السامعة التي مسكنها في مقدم الدماغ ذلك بقوة السمع وتساعدها(1) على ذلك القوة الذاكرة التي مسكنها فوق القوة المتخلية التي مسكنها في مقدم الدماغ ، وفي الدنيا أيضاً أصحاب علم المنطق والترجمة المفيدة الذين امتدادهم من التابعين ولهم في الصورة نظير اللسان ، الذي امتداده من العقل وتساعده على ذلك القوة الناطقة التي مقرها في القلب الصنوبري ، وفي الدنيا أيضاً أصحاب (10) التجارب والحكمة والفلسفة الذين امتدادهم من الحكمة الالهية التي شعت من الملأ الأعلى ، ولهم في الصورة نظير المنخرين الذين امتدادهم من القوة الشامة التي هي مجاورة للقوة العاقلة الذي مسكنها في أعلى الدماغ ، وفي الدنيا أيضاً أصحاب العلم والخبرة والكهانة والدراسة الذين امتدادهم من تابع التابعين ، ولهم في الصورة(2) نظير المزاج الذي به اعتدال جميع القوى وامتدادهم من القوة القابلة وتساعدهم على ذلك القوة الحافظة التي مسكنها في مؤخر الدماغ . فهذه معرفة ما يحتاج الانسان اليه في هذه الدنيا حتى يصبح انساناً كاملاً يستوجب بها حسن المنقلب الى الآخرة التي هي دار البقاء ومقر الروحانيين ، ومكان النورانيين ، ومقر أنوار النبيين في أعلى عليين . فإذا عرف الانسان ذلك السر الشريف ، والرمز اللطيف ، والمعنى الخفيف ، النظيف ، فرتب هذه القواعد المبنية بالحكمة الالهية في أماكنها اللائقة بها ، وعرف عاليها وسافلها ، وفرق بين كثيفها ولطيفها ، بفرق يصح بالعقل نظامه ، ويثبت بالفكر قيامه ؛ لذا وجب على الطالب معرفته ، ومن تيسر له معرفة ذلك تمكن من معرفة الله حق المعرفة ، فعبده حق عبادة ، وبذلك يكون قد أطاع الله في قوله للأئمة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدوني(3) ما أريد منهم من رزق وما أريد

(1) تساعدها : ترافدها في ل

(2) الصورة : التصورات في م

(3) سورة 51 آية 56

أن يطعموني ، فأوجب العبادة سبحانه وتعالى لنفسه ، دون خلقه ، فإذا عرف الانسان الخالق جلّ اسمه بحقيقة المعرفة فقد عرف الله عزّ وجلّ حق معرفته ، وعبده حق عبادته ، ولم يحصل له ذلك الا بعد معرفة نفسه ، واعتبار ما وضعناه ، ووقوفه على قوانين هذه الرسالة الموسومة بمعرفة النفس ، وما أضمنته من الأسرار الخفية الكامنة فيها . وفقك الله أيها الأخ وايانا وجميع أخواننا المؤمنين الى نيل ذلك(11) بمنته وكرمه ورحمته . فاذا عرف الانسان كنه ما ألفناه ، وتفصيل ما شرحناه أصبح انسانا كاملاً فاضلاً . قد خرج من قيد العبودية الى حد الاطلاق ليطير في فضاء ملكوت الأفلاك سابحاً في بحر القدرة ، وحجاب المشيئة ، والله مطلع عليه إطلاعة إلهية ليبقى متصرفاً في العالم الذي دونه في المرتبة ، كتصرف الملك في أهل مملكته ، لا تخفى عليه خافية من أعمال فهم أدنى منه مرتبة . فتدبر أيها الأخ البار في هذه الأمور[1] اللطيفة ، والمعاني الخفيفة ، لعلك تفوز مع الفائزين في الآخرة من المؤمنين الموحدين والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

كان تمامها ليلة السبت في 24 رجب سنة 1204 من هجرة سيدنا محمد كتبها الشيخ سليمان بن الشيخ قاسم بن محمود .

« تمت »

(١) الأمور : المامور في م.

رسالة

« مبتدأ العوالم ، ومبدأ دور الستر والتقية »

تأليف

سيدنا الداعي الشيخ حسن المعدل

(13) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالذات قبل الذوات ، المتوحد بالصفات ، عن كل الصفات ، عالم الخفيات ورب المعنويات ، وروح الكائنات ، وسر الموجودات ، المتأنس بالحجاب ، المنزه عن الألقاب ، المخاطب أولي الألباب ، بلا وساطة ولا حجاب ، الظاهر بالعوالم ، الخفي المعالم ، القيوم القائم ، المشرق بالافاضات ، المكمل الصناعات ، المنور الابداعات ، الرب القديم ، والفيض العميم ، والسر العظيم ، المجرد عن الوجود ، الخفي العهود ، المنزه المعبود ، القائم باللطائف ، المتوحد بالمعارف ، الناظر من المشارق ، الفائض على المغارب ، الرب الفتاح ، باعث الأرواح ، ومكمل الأفراح ، صاحب البواهر ، وسر السرائر ، ومدبر الأوامر ، الجوهر المصون ، والعلم المخزون ، العالم بما كان قبل أن يكون ، ظهرت كلمته العلية ، والحكمة الأزلية ، وحقيقة المشيئة ، الجوهرة المصونة ، والدرر المكنونة ، والحكمة المخزونة ، الجود الإلهي ، والفيض الغير متناهي ، عن الأمر العظيم ، والنور القديم ، والصراط المستقيم ، والحجة على جميع المخلوقين ، من أهل السموات والأرض ، أنه النور القويم ، خالق الفيض العظيم . أعرفه أيها الأخ البار الرحيم ، يكون مثواك في جنات النعيم ، خالداً فيها أبدا الى يوم الدين ، والصلاة والسلام على خير العالمين ، محمد المصطفى سيد المرسلين آمين .

حسن المعدل

(14) أول من يُعرف بالعقول ... ومظهر الفاضل والمفضولِ
وهو صراط البرزخ العظيم ... يوحد بين النار والنعيمِ
مكمل الاشباح بالمدادِ ... وهو طريقُ النفس للمعادِ
سرت به العقول والنفوسُ ... وهو محلاً ملك قدوسُ
ومنه أشراق المواد الجارية ... ظاهرة عن الذوات العارية
ممزوجة بقوة التقدير ... موجودة من حكمة القدير
والجسم في اطلاقه محيط ... مكمل جوهرهُ بسيطُ
يظهر عنه الوصيُ يا فطينُ ... تلقاه فيه روحهُ الأمين
يسري به الى الدليل الهادي ... فيظهر النعمة للعباد

ثم انتشرت البدائع ، واكتملت الصنائع ، وسرت المواد ، واتصلت بعالم الاجرام الذي استقامت به الأشكال ، بقوة ما فاض اليه من المادة الالهية ، فتحركت العوالم . ودارت أفلاكها وأجرامها ، وأحاطت بالقوى السارية أعلامها ، فظهرت الطبيعة الخامسة ، وهي الفلك المحيط ، فتحرك حركة دورية علوية ، فاستدارت [1] سائر المصنوعات نحو عالم الاجرام ، فأشرقت منه الطوالع السبعة ، التي ظهرت بقوة ابداع الكلمة ، وفاضت عليها النفس الكلية فيضاً معنوياً ، فتزينت بحلل ملونة المعاني ، وترادفت أنوارها الى أسفل الوجود ، فترتبت العوالم الحسية بالقوة النفسانية .

والفلك المحيط بالعوالم ... أصل. وجود الاستقصى القائم
وهو الذي دارت به الطوالع ... فصار منه كل نور لامع
واختصت النفس على الوجود ... بذا المقام الفاضل المحمود
اذ لا سواه رائد قديم ... يحرك الأفلاك يا فهيم
نسبح الاشباح في قواه ... بقدرة الرب الذي أبداه
منه تعد سائر الأفلاك ... دائرة بقوة الاملاك
وهل تجُد النفس عند السبق ... حين تجلت عند بدء الخلق
(15) وكلما تم وما يعاد ... الكل في وجوده يجُار

ثم أن فلك المحيط دار دورة معنوية فانتظمت [2] الأفلاك في جوفه وبقي محافظ على المدد الكلي ، فتصورت الطوالع بالأفلاك السبعة كهيئة الأرواح في الأجساد وأشرقت أنوارها تبغي تدبير العالم السفلي ، بمعاونة الروحانيات ، والمواد الجارية ، وهي القوى النفسانية الجارية بأمر الرب ، المفيض الجود على سائر الوجود .

---

(1) فاستدارت : دورت في ب (2) فانتظمت : نظمت في أ .

وأشرقت طوالع الزمانِ ... تسري بها الأفلاك بالبيان
وأيدتها قوة العزيز ... حين بدت بنور ذي البُروز
فاضت النفس عليها النورَ ... فأشرقت غايتها سروراً
ورتبت أجرامها اللطيفة ... بصورة كاملة شريفة
لطائف الرب الجليل القادر ... ليس له من أول وآخر
تلوح في سرائر المكان ... وتُظهر الحكمة بالزمان
طوالع بها الوجود الأول ... مكمل بحكمة الرب العلي
تدور بالأفلاك والأجرام ... بديعة دقيقة النظام
اكتملت سعودها بالنور ... واتصلت بمرصد الظهور
ورتبت عناصر الأميّة ... وأيدتها قوة المشيئة
وجاء بالمعدن والنباتي ... عنهم مُشيئاً سائر الهيئات
ورتب الحيوان والانسان ... بقوة الفيض عظيماً شان

ثم أن العقل الكلي أظهر ترتيب النظام بالقوة الالهية ، والحكمة الأزلية ، ودار دورة الكمال مؤيداً بفيضه الأمري ، فامتد الى أفضل الأحوال ، حكمة الوجود الخفية ، فأصبح السر الباهر ، والعلم الزاهر والترجمان الفاضل ، اللطيف المحرك للعوالم ، بدفعات الفيض الجاري من الحكمة الأزلية ، والارادة العلية ، وهذا هو السر المصون التي عجزت عن معرفته الأفكار ، وانحسرت عنه الأبصار ، وهو الذي ترتاح اليه الأرواح ، وتخشع له القلوب ، وتهتز له النفوس لهذا أصبح (16) المستيقظ والمتبصر ينظر اليه بعين الفكر ، ليعب من نوره الصافي السرمدي .

وصورة الرحمن ابداعاً بدت ... عن حكمة الرب هدى فاستوحدت
إذ قام بالعالم بالجواهر ... على سبيل الجمع للسرائر
لأن هذا مقطع جليلُ ... وبرزخ البحرين والسبيلُ
متصل النور العلي الساري ... من ذلك الفيض الخفي الجاري
دهر دهور الواحد الرحمنِ ... وجوده في سائر الزمانِ
والكلُّ منه ظاهر موجودُ ... والنفس للجوهر قد تعود
وظاهراً في رونق الخلائق ... وباطن في وحدة الخلائق
في كل شيء ظلهُ يرودُ ... وفعله قام به الوجودُ
قد خالف الألوان في الهياكل ... وغيّر الإطعام في المآكل
وحرك الاشباح بالأرواح ... وطاب وجه الأرض بالأرباح
أحيا رميم الميت بالأنواء ... وفيض أجرُم بالاشياء

ثم أن النفس وهي القدر الظاهر عن هذا الصراط الروحاني ، والفيض الرباني ، لاحت بوارقها من تحت أذيال لطائف الاجرام ، ببدائع القوة الجبرأوتية والحكمة الملكوتية ، فاتصلت بوجود الاشباح العالية ، والصور الشفافة الباقية ، فحركت النفس ما دونها ، ففاضت أمواج مدارها متتابعة بعضها إثر بعض حتى انتهت الى عالم الانسان ، فظهرت القوة الالهية بسر صاحب الزمان ، واندرجت معالم الشرف بأكمام الحلة الألفية ، والصور الأدمية ، التي هي غرض الباري ، فحصل فيها التمام لأنها الهيكل الصغير الذي حوى سر معاني العالم الكبير ، وهي نسخة العالم بأسره ، ظهر بفيض المواد الالهية ، ليحمد أسرار الربوبية ، فأشرق عليه وجود العقل الكلي ، وسرت فيه روح الأمر ، فأشرقت النفس الى وجود العالم السفلي ، بالحكمة الخفية ، والأسرار الالهية فثبتت قواها من أفق المركز الى أسفل الوجود .

وفاضت النفس الى العوالم ... بقدرة الرب العلي العالم
(17) وأيدت أشخاص نور الفضل ... بفيض سر النفس عند الوصل
وهي إذاً وجودها قديم ... أوجدها المهيمن العليم
عن كنه سر ذاته العلي ... مختصة بعزمه القوي
كلية المواد والادراك ... مشرقة بسائر الأفلاك
تدبر العالم بالأحكام ... وتنقل النفس الى المقام
وهي حياة العالم الجسماني ... تحرك الأشخاص بالبرهان

ثم أن الهيولى الشفافة[1] اللطيفة ، ظهرت عن هذه النفس الجليلة المغمورة بحكم سر الأمر الكلي فأشرقت بالعوالم ، وتصورت منها أشكال العالم الجرماني كل شخص بحسب[2] قبوله للصفات الذاتية والحركات العلوية . فعند ذلك ترتبت الصور الشفافة بما ورد اليها من محاسن الأشكال القدسية والصور الروحانية ، فدارت ترتيب الهيولي بالعالمين الجرماني والجسماني وشكلت أوصافها بحكم السر الجاري على غيب البواطن القدسية ، والحكمة الأزلية :

ترتيب العوالم السفلية ... قايمة بقوة المشيّة
لها من الأشباح بالتصوير ... عوالم في سرها القدير
تلوح منها نغمات الفيض ... متصلاً بعالم الحضيض
لها من الأنوار بالظهور ... أشعة تشرق بالأمور
تكمل الأشباح بالمواد ... لتجري الحكمة بالعباد
تفرقت بسائر الأشكال ... من سافل كان لها أو عال

---

(1) الشفافة : شفافي في آ
(2) بحسب : سقطت في ب

ثم لاحظت(1) الطبيعة الخامسة بنور العقل ، ودارت بمدار الوصل ، محاسن الشكل ، وهي لمعات المادة القدسية ، بالصورة البشرية ، والأجسام الانسانية ، المتصلة بالملك القديم ، والفضل العميم ، السر القائم بأفضل المكارم ، والطبيعة القدسية أصل تصاوير اللمع الدينية ، والمواد الخفية ، ومقر سر النقطة الوجودية ، ولما دارت تحرك الصانع الأزلي فظهرت العناية الربانية ، بعالم(2) الانسان . وتجملت الأشباح بالصور الملكوتية ، واكتملت معاني الورود الساري بالوجود ، وظهرت الطبيعة الخامسة بحكم الكيان ، وعلم البيان(18) الى عالم الانسان ، ومحل الأركان ، ومظاهر الزمان نسخة كل أوان .

وأشرقت طبيعة الحقائق موصولة بكل شخص فائق
لأنها خامسة الحدود تحرك الأفلاك بالوجود
ونورها من غامض الأسرار لأنه أمر القديم الباري
يمتد بالعوالم الشريفة وسائر بالسور اللطيفة
وعنه تنمو أنفس الوجود وتظهر الأشكال بالورود
أشرق في السابق تم التالي والجد والفتح مع الخيالي
لأنه نورُ تصاوير البقاء في سائر الأشباح ذاتا مطلقا
فحرك الوجود(3) بالاشراق وهو الفريد السرمدي الباقي
لأن سرَّ الملك القدوس لما بدا بالسر بالنفوس
أشرق بالجسم على الاطلاق ولاح منه النور بالآفاق
ودار بالأفلاك والبروج يلمع في مدارج العروج
وأبرقت من سره الطوالع على مدار الكون فيض واسع
واتصلت أجسامها اللطائف بكل أركان الشعاع الشارف

فعند ذلك اتصلت المادة الالهية ، والقوة القدسية ، بالنار العنالية ، أول الاستقصاآت ، وأعلى الامهات ، المتولد عنها المعدن والنبات والحيوان ، وكان قد أشرق الشكل الناري بقوة العقل الكلي لأنه ألطف الأركان ، وباب البوارق اللامعة من حضرة الديان ، فلما فاض هذا النور الالهي والجوهر العقلي ، أشرق وتلألأ فنظرت اليه اليبوسة الأصلية فصار ناراً عالية ، تلمع بسنا بروق القوة العقلية ، والأشعة النفسانية ، فلان طرفها الأدنى وظهر عنها الهواء الخفيف الحار ، الرطب ، الظاهر عن خفقات الهيولى بالعزائم النفسانية ، وقوة اشراق سرائر الربوبية ، ومادة النفس الكلية ، وهاج ذلك العنصر الذي هو الهواء حتى ملأ الوجود ، فظهر عنه عنصر الماء البارد الرطب الظاهر عن

(1) لاحظت : خطرت في آ (2) بعالم : علام في ب (3) الوجود : الموجود في آ

خفقات الهيولى بالعزائم الارادية ، وواسطة الحركات النفسانية ، وفاض ذلك العنصر الذي هو الماء (19) بسائر الاماكن فغلى غلياناً عظيماً حتى ظهر عنه زبداً ثقيلاً . فكان عنصر الأرض الثقيل ، البارد ، اليابس ، الماسك لما فوقه من المعادن ، والنبات ، والحيوان ، والانسان . فكان تمام خلق العناصر الظاهرة عن قوة الطبيعة . وبذلك جمد(1) الزبد ورسخ بالمكان . واتصلت العناصر بعضها ببعض ، فاتصل النار بالهواء من حيث الحرارة ، واتصل الهواء بالماء من حيث الرطوبة ، واتصل الماء بالأرض من حيث البرودة ، واتصلت الأرض بالنار من حيث اليبوسة . فصارت دائرة مستديرة أولها متصل بآخرها ، وآخرها متصل بأولها . كما نصت المعاني الذاتية ، فاتصل بعضها ببعض فكان أول معبود(2) هو آخر موجود . واتصل الفيض من الأعلى الى الأسفل ، واتصلت هذه الدائرة العنصرية بعضها ببعض ، وتعلقت أشعة اشراق أجناسها بمادة واحدة عن باري البرايا .

وكان لما دارت الأفلاك ... والشهب والبروج والسماك
تصورت شهب النجوم الظاهرة ... هياكلاً بالفلك غير غايرة
دائرة تحت البروج فائقة ... لقوة المدبرات عاشقة
قوالباً تجُلّ كالاشباح ... ثم المدبرات كالأرواح
لما بدت بنورها المنير ... فدارت الافلاك يا خبير
وظهرت عنها المواد السارية ... واردة عن النفوس العارية
دارت بأجرام النجوم واصطفت ... وفي جواهرها موادٌ اختفت
واتصلت بالنار والهواء ... فبان منها خفقان الماء
تولد الأرض عن الماء كما ... الزبد الرابي عن الماء نما
واتصلت فيها من القواءِ ... أربعة كمّلُ بالسواء
فالنار عن عالمها البسيطِ ... ظاهرة بقوة المحيطِ
وحدها العقل العلي السامي ... منه استمدت رتبة المقامِ
والهواء عن قوى النفس بدا ... ظهوره عن ذلك الفيض غدا
وحده الكلي بالحقيقة ... نفس الوجود مقصد الطريقة
(20) والماء عن شكل الوجود ظاهره ... وقوة النفس بها مبادرة
وحّدها ذاك الهيولى السابقة ... منها جرت قسمتها الموافقة
والأرض عن معدن أشباح البقا ... ظاهرة عن فيض جسماً أطلق
وحّدها الطبيعة الكلية ... منها جرت قوتها السفلية
فهذه الحدود بالسوية ... عنها ظهور الصورة الجسمية

(1) جمد : جرد في ب
(2) معبود : عود في آ

وهـي التـي تحـرك الأشخاص بكل شكل ولهـا اختصاص
وهـذه أربعـة الأركـان محيطـة بسـائـر الأزمـان
وأسفـل الأرض لهـا بالطبـع لأنـه يقبـل منهـا النفـع
وبعضهـا مطـابـق البعـض كما أيدهـا الـرب قديمـاً عُظماً

ثم أن الأرض وهي آخر الأركان ، وظهورها عن قوة الماء ، والهواء ، والنار ، كل منهما بحسب قوته ومادته ، لما تكلست[1] وجمدت ، واستقامت على حالة الجماد ، تولد في باطنها المعدن ، وهو أول المتولدات ، ولكنه مناسب الى الأرض لنمـوه من عنصرهـا ، ووجوده دائماً في باطنها ، لا يستطيع التخلص منها ، ولما أرادت زبدة المعـدن الظهـور امتخضت بقوة الماء الساري من الأركان الأربع ، فتولد منها النبات الكائـن على وجـه الأرض ، لأنه أشرف من المعدن ، فهو خالص[2] بجسمه متعلقاً بآخره ، ولما قويت مادة النبات ، وظهرت بأشكالها النباتية ، المنظورة على وجه الأرض . سرت قوة الهواء والماء ، فحركت الأرض والمعدن والنبات ، فتولد من حركتهما جنس الحيوان الأخرس . المكبوب على وجهه ، فعد أشرف من النبات . لأنه تخلص بجميع جسده من الأرض ، وهو يقضم النبات بفمه لأنه أقرب الى صورة الانسان ، من المعدن ، والنبات ، ثم أشرقت قوة النار العالية وهي مركز الأفلاك الظاهرة عن فيض الأفلاك الدائرة . فلاحت قواهـا اللطيفـة بالهواء ، والماء ، والأرض ، بمساعدة القوة النفسـانية ، فظهـرت من حركتهـا الصـورة الانسانية الألفية المنتصبة السوية الخالصة من لطائف القوى الجـارية القائمـة بالعنـاصر الأربعة ، وهي الصورة الألفية ، والنفس الناطقة القدسية الحسية بالـذات(21) العـالمة بأحوال الموجودات ، والصورة الانسانية آخر المتولدات . وأول باب من أبواب الحقيقة[3] المتصلة بالعالم الأعلى الى حضرة القدس وسكان السموات .

واعلم يا أخي أن هذه الأركان الأربعة ، والمتولدات الثلاثة هي المقاطع التي تقطعها النفس أثناء ورودها الى هذا العالم . وفي رجوعها الى عالمها الذي بدت منه ، وهـكذا يكون سلوكها . فالواردة تختلف عن العائدة ، لأن الواردة الى هذا المركز هي محتاجة الى الترقي من مركز الى مركز حتى تبلغ الصورة الانسانية ، فعندما تكمل صورتها[4] الدينية . وتتصل بها المواد الالهية من الحدود العلوية . فترجع بعلو ذاتها وقوام هيئتهـا الى عالمهـا الروحاني وقصرها النوراني . واما النفس الجاهلة لمعرفة امام زمانها المتمردة مع الشياطين في الأدوار الممزوجة بغضب الجبار ، فهي عائـدة الى المراكز السـفلية المعـدنية والنبـاتية والحيوانية ، وتبقى تتردد بالعوالم السفلية الى أبعد المدد والدهور الطوال . هيهات . . .

---

(1) تكلست : سقطت في ب
(2) خالص : خاص في أ
(3) الحقيقة : الخليقة في ب
(4) صورتها : صلاتها في أ

هيهات . . . حتى تكون نجاتها من هذا الذل ، والآلام . قال الله تعالى ﴿ وإن منكم الاّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ فالفوز كل الفوز لمن نجت وخلصت نفسه :

والمعدن الموصوف بالأرض بدا ... مستتراً في بطنها طول المدا
وهو صراط تقطع النفوس ... عليه وهو المركز المنكوس
ومقطع النفوس بالتكرار ... بابا يسمى من حدود النار
والثاني النبات صار نباتاً ... وراسه في الأرض دوماً ثابتاً
المركز المركوز بالعوالم ... هو صراط للنفوس قائم
كم فارساً يُرى عليه جارٍ ... وكم زنيماً ساقطاً للنار
ثم الصراط الثالث الحيواني ... مرتبته بآخر الانساني
معوجاً جرى صراط اللاحق ... بالمستقيم منتهى الحقائق
لأقرب المراكز المذكورة ... بالفضل رتبت هذي الصورة
(22) وبعد هذا المركز الانساني ... على مثال صورة الرحماني
وهو الصراط المستقيم للهدا ... بين النعيم والجحيم يوجدا
تسلكه نفوس أهل العلم ... بالمرشد الدليل نور الفهم
والنفس ترقاه الى دار البقاء ... وتنزع الأوصاف في دار الشقا
راجعة لعالم الملائكة ... بقوة الروح الامين سالكة
وتبلغ المراد بالدارين ... بأكميل السعود في الحالين
ثم تصير صورة ذاتية ... راضية لسعيها مرضية
تمدحها[1] الأملاك بالسلام ... إذ أتت بصورة التمام
يدخلها العلم الى الجنان ... تصحب فيها صاحب الزمان

اعلم أيها الأخ البار الرحيم ، أننا سنخبرك في هذه الرسالة عن مبتدأ العوالم ، والخلقة الدينية ومبدأ دور الستر والتقية ، واحتجاب دور الكشف والمشيئة ، واظهار الرسل للبرية ، وهي الأشخاص البشرية ، والصور الآدمية ، ولما انتهى بنا الكلام الى صورة الانسان وهي النقطة الدائرة وعمارة الدنيا والآخرة ، وهي الصورة الألفية ، والخلقة الآدمية . ثم أن الله تعالى أراد أن يخلق آدم على صورة الرحمان وهي الصورة الدينية والحلة القدسية ، وهي صورة الوجود وترتيب الحدود ، فعند[2] ذلك أمر الحق سبحانه وتعالى جبرائيل عليه السلام ، فأخذ قبضة من طين الايمان ، وعجنها بحقائق البيان ، ومدها على

(1) تمدحها : تلاوتها في أ

(2) فعند : فعاود في أ

صورة الرحمان ، وأكمل بها حلة الدين القويم ، وجعلها طريقاً مستقيم ، وحكمة للعالمين ، بين بها الحق اليقين ، وهي صورة آدم عليه السلام الذي هو منتهى دور المشيئة ، ومبدأ دور الستر والتقية ، القائم بقوة الأب ، المديد بحكمة الرب ، وقد كان في زمان دور المشيئة ، والكشف للبرية سراً لائحاً في الوجود ، وقطباً دائراً بالعهود ، ونوراً ساطعاً بالبرهان ، وجوهراً كاملاً للأيمان ، وإماماً ناظراً في ملكوت النور الباهر ، وسراً قائماً بحقيقة الأول والآخر وعزماً جارياً من باطن الأمور ، وكان قائماً بحقيقة دور الكشف قهرمان النور الباهر ، وانهسلار السموات والأرض ، وجبرأوت الفيض العظيم وسر(23) النور القديم وعزم ملكوت الذات المطلق ، وحجاب الحق ، فلمّا كثر بين الخلق الفساد ، وانحل من نفوسهم عقد الوداد ، وزادت ذواتهم بالنفاد ، وصعدت عقولهم عن طريق الرشاد ، حينئذٍ أراد الباري تبارك وتعالى أن يحجب الرحمة التي جحدوا حقها عن أهل الفساد ، فبدت من ذلك النور الحقيقي - ارادة معنوية ، ونظرة أزلية ، وأراد أن يحتجب عن أهل ذلك الزمان . ويدبر.دوران القرآن ، ويبعث الرسل بالأعذار والانذار ، ويظهر وجود الشرائع بعالم الكون والفساد ، ويستر وجود الحقائق عن الاضداد ، فعند ذلك نظر ذلك الامام الحكيم ، والسيد الكريم ، والبناء العظيم ، والصراط المستقيم ، والحجة على أهل السماوات وأهل الأرض نظرة لطيفة . فجمع بنفسه جميع الكائنات ولطائف الموجودات ، وسائر أسرار الغائبات ، العلويات(1) والسفليات ، وحل لطائف العقول ، وفك اسرار الوجود ، وأراد التوجه الى مدار برج الحمل تحت خط الاستواء عند شجرة طوبى التي هي في جوار العرش العظيم ، والنور القويم ، وتوجه الامام على ذكره السلام نحو تلك الجهة حتى اتصل بوادي يدعى (سرنديب) الى مدينة تسمى (بوسباط) وكان أهل تلك المدينة أهل معارف ، وايمان وحقائق ، وبيان وسر واعلان فقام الامام عندهم مدة مديدة وأيام عديدة يعلمهم الحكمة والبيان ، وأسرار الزمان ، وقد كان آدم في ذلك الوقت رجل من رجال الدعوة الحقيقية والملة الاسماعيلية وهو من بعض المؤمنين المستمعين للحكمة من ذلك الرب الشفيق ، والسر الوثيق ، والعلم(2) الدقيق ، فقويت نفس آدم بالمعارف ، وتشيدت أركان نفسه باللطائف ، فعند ذلك نظر الامام على ذكره السلام ، فعلم أنه سيكون في أول دور الستر ، ويصلح ليكون حجاباً للحقائق عند الأفول ، فقربه اليه ، وأفاض النعمة عليه ، وأرشده الى معرفة الادوار ، وجعله أول حجاباً للأسرار ، عند سدول الاستار ، وعلمه الاسماء الكليات ، ومعاني لطائف الجزئيات ، وعرضهم على الاملاك القائمين بعلوم الأفلاك وكلمهم بأوضح البيان . وأجمل اللسان ، فافصح الخطاب فما أعطى أحد منهم جواب ، فقالوا(24) سبحانك لا علم لنا

(1) العلويات : الغايات في أ

(2) العلم : العزم في ب

إلاّ ما علمتنا ، انك انت العليم الحكيم . فقال يا آدم انبئهم بأسماءهم ، فلما أنبأهم بأسماءهم وهي تلك المعاني الخفية ، والحكم الربانية ، والمناهج الدينية . وقعوا له ساجدين ، ولأمره طائعين ، ولقوله تابعين ، الاّ ابليس أبا واستكبر ، وهو الحارث بن مرة . وكان هذا الحارث حجة من حججيج الامام المطلعين على علوم الحقائق الملكوتية ، والأسرار الربانية فعند ذلك أظهر الحسد لآدم على ما منحه اياه الحكيم الأعظم ، والنور الأتم ، فأتى الى آدم بنوع الناصح له ، يخادعه في قوله : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، ومقام لا يرام ، ومقصد لا يتغير ، لأنه مبدأ النفوس الأجلال في أذل الآزال ، وهو الملك الحقيقي النوراني ، ومحل صاحب الأدوار ، وعزة الجبار عند سدرة المنتهى في جوار الملك الأعلى ؟

وأقسم له بحق الامام انها نصيحة له . وكان آدم رجل خير ، لا يعتقد بأن أحداً يقسم بالامام كاذباً فصغى آدم اليه وظن أنه شفيق عليه ، لأنه أقسم له بيمين عظيم بصاحب السر القويم ، وقال له : يا آدم أشرح لي ما علمك اياه الامام الكريم ، والبناء العظيم ، فباح له بما أودعه اياه رب العصر ، وولي الأمر . فقال له : يا آدم هذا أمر مهول ، وشرح[1] يطول ، يريد أن يجعلك أول مبتدأ دور الظلمة والستر ، ويبعثك بالتكاليف الشرعية ، والأعمال المشتتة ، والقيام بموجبات الظواهر ، وأنا وحق الامام على ذكره السلام ، أريد أن أدلك على ملك الآخرة وحقيقة دور الكشف الباهرة ، لتكون من أهل الرحمة والنعيم ، عندما تعلم هذا السر العظيم . فصغى آدم إليه بكليته وتوجه اليه بصفاء نيته ، وأسر له بما قال له الامام . فساعتها علم الامام الفاضل الحكيم ، ما حدث لآدم من ابليس[2] اللعين . فطردهما من دعوته ، وسد عنهما باب رحمته ، فلما علم آدم عليه السلام ذلك رجع الى ربه بالتضرع والابتهال ، وصفاء النية والوصال . وقال : الهي وسيدي ومولاي لقد أخطأت فأتوب اليك ، وأخضع بين يديك ، فعلم رب الوقت بصفاء نيته وتضرعه اليه . فرحمه وأشفق عليه ، وقبل توبته ، فتاب عليه وقربه اليه ، وعلمه ما كان ، وقواه في المعاني الالهية ، والحكمة الربانية ، ونفخ فيه (25) الروح الأبدية ، ورتب له حدود وحجج ودعاة ليدلوا عليه أهل دعوته ، وجعله حجاباً وباباً لا يدخل اليه الاّ منه ، فأظهر الشريعة وستر الحقيقة ، وشيد الأركان وعمر البنيان ، وجاء بالنواميس الدينية ، والتكاليف الشرعية ، وطرد ذلك الضد رب العصر ، وحكيم الدهر ، واستتر بآدم عليه السلام .

وكان قبل تسليمه له ، واتكاله عليه ، أن أحضر الامام عليه السلام . وكان الامام هنيد ولده هابيل عليه السلام ، وسلم الأمر اليه وأمره أن يسلم ذلك لآدم عليه السلام

(1) شرح : راح في أ

(2) ابليس : سقطت في ك

ليقوم بين يديه بجميع أحواله ويساعده على قيام الشريعة . وتشديد أركانها ، ولا يبتعد عنه ويكون له معيناً مدة حياته . ومسعفاً لجميع ما جاء به من الحكم الدينية ، والنواميس الشرعية ، ثم أقبل على آدم وقال له : ان هذه وديعتي معكم ، فهي أساساً ركزوا عليها شريعتكم ، تتم بذلك أحوالكم . بلغ كافة الحدود عند تسليم الوديعة لصاحبها ورد الأمانة الى مستقرها ، الى ولدي هذا . فعليك أن تشير اليه وتدل كافة المخلوقات عليه ، فهند ذلك قبلوا بما أعطاهم اياه ، وفوضهم[1] به . واستتر الامام عليه السلام فقام آدم بالشريعة ، وهابيل بالحقيقة ، وشد بعضهم أزر بعض . بالمساعدة والمشافهة ، حتى نهاية الدور وكمال الأمر ، ورجوع السر الى مستقره ، والحق الى أهله . ونعود بالنظم :

وقال آدم أول الأدوار ... بقوة الرب القديم الباري
أول من قد أظهر الشرائعا ... في الكشف ايراداً حجاباً مانعاً
وكان دور الكشف قبل الستر ... نوءاً امام الحق فيه يسري
ظاهر للعيان بالتوحيد ... كقائم بصورة التجريد
وهو محل[2] الأحد العلي ... متصلاً بجده الكليّ
وبان بالدور البهي الكامل ... بنور مولانا الامام الفاضل
وأهل ذاك العصر بالنعيم ... في حضرة المؤيد الحكيم
يحكم بالكشف بعزم الأمر ... وهو المسمى ببديع العصر
(26) صاحب حكم السر في البواطن ... وجوده في سائر الأماكن
وكان عصر الكشف عصر عال ... تلوح فيه صورة الكمال
والنور في أرجائه شفاعة ... على نفوس أهله جماعة
وكان ابليس من الحدود ... عند الامام في العلوم يدري
لما انتهى الأمر وحان الدور ... وحان أن تحتجب الأمور
عندها ذاك الحكيم الجودي ... ضم اليه سائر الحدود
ابليس من جملتهم قد كانا ... عند الامام معدنا مصانا
أراد ذاك الرب يا خبيري ... أن يظهر الحكمة والتدبير
وآدم كان أخا حلم صفي ... ونفسه من معدن بات وفي
تقبل الطاف المعاني العالية ... تحمل أسرار العلوم الخافية
فعند ذلك علم الحكيم ... آدَمهُ وانجم التعليم
ويصلح[3] الآن حجابُ الستر ... فليحتجب فيه بديعُ العصر

---

(1) فوضهم : أفاض في ب
(2) محل : حال في أ
(3) ويصلح : وصلاح في ب

فعندها قرّبه اليه وجاد في نعمته عليه
وعلم الله الرموز السالكة له وباتت تجهل الملائكة
وهي التي تنعت بالاسماء لطائف الرب بالاختفاء
وعرض الاسماء للملائكة العارفين في الأمور السالكة
وقال ما أعني بذي الاسماءِ فانبئوني كيف هؤلاءِ
قالوا له إلهنا سبحانك فلم تكن نعلم ما في شأنك
فقال يا آدم انبئهم بما عُلّمت مني قبل أن تعلما
فجاءهم آدم بالعلم الذي به قلوب العارفين يهتدي
فعندها الاملاك خروا سجدا لهيبة الفردُ عزوا الأحدا
ولم يكن في جمعهم معاندا الا غدا الله طوعاً ساجداً
وظل ابليس عنوداً كافراً ولم يكن لربه مجاذراً

(27) قال أنا من جوهر لطيف وآدم من جوهر كثيف
لأنني من قبله مقدم وأنني أعلم ما لا يعلم
وأنني أسبق منه للهدى والنار للطين ألا لن يسجدا
وخالف الرب القديم الباري فصار شيطاناً كأهل النارِ
وكان أن طرده [1] الحكيم من منهج الدعوة يا فهيم
شرده من جملة الحدود إذ خالف الأمر بذي العهود
وانتزعوا ابليس من مقامه لما تعدى دفتي إمامه
أمْرُه آدم بالخديعة بحجة النصيحة المريعة
يقسم ايماناً على أقواله مطهر النفوس بجهد حاله
وقال أخبرني الذي علمك ربي فيسمو بالعباد مجدك
فعندها باح له بسرهِ لما بدا من كيده ومكره
وقال هذا بالأمور الظاهرة وانما اعنيك علم الآخرة
لشجرة الخلد أنا أدلّك ليرتقي بعلمها محلك
وتستريح في ظلام الستر وتبلغ الحد الجليل القدر
أصغى له آدم في روية فكان أن أراده في كميَّة
وراح [2] عنه مسرعاً ثم اختفا لما بافساد التراتيب اشتفا
فعندها ناداه رب العصر قد قلت أن لا تستبيح سري
ونبه الخطاب منه آدمَ فعندها أضحى سريعاً نادماً

---

(1) طرده : طارده في أ

(2) وراح : ومالح في أ

وعاد للخالق بالتوسل ... مبتهلاً بنوره الفرد العلي
وقد تلقى الكلمات مسرعاً ... بقلبه لما إلى الله دعا
والكلمات الخمس أشباح العلا ... تعرفهم أهل الحقائق الوّلا
أولهم كان العلي الكلي ... وبعده نون الهدى والحل
والميم يجلا بجلال الله ... والحاء علاّمٌ عظيم الجاه
(28) وهذه الحدود والمراتب ... مشرقة تحفها العجائب
وآدم فيها دعا لربه ... مستغفراً معترفاً بذنبه
لما رآه ذلك الحكيم ... متجهاً لله يستقيم
فعندها تاب عليه ربه ... مسلماً حدود من أحبه
رد له ما كان عنه انسلخا ... وما تولى عنه أو تنسّخا
واتصلت[1] فيه من القدوس ... لطائف قامت من الناموس
ورتب الحدود بالتمكين ... له إمام السيد الأمين
وشده بالعهد والميثاق ... في دعوة الحق على الاطلاق
وكان هابيل له مساعداً ... حقاً وقابيل له مضادداً
قد نال منه الحسد الفعالا ... وراح يأذيه ومنه نال
وكان مولانا بديع العصر ... سلم هابيل سدول الستر
ثم دعا آدم للتسليم ... منه وكان الأمر بالتعظيم
من بعد أن قد جمع الاثنين ... ووافق الأمر على الحالين
ونص النص[2] الحق بالنفساني ... من قبل أن سلم للجسماني
فآدم يعرف بالتصديق ... الى الامام الفاضل الحقيقي
وأمر ابن الوالد النفيس ... يقوم والوالد بالناموس
كي يبلغ الأمر الى المراد ... ويدعي الناس الى الرشاد
ويبلغ المقصود فيه آدم ... مسلماً ما قد أتاه العالم
واتفق الاثنين بالقيام ... حتى إذا نالوا هدى المرام
وكان نور الحق هابيل له ... وباطن العزم به أوّله
وقام منه لأبّ بالشريعة ... يحمل منه أثمن الوديعة
لكنه ليس لديه العزم ... لفرط نسيان جاه الحُكم
حتى اذا وافا المقام الناطق ... واعترفت بشرعه الخلائق
(29) وجاءه نداءه العليّ ... وحدّه أوصله الكلّي
وأيدته الخمسة العلية ... من بعد أن تسلم السفلية

---

(1) اتصلت : سقطت في ب

(2) نص : رص في ب

فالسابق الناطق بالمقالِ ثم الأساسُ حدّه للتالي
والجد[1] حد رتبة الامام والفتح للحجة بالقيام
ثم خيال واصل بالداعي وعلمه في سائر الأنواع
وهذه المراتب المذكورة عشر حدود في وجود الصورة
أول أنبيائه منها نشأ في صورة الانسان تصويراً بدأ
تسلم الأمر من السفلية متصل بالخمسة العلوية
وشيد الأركان منها مسرعا بما به من ربه مستودعا
حتى إذا تم وفات أمره فسلم الأمر له يسّره
كما ابنه شيث دعاه المجتبا وهو أساس لأبيه أوجبا
انتقل النور اليه واصطفا بوجهه وفي بُنيّه اختفا
وامتد من آدم موصول النسب حتى أتى نوح فنادى واقترب

ثم أن آدم عليه السلام لما قامت شريعته ، واكتملت دعوته ، وبلغت رسالته ، أحضر نقبائه ، وأكابر أهل دعوته ، وسلم الأمر الى مستقره وجرى ذلك الأمر الذي هو النور المنتقل في الأصلاب الطاهرة في عقب أولاد الإمام الحق خلف عن سلف حتى اتصل الى رب دور نوح عليه السلام ، وهو المسمى (بلمك) وهو لا منح عليه السلام ، وهو منتهى دور آدم فتسلم الأمر الالهي ، والفيض الرباني ، وتصور بصورة الحد الكلي ، ورِبأ أهل تلك الدعوة الحقيقية بالعلوم الالهية ، والحكم الدينية ، وجرت[2] على محبته أولياء تلك الحكمة الربانية في تلك النفوس الذكية ، الطاهرة المستقيمة على أولياء الله الذين هم الأئمة المتوارثين الحاملين ذلك النور المقدس الملازم للأصلاب الطاهرة ، والنطف المقدسة ، في كل زمان وأوان ، والتي هي عمود الأكوان ، وخلد الجنان ، وكان نوح عليه السلام قابل للتربية الدينية في دعوة الامام الحق على ذكره السلام ، فعند ذلك أمده(30) الامام صاحب عصره ، وحكيم دهره ، بلطائف الابداعات العقلية ، والرموز المعنوية ، وأظهره بالنطف الى العالم ، فعند ذلك شد السفينة المنجية ، وأقام حدودها ، وكان المساعد له بذلك ولد إمام الحق وهو سام عليه السلام وكان قد أحضرهم الرب الرحيم ، والامام الكريم ، وفعل مثل ما فعل الامام هنيد عليه السلام من قبله ، وسلم الأمر الى ولده سام[3] وأمر نوح بالطاعة له والاستماع منه ، ثم عطف على ولده وأمره بالتسليم له والطاعة والمساعدة له ، والاستماع منه حتى ينشد أركان شريعته ، وتبسط دعوته ، وتتم أموره . فقبل كل واحد منهم بما أمره به وفرضه عليه . فعند ذلك قام نوح عليه السلام

(1) الجد : الجواد في أ (2) جرت : جلت في ب (3) سام : مسام في أ

بالشريعة وسام بالحقيقة . وشيدا السفينة ودعا الناس اليها ، والركوب فيها ، فمن أطاعهما وركب بتلك السفينة كان مع الناجين ، ومن تخلف عنها ولم يركب معهما كان من الهالكين الخاسرين في الدنيا والدين .

وجاء نوحٌ تاني الشرائع … مؤيداً من صاحب البدائع
أول من قد شدد السفينة … وقام يدعوا الحجة الأمينة
وأمر الناس الى الدخولِ … في بلد الدعوة بالمعقول
وأظهر المحسوس بالشريعة … وكان ممن حمل الوديعة
لما بنا سفينة النجاة … بدعوة الاساس في الاثبات
وسام قد كان له لمسعِدِ … لما تباها فوق ماء مزبدِ
حقاً وقد كان يعوق ضده … ثم يفوت ثم نسراً بعده
وقد أضلوا أمماً كثيرة … أصلاهما من حرها سعيرة
فعندها نوح دعا لربه … ليرفع الماء لمن في حزبه
حتى إذا تم وجاء الأمرُ … ونساء من تحت النجاة البحرُ
وهاج متن البحر في أمواجه … وضاقت الأجواء في عجاجه
فعندها نوح أتى بأهله … وقد دعا من وقته لأبنه
وقال اركب والتحق بمن سبق … حقاً ولا تأمن مولاك الغرق
وكان حام واقف بمعزل … والماء يسري كالآتيّ المقبل
(31) فقال انـي في مكان عالي … وان طفا الماء فلا أبالي
قال له نوح ألا اركب بالعجل … أمر الإله ليس فيه من حيل
فخالف الحق بذي المقال … وطافت الأمواج كالجبال
وغمرت كل ذوي ارتفاع … فغرقت حام على الاسراع
ثم علت[1] سفينة الجمع استوت … على جبال الحق ما فيها عبث
والجبل المقدس الأمين … هو الذي تقطنه السفين
وهو المسمى بالاساس العالي … يعزه الله على الجبال
وانقضى أمر الإله واعتلى … رسوم دين الحق من حيث انجلى
وظهر الدين[2] القويم الكامل … بدعوة المولى الامام الفاضل
فعندما نوح غدا مبتهلا … لربه وبالدعاء مقبلا
وقال يا رب فانت العالم … ابني من أهلي أنت فيه راحم
ووعدك الحق وأنت الحاكم … وكل شيء أنت فيه عالم

---

(1) علت : تعالت في ب

(2) الدين : الركين في أ ، ب

فقـال يا نوح حِذار تُشركا ... فانـه ليس غـدا من أهلكا
ولـم تكـن اذا نجـا بـرابح ... وليس من يعصي العلي بصالح
فـلـم تكـن تسـأل ما لم تعلمِ ... تهبـط من هذا المقـام الأعظم
فبعـدهـا نوح غدا مبتهـلاً ... لـربـه مـن خـوفـه مدللا
وقـال أحللنـي إلـه البيدِ ... من كل ضد مارق عنيـد
أسـألك الغفـران من ذنـب عظمْ ... ان لم تسامحنـي فحـالي لم يدمْ
وقـال يا نوح سلامـاً زيّـداً ... منـا عليك دائماً مؤبّـدا
حينئـذ رام إلى الوصول ... واكملتـه رعـاية المأمول
معتمـداً على خلاص العـالم ... وانـذر النـاس الى المعالم
وفـرق الحـلّ مـن الحرام ... وقـال بالأوضـاع والأحكـام
ورتّـب الشريعـة الفصيلـة ... كالصـورة العـالية الجليلـة
(32) ليكمـل الـدين كمـال الخلـق ... والـدين ممثـول وجـود الحق
والنـطـق بالحقـائق استرشده ... الى كمال الـدين إذا أوعـده
وكلهـم قد حملـوا الأمانة ... مستودعـين السر بالصيـانـة
سراً بدى من أول الوجود ... متصـلاً بالحـاضر الموجـود
وهـو اللـطيـف الأبـد القديم ... نـور الامـام الفـاضـل العظيم
منتقـلاً من هيكل لهيكـل(1) ... يظهـر في كل حكيم مرسل
وصـورة الحـق بـدت بشكله ... والأمـر معلـوم بـدا بسنهله
إن لاح بالـذات تكن بالذات ... حجابـه الظـاهـر بالآيـات
وفعلـه يظهـر في تلـك القوى ... كمثـل فعـل الشـمس يسري بالهوا
وهـو حياة الـذات ان أظهـرها ... تكـن كمثـل ذاتـه قـدرها
فهـي هـو العـرف بحق قـاطع ... يجُـلا على الـكون بنـور سـاطع
بكـل وقـت لم يزل مبين ... من حضرة(2) القـدس الجليل دين
أشرف نـور معـدم المثيـل ... ينطـق بالـوحـي وبالتنـزيل
وكان نوح من رسـول ناطق ... بـدا بأمـر قد أتـاه الرازق
عقـب اتصـالٍ بذوي المعارف ... اتحـدت فيه ذوي اللطائف
قام بـدين الله بالتمـام ... يشـد ما كان به يسامي
فطـاعـت الخلـق لما أبداه ... عـن الامـام الحق قد رواه
ولـم تـزل تسري به الشريعـة ... حتـى انتهـى الـدور الـذي تشيعه
وقـد أراد الملك الجليل ... أن يقتضي حكمتـه الخليلُ

(1) لهيكل : سقطت في ب

(2) حضرة : سقطت في أ

(33) ولما انتهى دور نوح عليه السلام اجتاحت أهل ذلك العصر موجة من الفساد والطغيان مدة ألف إلاّ خمسين عام ، فعند ذلك شع النور الساطع ؛ والضياء اللامع ، بأفضل شخص من أهل ذلك الزمان . فحمل الامامة الشريفة ، وحاز على المرتبة المنيفة . فتجلى فيه الجود الإلهي والفيض الغير متناهي من وراء الحجاب الأعظم ، والجوهر الأتم ، السابق الوجودي ، فجعل له خليلاً من خلقه ، وحجاباً لطيفاً لنطقه . وهو ابراهيم المشتق من الإسم الأعظم الذي كان أصلاً في دعوة الحقيقة ، ونبراساً للطريقة ، وفرعاً من الشجرة المباركة . فاتصلت به حدود دعوته ، واستوعب من أسرارها العلوية . فنفذ الى إدراك المراتب الوجودية . حتى بلغ رتبة الحجة السنية[1] ، وتدرج حتى بلغ رتبة المتم الناطق ، بالصورة العالية .

ولما وصل الى هذه الرتبة الجليلة جاءه النداء الحقيقي من الملأ الأعلى فقال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين . وهو يقصد بذلك أنه لما فرغ من استيعاب المراتب الجسمانية توجه الى مطلق الحقيقة بكلية نفسه القدسية ، فعند ذلك أطلت عليه الحدود العلوية ، فترقى بالرتب الروحانية الملكوتية حتى اكتملت له الصورة الدينية وصارت ظاهرة عقلية ، بقوة اللمع النورانية المتصلة[2] بشخصه اللطيف القابل لمدد الكلمة الأزلية ، وهو ابراهيم عليه وعلى نفسه القدسية السلام ولما كملت صورته الألفية ، وأصبحت أنموذجاً للعوالم العلوية اتصلت بها المعاني(34) الملكوتية فأصبح خليلاً ومحلاً جليلاً ليواجه ضده النمرود الذي تمرد على الحق فقال له ابراهيم ، يا هذا ان ربي يحيى ويميت ، فأجابه ، أنا أحيي وأميت ، معتقداً أنه أشد قوة من ابراهيم . وأبلغ علماً . وان باستطاعته اطفاء نور النبوة . ودفع مرتبة الامامة فقال له ابراهيم . إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأتي بها أنت من المغرب ، فبهت الشيطان العنيد والكافر الجاحد . فانقطعت أنفاسه ، وخمدت ناره ، وانصرمت أثاره ، والله لا يهدي القوم الظالمين . لأن ابراهيم عليه السلام امتحنه بهذا العلم العميق والسر الدقيق الذي خصّ به الأنبياء والصديقين ، فهو الفائض من عين اليقين ، وأهله هم أصحاب اليمين . وهكذا استطاع ابراهيم عليه السلام ان يفحم ضده ، ويخذل نده ، عندما حاز على القوة النبوية من المعدن الأصلي واتصلت به لمعات اشراقه النور الخفي عن كل (شيطان مريد) الواقف بالمرصاد لكل جبار عنيد ، وهو امام عصر ابراهيم وحكيم دهره ، الذي هو الفيض الحقيقي . والصورة الجليلة العالية المفضلة على كل موجود وهو الامام (تارخ) على ذكره السلام ، وهو الذي شد إزر ابراهيم وأيده في المعاني الالهية ، والقوة القدسية ، وأظهر بالنطق للبرية ، وشيد الأركان العلية وأيده بأساسه اسماعيل وفعل به فعل من تقدمه من النطقاء . وجاءه النداء الحقيقي كما قال الله

---

(1) السنية : الراوية في أ

(2) المتصلة : الواصلة في أ

تعالى وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال : إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين . يقصد بذلك أنه قلده مرتبة النبوة والامامة وحمله الامانة العظيمة وجعله(35) إماماً ليهدي الناس الى طاعته ، وأكمل له التراتيب النبوية ، وأمده بالفيض العلوي ، فعند ذلك اجتهد بتشيد الأركان الأربعة على مثال الدعوة الباطنية وقيامها بالحدود الأربعة . فجعل منها ركنان متقدمان للدلالة على موسى وعيسى . وجعل ركنان متأخران للدلالة على الناطق السادس والسابع . وكان قد أمر بذبح ولده النفساني اسماعيل عليه السلام . ويقصد بالذبح القيام(1) بالحقائق الروحانية كما اقتضت الحكمة الالهية أن يستتر اسماعيل بأخيه اسحاق . فما كان من ابراهيم الخليل الا أن جمع اسماعيل واسحاق فنص النص الحقيقي على اسماعيل وجعله مستقراً للامامة وعلى ولده اسحاق وجعله مستودعاً وأمره بالطاعة والاستماع لأخيه اسماعيل وهكذا جدّد(2) الله النعمة على اسحاق وأظهر من ذريته النطقاء . بينما سارت الامامة المرضية والكلمة الالهية في عقب اسماعيل وذريته . فاكتملت شريعة ابراهيم ودعوته . وأصبح نور الله ينتقل خلف عن سلف من الإصلاب الطاهرة الى الأرحام الزكية حتى اتصل هذا السر القويم والفيض العميم برب دور موسى عليه السلام وهو الامام عدنان الذي جاء بعد انقضاء دور ابراهيم وتمام أمره .

كثالث جاء الخليل مرسَلا ... من ربه بالنطق كان أولا
أول من قد أظهر الاسلاما ... مناشداً بذمه لإماما
لما رأى الكوكب في النور بدا ... في ليلة سرورها زاد الهدى
قال ألا هذا إلهي المقتدر ... ونوره من وجنتيه ينحدر
حتى إذا ما احتجب الشعاع ... عرّج وارتد له الجماعُ
ثم رأى من بعد ذاك القمر ... بنوره يُحيي ويُبهي البشر
(36) فقال ذا ربي فلما غابا ... محتجباً يشتمل الحجابا
قال لئن لم يهدني رب العلا ... ضللت تحت ذا الظلام والبلا
ثم رأى الشمس بُعيد ذلك ... بازغة بالنور في المسالكا
فقال هذا ربي الكبيرُ ... لقد بدى ونوره منيرُ
حتى إذا ماحتجب وغابت ... وظلمة حالكة أنابتْ
قال يا قومي أنا بريّ ... مما بكم والله لي وليٌّ
وانني متجهاً للعالي ... ليظهر القوة بالفعالي
وهي حدود نالها بالسبعة ... واتصل الله بها بالخلقة

(1) القيام : القوام في ب

(2) جدد : جواد في أ

وهذه الثلاثة الحدود   مظاهرُ عللها المعبود
أدرك منها النطق ابراهيم   بقوة أيدها الحكيم
فكان ذا عزم(1) وعز عالي   يضرب للأشياء بالأمثال
وكان في زمانه غنيٌ   معاندٌ مشاكس شقي
واسمه ألنمرود من تمردا   عن طريق الحق قد شردا
ثم أتى بدعوة الضلالة   ليعجز الناطق بالرسالة
وكان ابراهيم شخصاً كاملاً   مؤيداً من الإمام فاضلا
فأضرم الضد له النيرانا   من كل وغدٍ يتبع الشيطانا
وجاءه النداء ذو الخفي   من الإله الملك العلي
أطفأ تلك النار بالبرهان   بالعلم والحكمة والبيان
وجادل النمرود بالمحاولة   ثم الخليل بالجواب خاذله
وقال إن الله ربي أزلي   يحيى العوالم في رسوم الدولِ
(37) فقال إني من أشاءه يعيش   وأحرمه(2) الذي بنا يجيش
فقال ابراهيم دع ما تلغزه   تظن من جهلك هذا معجزه
فهذه الشمس تجلى نورها   من أمر ربي وبدى ظهورها
فأتها من الغروب عاجلاً   لقد جهلت قدره فعائلا
وقال إن كنت كممن يعلموا   متى يقوم الحق ثم يفهم ؟
وكم نبي يظهر الشرائعا   وكم رسول للعهود جامعا
وكم ترى وقتاً وكم زمان   الى ظهور الواحد الرحمان
فبهت النمرود مما قد أتى   وجار في فكرته وابتغتا
ولم يكد ينطق بالجواب   ولُف من هواه بالحجاب
لأن ابراهيم أسنا منزلة   وجوده بالصورة المكملة
متحداً بأنفس الأبرار   تحمله معادن الأخيار
وقام ابراهيم بالحقائق   وهو بنو الرب عين الناطق
اتم ما كلمه وقاما   وصار في رتبة اماما
واجتهد الخليل بالأركان   مرفّعًا قواعد الايمان
وكان اسماعيل منه بعهد   كي يبلغ المراد ثم المقصد
حقاً واسحاق له معاضدا   متجهاً الى الإله ساجداً
وجعل الأركان بالحقيقة   مقسومة بأفضل الطريقة

---

(1) عزم : ردم في أ

(2) وأحرمه : سقطت في ب

أول ركـن كان منــه موسى وثـان الأركـان كـان عيسى
من نسـل اسحــاق على التحقيق يظهـر . بالنــطـق وبالتصـديق
ثم لاسماعيـل أركان غدت بنــور باريهــا القــديم غردتْ
(38) أولهــا الهــادي النبــي النـاطق والآخـــر القائــم والحقائق
وكان ابــراهيم عبــداً الصدقِ يوفي العهـود لإلــه الخلقِ
لما رأى بنومــه فضيلاً يريد أن يذبــح اسماعيلا
وجــاءه من ربــه النداء أن يجعــل اسحـاق له الفداء
فكان اسحــاق له حجابا وهــو الــذي لطوعــه أجابا
فقـام بــين النـاس بالخلافة في ظاهــر الأمــر وباللطافة
ثم سرى النــور الخفــي الجاري في نســل اسماعيل من قيدار
منتقــلاً من ولــدٍ الى ولد كما يشــاء الملك الفــرد الصمد
حتــى إذا ما اقتــرب الزمان وأوصــل الأمــر بنــا عدنان

تمت

هذا ما وجدنا وما كنا للغيب حافظين . والصلاة والسـلام على نبينـا محمـد وآلـه الطيبين الطاهرين آمين يا رب العالمين .

فهرست

هذا الكتاب

هذا الكتاب بوابة إلى معرفة الفلسفة الحقّانية الماورائية بما فيها من عقول ابداعية ، وصور روحانية ، ومطابقات علوية وسفلية . وهو لا يعالج هذه الفلسفة ، إنما يضعها من خلال أربعة كتب حقانية قيد التداول ، اذ يفسح للمطالع والباحث التعرف عليها ، والغوص في منعطفات أفكارها التراثية الماورائية .

فكتاب « العالم والغلام » من الكتب الحقانية النادرة الوجود ، الكثيرة الفائدة التي تصور بشكل واضح وصريح المفيد والمستفيد ، تصويراً رائعاً يجسد المنطلقات العقائدية الحقانية بقالب رمزي وقصصي .

وكتاب « رسالة ضياء الحلوم ومصباح العلوم » كتبها مؤلفها علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي جواباً على مسائل عقلانية عدة طرحت عليه حول علم المبدأ والمعاد ، وما يصير اليه الأولياء والأضداد بأربعة أبواب ، يشتمل كل باب على فصول عدة تتعلق بعلم المبدأ والمعاد .

و« رسالة معرفة النفس الناطقة » من الرسائل العقلانية التي تعبر عن الأفكار الحقانية التي يجسدها الدعاة الحقانيون ، حيث تطالعنا الأفكار الهادفة الى التوعية والارشاد ، والحض على وجوب معرفة النفس .

ثم « رسالة مبتدأ العوالم ومبدأ دور الستر » التي هي أرجوزة من جملة الأراجيز الرائعة المبتكرة التي امتلأت بأمثالها أغلب المخطوطات الحقانية وتناقلها جماعة أهل الحق يحفظونها غيباً كسهولة أسلوبها ودقة معانيها ورقة اشاراتها ورموزها .

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع